تحفة النبلاء
من
قصص الأنبياء

للإمام الحافظ ابن كثير

انتخاب كاتبه

للإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني

ضبط نصه وعلق عليه

غنيم بن عباس بن غنيم

تقديم

الدكتور/ السيد بن حسين العفاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى وسلام على عباده اللذين اصطفى ، وبعد

فهذا الكتاب يفوح منه عبيرالسلف ، كلامهم وذوقهم وطيبهم ، لله درهم تناول فيه الحافظ ابن كثير قصص الانبياء فى كتابة الفذ : البداية والنهاية ثم تناول بالاختصار حافظ الدنيا واستاذ الاستاذين ان حجر العسقلانى .. فاشرق طيبه وإخلاصة على هذا الكتاب . وقصص النبيين خير ما يشحذ الهمم ، والحديث عنهم من تحف الجنه يشدك إلى عالمه السامق بعيداً بعيداً عن حما الارض وطينها اللازب، يريك كيف جعلوا أنفاسهم الطيبة وقفا على الدعوة إلى الله عز وجل ما ضرهم ما أصابهم . يكفيهم رضوان اللة عز وجل ، جبر الله لهم بالجنة كل مصيبة اللهم اجمعنا بهم ومتع أبصارنابالنظر إليهم فى دار كرامتك . اللهم انت اصلحت الصالحين فاجعلنا من الصالحين

واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

وكتبة الدكتور / السيد بن حسين العفانى

القاهره فى ٨ / ٢ / ١٩٩٨

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

مكتبة الصحابة

الإمارات – الشارقة – ت: ٥١٥٥٧٥ – فاكس: ٣٧٤٥٤٤
السعودية – جدة – ت: ٦٥٢١٠٦٠

مكتبة التابعين

القاهرة – ٢٥ ش أحمد عصمت – عين شمس .
ت: ٤٩٣٨١٤٤ – فاكس: ٤٩٣٤٣٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضل فلا هادى له .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾.

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبًا﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدًا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما﴾.

أما بعد : فإن أصدق الحديث كتاب الله - عز وجل - وخير الهدي، هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ألا وإن كل

محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، ثم أما بعد . . .

فإن كتاب البداية والنهاية للحافظ ابن كثير قد لقي قبولا قديما وحديثا ولدى الخاص والعام ، وخاصة المجلد الأول منه ، إذ انتزع منه الجزء الخاص بقصص الأنبياء الذى يبدأ بقصة آدم - عليه السلام - حتى آخر قصة عيسى - عليه السلام - وجعل كتابا مستقلا ، اشتهر بعد ذلك في طبعاته المتعددة باسم : قصص الأنبياء للحافظ ابن كثير، ولقد وقفت على مخطوط نفيس بخط الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى - يختصر فيه هذا المجلد ، وقد ذكر في مقدمته لهذا المختصر أنه اختصره لنفسه ولمن ينتفع به ، وأنه لم يختصر ما بعده من السيرة النبوية العطرة وأخبار الخلفاء فمن بعدهم ، لكثرة التصانيف فيهم ، وقد راعى في مختصره أن يشمل على الفائدة التي من أجلها وضع الكتاب وحذف ما اشتمل عليه من التطويل والإعادة .

وبعد قراءتي لهذا المختصر وجدته أنه قد زاد فيه ما وقف عليه الحافظ من درر وفوائد ، وقيد عليه تعليقات هامة في ترجيح أو تضعيف الكثير من المسائل ، أو تصحيح أو تضعيف لكثير من الأحاديث التي أوردها الحافظ ابن كثير في المجلد الأول من كتابه.

ولقد عرضت هذا الكتاب على الأخ الفاضل الأستاذ : عبد الغفار

الجيزاوى - حفظه الله تعالى - وصاحب مكتبة الصحابة بجدة ، وأخبرته بأهمية الكتاب فقبل سيادته نشر هذا الكتاب ، ولم يبخل علينا بجهد ولا مال ، فجزاه الله خيرًا ، وجعل سعينا وسعيه خالصًا لوجهه الكريم .

وأما بشأن عملي في الكتاب ، فهو كالتالي :

١ - قمت بنسخ المخطوط ثم قابلته عليه مرة أخرى .

٢ - واستعنت في ضبطه بكتاب البداية والنهاية للحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - إذ هو أصل الكتاب ، ومنه اختصره الحافظ ابن حجر.

٣ - نسقت بين جمل الكتاب مع وضع علامات الترقيم المناسبة.

٤ - قمت بالضبط بالشكل ما يشتبه من الكلمات ، وشرحت ما جاء فيه من غريب من غير إسهاب .

٥ - قيدت بعض التعليقات الهامة للحافظ ابن كثير خاصة في التصحيح والتضعيف .

٦ - قمت بعزو الآيات الكريمات لمواضعها من السور .

٧ - وضعت مقدمة للكتاب ترجمة فيها للحافظين ابن كثير ، وابن

حجر ترجمتين موجزتين ، ووصفت فيها المخطوطة التي اعتمدت عليها ، وصنعت فهرس لأطراف الأحاديث ، وفهرس للموضوعات في آخر الكتاب .

وختاما أسأله - سبحانه وتعالى - أن يجعل عملنا هذا خالصا لوجهه الكريم ، وأن يجزل لنا الأجر والمثوبة يوم الدين ، وأن يغفر لنا ما وقع منا فيه من سهو أو زلل بفضله وجوده ، فإنه ولي ذلك والقادر عليه ، إنه على كل شيء قدير .

وكتبه

الفقير إلى ربه

غنيم بن عباس بن غنيم

بدار المشكاة للبحث العلمي

القاهرة - حلوان

ت : ٣٦٩١٤٣٥

ترجمة

الإمام الحافظ ابن كثير

رحمه الله تعالى

هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن ضوء بن ذرع عماد الدين أبو الفداء القرشي البصروي الدمشقي الشافعي الحافظ المفسر المؤرخ .

ولد - رحمه الله تعالى - سنة سبعمائة - أو إحدى وسبعمائة - في قرية مجدل من أعمال بصرى . مات أبوه وهو في الرابعة ، فرباه أخوه كمال الدين عبد الوهاب ، وبه تفقه في مبدأ أمرة ، ثم لازم الاشتغال ، ودأب وحصل وكتب ، وبرع في الفقه والتفسير والحديث .

بدأ رحمه الله الاشتغال بالعلم على يد أخيه عبد الوهاب كما تقدم، وحفظ القرآن وختم حفظه سنة إحدى عشر وسبعمائة واجتهد في تحصيل العلوم واللغة على كبار العلماء في عصره كابن غيلان شيخه في القرآن ، واللباد محمد بن جعفر شيخه في القراءات ، وضياء الدين عبد الله الزربندي النحوي شيخه في النحو ، وسمع من عيسى المطعم ، وأحمد بن الشيخة ، والقاسم بن عساكر ، وابن الشيرازي ، وإسحاق الآمدي ، ومحمد بن الزراد ، وأجاز له من مصر أبو الفتح

الدبوسي ، وعلي بن عمر الواني ، ويوسف الختني ، ولازم الحافظ جمال الدين المزي كثيراً ، وبه انتفع وتزوج بابنته ، وقرأ أيضا على ابن تيمية ، والحافظ شمس الدين الذهبي وغيرهم ، وجمع وصنف ودرس وحدث وألف ، وكان له اطلاع عظيم في الحديث والتفسير والفقه والعربية وغير ذلك.

شهرته وأقوال أهل العلم فيه :

يعد ابن كثير أحد رواة الحديث من الحفاظ المحدثين ، قال عنه شيخه الذهبي في المعجم المختص : الإمام الفقيه المحدث البارع فقيه متقن ، محدث متقن ، مفسر نقاد ، له حفظ ومعرفة .

وقال عنه الحافظ ابن حجر : كان كثير الاستحضار ، حسن المفاكهة، سارت تصانيفه في البلاد في حياته ، وانتفع بها الناس بعد مماته .

وقال ابن حبيب - فيما نقله ابن العماد في شذرات الذهب - عنه: إمام ذوي التسبيح والتهليل ، وزعيم أرباب التأويل ، سمع وجمع ، وصنف وأطرب الأسماع بأقواله ، وشنف وحدث وأفاد ، وطارت فتاويه إلى البلاد ، واشتهر بالضبط والتحرير ، وانتهت إليه رياسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير .

وقال تلميذه شهاب الدين : كان أحفظ من أدركناه لمتون

الأحاديث، وأعرفهم بتخريجها ، ورجالها وصحيحها وسقيمها ، وكان أقرانه يعترفون بذلك ، وكان يستحضر كثيراً من التفسير والتاريخ، قليل النسيان ، وكان فقيها جيد الفهم صحيح الذهن .

وقال عنه الحسينى في ذيل تذكرة الحفاظ : هو الشيخ الإمام العالم الحافظ المفيد البارع عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن ذرع البصروي الأصل الدمشقي الشافعي.

وقال عنه الإمام السيوطي في ذيل تذكرة الحفاظ : هو الإمام المحدث الحافظ ذو الفضائل عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير بن ضوء بن كثير القيسي البصروي.

مصنفاته :

اشتملت مصنفات الحافظ ابن كثير على موسوعة تفسيرية وحديثية وتاريخية ، وقد غلب طابع التحديث عليها ، فمن مؤلفاته في القرآن وعلومه : تفسير القرآن العظيم ، فضائل القرآن ، قاعدة ابن كثير في القراءات ، مقدمة في قراءة ابن كثير . أما في علوم الحديث فقد صنف الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث ، مسند الفاروق أمير المؤمنين رضي الله عنه وأقواله على أبواب العلم ، أحاديث التوحيد والرد على الشرك ، التكميل في الجرح والتعديل ومعرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل ، جامع المسانيد والسنن الهادى لأقوم سنن.

أما مؤلفاته في التاريخ والسيرة فهي السيرة النبوية وكتاب البداية والنهاية . وله مصنفات كثيرة سوى ما ذكرنا.

وفاته :

توفي رحمه الله في يوم الخميس سادس وعشرين من شعبان سنة أربع وسبعين وسبعمائة بدمشق .

المصادر . ذيل تذكرة الحفاظ للحسيني (ص ٥٧ - ٥٨) ، ذيل تذكرة الحفاظ للسيوطي (ص ٣٦١ - ٣٦٢) ، شذرات الذهب (٦/ ٢٣١ - ٢٣٢)، المنهل الصافي (٢/ ٤١٤ - ٤١٦).

ترجمة الحافظ ابن حجر[1]

رحمه الله تعالى

هو الإمام الحافظ العلامة إمام الأئمة ، وعمدة المحققين ، سيد الحفاظ شيخ الإسلام شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني العسقلاني المصري ثم القاهري الشافعي ، ويعرف بابن حجر وهو لقب لبعض آبائه[2].

---

(١) ترجم له تلميذه السخاوي ترجمة رائعة في كتابه القيم «الجواهر والدرر» ويقع في جزءين ، وهو مخطوط بدار الكتب المصرية ، ميكروفيلم رقم : ١٧٩٥٣ ، وقد طالعت بعضه.

وقد ترجم لنفسه - رحمه الله - في «رفع الإصر» ، وفي «اتباع الأثر في رحلة ابن حجر»، وذكر شيوخه في كتاب «المعجم المفهرس» ، وهو في مجلدين ، وذكر فيه ستمائة شيخ عدا من تحمل عنه من الأقران.

(٢) مصادر الترجمة :

رفع الإصر عن قضاة مصر (٨٥ - ٨٨) ، والضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٢/ ٣٦ - ٤٠) ، والمنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي (٢/ ١٧ - ٣٢)، وتوضيح المشتبه لابن ناصر (٣/ ١٢٩) ، وذيل التقييد للفاسي المكي (١/ ٣٥٢ - ٣٥٧) وذيل تذكرة الحفاظ لابن فهد (٣٢٦-٣٤٣)، وذيل تذكرة الحفاظ للسيوطي (٣٨٠)، وحسن المحاضرة (١/ ٣٦٣ - ٣٦٦) ، وشذرات الذهب (٧/ ٢٧٠ - ٢٧٣) ، والرسالة المستطرفة (ص ١٦٢) والبدر الطالع (١/ ٨٧ - ٩٢) ، وفهرس الفهارس والأثبات للكتاني (١/ ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٣١ إلى آخر الترجمة)، وفيه ترجمة حافلة =

ولد في الثاني عشر من شعبان سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة بمصر العتيقة ونشأ بها يتيمًا في كنف أحد أوصيائه ، فحفظ القرآن وهو ابن تسع سنين وحبب إليه العلم ، وتولع بالنظم ، وبرع فيه ، ونظم الشعر الكثير المليح ودرس الفقه والعربية ، والقراءات وغيرها من العلوم على أفذاذ عصره ، وجَدَّ في الفنون حتى بلغ الغاية ، وحبب إليه الحديث ، وأقبل عليه بكليته وطلبه من سنة ٧٩٣ هـ إلى وفاته.

ولزم الزين العراقي سنة ٧٩٦ هـ فعكف عليه وتخرج به وانتفع بملازمته وقرأ عليه ألفيته ، وشرحها ، ونكته على ابن الصلاح دراية وتحقيقًا ، والكثير من الكتب الكبار ، والأجزاء القصار ، وحمل عنه من أماليه جملة ، واستملى عليه بعضها .

وارتحل إلى البلاد الشامية والمصرية والحجازية ، وأكثر جدا من المسموع والشيوخ ، فسمع العالي والنازل ، وأخذ عن الشيوخ والأقران فمن دونهم ، واجتمع له من الشيوخ المشار إليهم والمعول في المشكلات عليهم مالم يجتمع لأحد من أهل عصره ؛ لأن كل واحد منهم كان متبحرًا في علمه ورأسًا في فنه الذي اشتهر به ، فمنهم التنوخي في معرفة القراءات وعلو سنده فيها ، والعراقي في معرفة

= للحافظ - رحمه الله - والأعلام للزركلي (١/ ١٧٤) ، وهداية العارفين (١/ ١٢٨ - ١٣٠).

علوم الحديث ومتعلقاته ، والهيثمي في حفظ المتون واستحضارها ، والبلقيني في سعة الحفظ وكثرة الإطلاع ، وابن الملقن في كثرة التصانيف ، والمجد الفيروزابادي في حفظ اللغة واطلاعه عليها ، والغماري في معرفة العربية ومتعلقاتها ، وكذا المحب بن هشام ، والعز بن جماعة في تفننه في علوم كثيرة ، حيث يقول : أنا أقرأ في خمسة عشر علمًا ، لا يعرف علماء عصري أسماءها .

وأذن له جلهم أو جميعهم في الإفتاء والتدريس ، وتصدى لنشر الحديث وقصر نفسه عليه ، مطالعة ، وقراءة ، وإقراء ، وتصنيفًا ، وإفتاءً.

وشهد له أعيان عصره بالحفظ ، وزادت تصانيفه التي معظمها في فنون الحديث ، وفيها من فنون الأدب والفقه والأصلين وغير ذلك على مائة وخمسين تصنيفًا ، ورزق فيها من السعد والقبول مالم يرزق غيره.

وولي القضاء أكثر من مرة ، وزهد فيه زهدًا تامًا ، لكثرة ما توالى عليه من الأنكاد والمحن .

ودرَّس في عدة مدارس ، كالتفسير بالحسينية ، والمنصورية ، والحديث بالبيبرسية ، والجمالية المستجدة ، والحسينية ، والزينبية ، والشيخونية ، والصالحية النجمية وغيرها وولى مشيخة البيبرسية

ونظرها ، والإفتاء بدار العدل ، والخطـابة بالجامع الأزهر ، ثم بجامع عمرو بن العاص.

وخزن الكتب بالمحمودية وأشياء غير ذلك ، مما لم يجتمع له في آن واحد.

وأملى ما ينيف على ألف مجلس من حفظه .

واشتهر ذكره ، وبعد صيته ، وارتحـل الأئمة إليه ، وتبجح الأعيان بالوفود عليه ، وكثرت طلبتـه حتى كان رءوس العلماء من كل مذهب من تلامذته .

وأخذ الناسُ عنه طبقة بعد طـبقة ، ولحق الأبناء بالآباء والأحفاد ، وأبناءهم بالأجداد ولم يجتمع عند أحد مجموعهم ، وقهرهم بذكائه، وتفوق تصـوره ، وسرعة إدراكه ، واتساع نظـره ، ووفور أدبه ، كل ذلك مع شدة تـواضعه وحلمه وبهـائه ، وتحريه في مأكلـه ومشربه ، وملبسه ، وصيامه وقيامه ، وبذله ، وحسن عشرته ، ومزيد مداراته، ولذيذ محاضراته ، ورضى أخلاقه ، وميله لأهل الفضائل ، وإنصافه في البحث ورجوعه إلى الحق ، وخصاله التي لم تجتمع لأحد من أهل عصره .

وقد شـهد لـه الـقدماء بالحـفظ والثـقة والأمانة والمـعرفة التـامة ، والـذهن الـوقـاد ، والذكـاء المـفرط ، وسـعـة الـعلـم فـي فنـون

شتى . . . . [1] .

واستمر - رحمه الله - على طريقته في تحصيل العلم وتدريسه حتى توفي في أواخر ذي الحجة سنة اثنتيــن وخمسين وثمانمائة ، ودفن تجاه تربة الديلمــي بالقرافة ، وتزاحم الأمراء والكبراء علــى حمل نعشه ، رحمه الله تعالى .

---

(١) اختصرت هذه الترجمة من الضوء اللامع لــلسخاوي ، وفي ثناء الأئمة عليه ، وأهم من أخذ عنه العلــم ، وذكر شيوخه يرجع لكتاب «الجواهر والــدرر» للسخاوي ، فقد جمع كل ذلك مع سرد مــسموعاته ومصنفاته ، وانظر كذلــك المصادر المذكورة آنفًا ، والله المستعان .

مصنفات الحافظ رحمه الله

قال الحافظ السخاوي : وزادت تصانيفه التي معظمها في فنون الحديث ، وفيها من فنون الأدب والفقه والأصلين وغير ذلك ، على مائة وخمسين تصنيفًا ، ورزق فيها من السعد والقبول خصوصًا فتح الباري . . . إلى آخره .

وقال ابن فهد المكي في لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ (٣٣٢) : وألف التآليف المفيدة المليحة الجليلة السائدة الشاهدة له بكل فضيلة الدالة على غزارة فوائده ، والمعربة عن حسن مقاصده ، جمع فيها فأوعى ، وفاق أقرانه جنسًا ونوعا ، التي تشنفت بسماعها الأسماع ، وانعقد على كمالها لسان الإجماع ، فرزق فيها الحظ السامي عن اللمس ، وسارت بها الركبان سير الشمس» اهـ .

قلت : وقد جمعت ما ذكر في ترجمته من مصنفات ثم رتبتها على حروف المعجم ، ليسهل الوقوف عليها ، فدونك أسماءها :

(١) الأبدال العليات من الخلعيات لأبي الحسن الخلعي «تخريج» .

(٢) الأبدال العوالي ، والأفراد الحسان من مسند الدارمي عبد الله ابن عبد الرحمن «تخريج».

(٣) الأبدال المستصفيات من الثقفيات «تخريج» .

(٤) اتباع الأثر في رحلة ابن حجر .

(٥) الإتقان في فضائل القرآن .

(٦) اتحاف المهرة بأطراف العشرة .

(٧) الإجزاء بأطراف الأجزاء.

(٨) الأجوبة المشرقة على المفرقة .

(٩) الاحتفال ببيان أحوال الرجال زيادة على ما في تهذيب الكمال.

(١٠) الإحكام لبيان ما في القرآن من الإبهام .

(١١) الأربعون العالية لمسلم على البخاري . «تخريج».

(١٢) الأربعون المتباينة والعشارية من حديث العراقي . «تخريج».

(١٣) الأربعون المختارة عن شيوخ الإجازة للمراغي. «تخريج».

(١٤) الأربعون المهذبة في الأحاديث الملقبة .

(١٥) أسباب النزول .

(١٦) الاستبصار على الطاعن المعثار .

(١٧) الاستدراك على تخريج أحاديث الإحياء للعراقي .

(١٨) الاستدراك على نكت ابن الصلاح لشيخه العراقي . «ولم يتمه» .

(١٩) الأصلح في غير الأفصح .

(٢٠) أطراف الأحاديث المختارة للضياء المقدسي .

(٢١) أطراف الصحيحين على الأبواب والمسانيد .

(٢٢) أطراف كتاب شرح معاني الآثار للطحاوي ، وسنن الدارقطني .

(٢٣) أطراف المسند المعتلي بأطراف المسند الحنبلي .

(٢٤) الإعجاب ببيان الأنساب وقع في الهدية : الأسباب .

(٢٥) أفراد مسلم على البخاري .

(٢٦) الإعلام بمن سمي محمداً قبل الإسلام .

(٢٧) الإعلام بمن ولي مصر في الإسلام .

(٢٨) إقامة الدلائل على معرفة الأوائل .

(٢٩) الأمالي الحديثية . وعدتها أكثر من ألف مجلس ، وتشمل الأمالي الحلبية ، والدمشقية ، وغيرهما .

(٣٠) الإمتاع بالأربعين المتابينة بشروط السماع .

(٣١) الإنارة بطرق حديث الزيارة .

(٣٢) الانتفاع بترتيب الدارقطني على الأنواع .

(٣٣) انتقاض الاعتراض .

(٣٤) إنباء الغمر بأنباء العمر .

(٣٥) الأنوار بخصائص المختار .

(٣٦) الإيثار برجال الآثار .

(٣٧) الآيات النيرات بخوارق المعجزات .

(٣٨) الإيضاح بنكت ابن الصلاح .

(٣٩) الإيناس بمناقب سيدنا العباس رضى الله عنه .

(٤٠) البحث عن أحوال النفث .

(٤١) بذل الماعون في فضل الطاعون .

(٤٢) البسيط المبثوث بخبر البرغوث .

(٤٣) بغية الراوي بأبدال البخاري . «تخريج».

(٤٤) بلوغ المرام في أحاديث الأحكام .

(٤٥) البيان الفصل بما رجح فيه الإرسال على الوصل .

(٤٦) بيان ما أخرجه البخاري عالـيًا عن شيخ أخرج ذلك الحديث أحد الأئمة عن واحد عنه .

(٤٧) تأليف فيمن روى عن أبيه وجده .

(٤٨) تبيين العجب فيما ورد في صوم رجب .

(٤٩) تجريد الوافي بالوفيات للصفدي .

(٥٠) تحفة أهل التحديث عن شيوخ الحديث .

(٥١) تخريج أحاديث الأذكار[١].

(٥٢) تخريج الأحاديث المتقطعة في السيرة الهاشمية .

(٥٣) تخريج أحاديث شرح التنبيه للزنكلوني «ولم يتمه».

(٥٤) تخريج أحاديث مختصر ابن الحاجب .

(٥٥) تخريج أحاديث مختصر الكفاية «ولم يتمه».

(٥٦) تخريج المصابيح .

(٥٧) التذكرة الأدبية . «في أربعين جزءًا».

(٥٨) التذكرة الحديثية «عشر أجزاء».

---

(١) وتخريج أحاديث الأربعين للنووي.

(٥٩) ترتيب العلل على الأنواع .

(٦٠) ترتيب فوائد تمام .

(٦١) ترتيب المبهمات على الأبواب .

(٦٢) ترتيب المتفق والمفترق للخطيب .

(٦٣) ترتيب مسند الطيالسي .

(٦٤) ترتيب مسند عبد بن حميد .

(٦٥) تسديد القوس في أطراف مسند الفردوس .

(٦٦) تعجيل المنفعة في رجال الأربعة .

(٦٧) تعريف الفئة فيمن عاش في هذه الأمة بعد مائة .

(٦٨) تعريف أولي التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس .

(٦٩) التعليق على مستدرك الحاكم . «لم يكمله».

(٧٠) التعليق على موضوعات ابن الجوزي . «لم يكمله».

(٧١) تغليق التعليق ، واختصره بالتشويق ، واختصر التشويق في التوفيق .

(٧٢) التفريج على التدبيج .

(٧٣) تقريب الغريب في غريب البخاري .

(٧٤) تقريب المنهج بترتيب المدرج .

(٧٥) تقويم السناد بمدرج الإسناد .

(٧٦) تلخيص البداية والنهاية لابن كثير .

(٧٧) تلخيص الترغيب والترهيب للمنذري .

(٧٨) تلخيص التصحيف للدارقطني .

(٧٩) تلخيص الجمع بين الصحيحين .

(٨٠) تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير .

(٨١) تلخيص مغازي الواقدي .

(٨٢) التمييز في تخريج أحاديث شرح الوجيز .

(٨٣) توالى التأسيس بمعالي ابن إدريس .

(٨٤) ثنائيات الموطأ «تخريج» .

(٨٥) الجامع الكبير من سنن البشير النذير «لم يكمله» .

(٨٦) جزء في الكلام على الخيل .

(٨٧) الجواب الجليل فيما يرد على الحسيني وأبي زرعة .

(٨٨) الجواب الجليل عن حكم بلد الخليل .

(٨٩) الجواب الشافي عن السؤال الخافي .

(٩٠) حواشي الروضة «لم يكمله».

(٩١)خبر الثبت في صيام يوم السبت .

(٩٢) اختصار نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية .

(٩٣) الخصال المكفرة في الذنوب المتقدمة والمتأخرة .

(٩٤) الخصال الموصلة للظلال .

(٩٥) خماسيات الدارقطني . «تخريج» .

(٩٦) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة .

(٩٧) ديوان الخطب الأزهرية .

(٩٨) ديوان الخطب القلعية .

(٩٩) ديوان شعر .

(١٠٠) الرحمة الغيثية بالترجمة الليثية .

(١٠١) ردع المجرم في الذب عن عرض المسلم .

(١٠٢) رسالة العزية في الحساب .

(١٠٣) رفع الإصر عن قضاة مصر .

(١٠٤) زهر الفردوس .

(١٠٥) الزهر المطول في الخبر المعلول .

(١٠٦) الزهر النضر في أخبار الخضر .

(١٠٧) زوائد الأدب المفرد للبخاري .

(١٠٨) زوائد الكتب الأربعة مما هو صحيح . «لم يكمله» .

(١٠٩) زوائد مسند الحارث على الستة ، ومسند أحمد .

(١١٠) زيادات بعض الموطآت على بعض .

(١١١) السبع السيارة . «مختصر من ضوء الشهاب» .

(١١٢) الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ، والاستدراك عليه . «لم يكمله» .

(١١٣) شرح ألفية السيرة للعراقي . «لم يكمله» .

(١١٤) شرح الترمذي . «لم يكمله» .

(١١٥) شرح مناسك المنهاج للنووي .

(١١٦) شفاء الغلل في بيان العلل .

(١١٧) الشمس المنيرة في تعريف الكبيرة .

(١١٨) ضوء الشهاب . «مختصر» .

(١١٩) ضياء الأنام بعوالي الشيخ البلقيني شيخ الإسلام . «تخريج» .

(١٢٠) طبقات الحفاظ .

(١٢١) طرق حديث : «الأئمة من قريش» . يسمى : لذة العيش .

(١٢٢) طرق حديث : «أولى الناس بي» .

(١٢٣) طرق حديث جابر : «في البعير» .

(١٢٤) طرق حديث : «تعلموا الفرائض» .

(١٢٥) طرق حديث : «حَجَّ آدمُ موسى» .

(١٢٦) طرق حديث : «الصادق المصدوق» .

(١٢٧) طرق حديث : «صلاة التسبيح» .

(١٢٨) طرق حديث : «الغسل يوم الجمعة». من رواية نافع عن ابن عمر خاصة.

(١٢٩) طرق حديث : «قبض العلم» .

(١٣٠) طرق حديث : «القضاة ثلاثة».

(١٣١) طرق حديث : «لو أن نهرًا ، أيظن أحدكم».

(١٣٢) طرق حديث : «ماء زمزم لما شرب له».

(١٣٣) طرق حديث : «مثل أمتي كالمطر».

(١٣٤) طرق حديث : «المجامع في رمضان».

(١٣٥) طرق حديث : «المسح على الخفين».

(١٣٦) طرق حديث : «المغفرة».

(١٣٧) طرق حديث : «من بنى لله مسجدًا».

(١٣٨) طرق حديث : «من صلى على جنازة ، فله قيراط».

(١٣٩) طرق حديث : «من كذب عليَّ متُعمدًا».

(١٤٠) طرق حديث : «نضر الله امرءًا».

(١٤١) طرق حديث : «يا عبد الرحمن ، لا تسأل الإمارة. . .».

(١٤٢) الاعتراف بأوهام الأطراف .

(١٤٣) عجب الدهر في فتاوى شهر .

(١٤٤) عرائس الأساس في مختصر أساس البلاغة للزمخشري .

(١٤٥) عشاريات الصحابة .

(١٤٦) عشرة العاشر .

(١٤٧) فتح الباري .

(١٤٨) الفرائد المجموعة بأطراف الأجزاء المسموعة على الأبواب والمسانيد .

(١٤٩) فهرسة المرويات .

(١٥٠) فهرسة مروياته .

(١٥١) فوائد الاحتفال في أحوال الرجال المذكورة في البخاري.

(١٥٢) الفوائد الجمة فيمن يجدد الدين لهذه الأمة .

(١٥٣) قذى العين من نظم غريب البين.

(١٥٤) القصارى في الحديث .

(١٥٥) القصد الأحمد فيمن كنيته أبو الفضل ، واسمه أحمد .

(١٥٦) قوت الحجاج في عموم المغفرة للحاج .

(١٥٧) القول المسدد في الذب عن مسند أحمد .

(١٥٨) كتاب المسألة السريجية . «لم يكمله».

(١٥٩) كشف الستر بركعتي الوتر .

(١٦٠) الكلام على حديث : «إن امرأتي لا ترد يد لامس».

(١٦١) الكافي الشافي في تخريج أحاديث الكشاف . وأظنه هو كتاب الشافي المتقدم .

(١٦٢) اللباب في شرح قول الترمذي : وفي الباب .

لذة العيش بجمع طرق حديث «الأئمة من قريش» وقد تقدم .

(١٦٣) لسان الميزان .

(١٦٤) المائة العشارية من حديث البرهان الشامي . «تخريج» .

(١٦٥) الامتنان في رواية الأقران .

(١٦٦) المؤتمن في جمع السنن . «لم يكمله».

(١٦٧) المجالس مخطوط بخط البقاعي .

(١٦٨) المجمع المؤسس بالمعجم المفهرس .

(١٦٩) المجموع العام في آداب الشراب والطعام ودخول الحمام .

(١٧٠) المختار المعتمد من مسند البزار على الكتب الستة ومسند أحمد.

(١٧١) مختصر البداية والنهاية . (وقد مر في التلخيص)

(١٧٢) مختصر تلبيس إبليس .

(١٧٣) مختصر العروض .

(١٧٤) مختصر غبطة الناظر في مناقب الشيخ عبد القادر الجيلانى.

(١٧٥) مزيد النفع بمعرفة ما رجح فيه الوقف على الرفع .

(١٧٦) مسلسلات الإبراهيمي .

(١٧٧) مشيخة ابن أبي المجد الذين تفرد بهم . «تخريج».

(١٧٨) مشيخة ابن الكويك الذين أجازوا له . «تخريج».

(١٧٩) مشيخة القباني وفاطمة . «تخريج» .

(١٨٠) معجم شيوخه .

(١٨١) المعجم الكبير للشامي . «تخريج» .

(١٨٢) المغترب في بيان المضطرب .

(١٨٣) المطالب العالية في زوائد المسانيد الثمانية .

(١٨٤) المقرر في شرح المحرر . «لم يكمله».

(١٨٥) المقصد الأحمد فيمن كنيته أبو الفضل واسمه أحمد . (وهو

كتاب القصد المتقدم) .

(١٨٦) ملخص ما يقال في الصباح والمساء .

(١٨٧) المنحة فيما علق الشافعى القول به على الصحة .

(١٨٨) مناسك الحج .

(١٨٩) المهمل من شيوخ البخاري .

(١٩٠) النبأ الأنبه في بناء الكعبة .

(١٩١) انتقاض الاعتراض . مجلد أجاب فيه عن اعتراض العيني عليه في شرح البخاري .

(١٩٢) نزهة الألباب في الألقاب .

(١٩٣) نزهة السامعين في رواية الصحابة عن التابعين .

(١٩٤) نزهة القلوب في معرفة المبدل والمقلوب .

(١٩٥) نزهة النواظر . «مجموعة».

(١٩٦) نظم وفيات المحدثين . «لم يكمله» .

(١٩٧) النكت الظرف على الأطراف .

(١٩٨) النكت على تنقيح الزركشيّ . «لم يكمله» .

(١٩٩) النكت على جمع الجوامع . «لم يكمله» .

(٢٠٠) النكت على شرح ألفية العراقي . «لم يكمله» .

(٢٠١) النكت على شرح صحيح مسلم . «لم يكمله» .

(٢٠٢) النكت على شرح العمدة لابن الملقن . «لم يكمله» .

(٢٠٣) النكت على شرح المهذب . «لم يكمله» .

(٢٠٤) النكت على نكت العمدة للزركشي .

(٢٠٥) هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة .

(٢٠٦) هدي الساري .

(٢٠٧) الواف بآثار الكشاف .

التوصيف العلمي للنسخة الخطية :

الصورة الخطية التي اعتمدنا عليها في عملنا هي عن نسخة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٢٢ تاريخ ضمن مجموعة

عدد أوراقها : ٦٦ ورقة .

ومقياس الورقة : ١٦ × ٢٦ سنتيمتر .

وعدد الأسطر متبانية ، وكذلك عدد الكلمات في السطر الواحد.

والنسخة بقلم الحافظ ابن حجر نفسه ، وقد أضاف تعليقات كثيرة في الهامش وكلها بقلمه رحمه الله تعالى .

وعلى غلاف النسخة جاء فيها : ما ورد من الرواية في البداية والنهاية . . . مختصر من تاريخ الحافظ عماد الدين ابن كثير ، انتخاب كاتبه أحمد بن علي بن محمد بن حجر ، عفا الله تعالى عنه.

وهو بخط الحافظ رحمه الله تعالى .

وعلى النسخة تملك للحافظ محمد مرتضى الزبيدي (١١٤٥ - ١٢٠٥) وهي بخطه وقد كتب على الطرف الأيسر للغلاف : تحت نظر العبد لله أبي الفيض محمد مرتضى الحسيني ، غفر له بمنه وكرمه.

والنسخة كلها بخط الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى - وهو من الخطوط التي تصعب قراءتها بل تستحيل قراءتها أحيانا ، ويبدو أنه قد

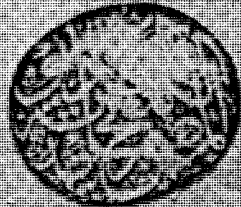
كتبها في مـقتبل شبابه كمختـصر له ، فكتبها في غايـة من السرعة - فيما يبدو لي - وكان كأنه لا يرفع قلمـه عن الكتابة ، وكتابته متصلة بعضها إلى بعض خالية من التنقيط غالبًا .

وهنـاك إلحاقات بخـطه بطول الـكتاب ، وقـد اختلف قـلمه فيـها أحيانا .

وعناوين الأبواب والفصول أو بداية القصة كتبها بخط أكبر سميك .

وأما بشـأن توثيق نسـبة الكتاب لمـؤلفه ، فالـكتاب بخط المـصنف نفسه، وهو خط مميز مشهور كما ذكرنا .

صور المخطوط التي اعتمدنا عليه
في إخراج هذا الكتاب
وهي بقلم
الحافظ ابن حجر العسقلاني
رحمه الله تعالى



صورة الغلاف للكتاب

صورة الوجه الأول من الورقة الأولى من المخطوطة

صورة الوجه الثاني من الورقة الأولى من المخطوطة

صورة الوجه الأول من الورقة رقم ٥٩ من المخطوطة

صورة الوجه الثاني من الورقة رقم ٥٩ من المخطوطة

صورة الوجه الأول من الورقة الأخيرة من المخطوطة

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

صورة الوجه الثاني من الورقة الأخيرة من المخطوطة

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ للَّه ؛ رَبَّنَا آتنَا من لَّدُنكَ رَحْمَةً

الحمد لله ، الأول بلا بداية ، الآخر بلا نهـاية ، الظاهر فليس فوقه شيء، الباطن فليس دونه شيء ، سبحانـه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيـرًا ، وصلى اللـه على سيـدنا محمـد الذي أرسله إلـى الناس بشـيرًا ونذيرًا، صلى الله عليه ،وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فهذا تـلخيص ما وجدتـه من كتاب البدايـة والنهاية ، للإمـام عماد الدين إسماعـيل بن عُمر بن كثير، كتـبته لنفسي ولمن ينتـفع به، والغرض ذكر ما تـضمنه كتابـه من أخبار الأوائل، مـن الأنبياء وغيرهـم، إلى زمن نبينا ﷺ .

وأما السيـرة النبوية، وأخبـار الخلفاء فمن بـعدهم، فلم أكتـب منه شيئًا؛ لكثرة التصانيف فيه.

وكذلـك ما أخـبر به مـن الأخبـار عن الـفتن والملاحـم، والبـعث والنشـور، والسبب في الـتصدي لذلك - مـع كثرة اشتغـالي - أن الإمام المذكور حافظ كثيـر الاطـلاع ، والمعنـيان المـذكوران فـي الـبداية والنهاية قل من اعتنى بهما حق الاعتناء ، ومن كـتب فيهما أو في أحدهـما لا يميز

بين الصحيح والسقيم ، ولا يعزو الأحاديث إلى مخرجيها فحداني ذلك على تلخيصه ؛ لما اشتمل عليه من التطويل والإعادة ، وإن كان ذلك لا يخلو من فائدة ، لكن القصة تحصل بما كتبته إن شاء الله تعالى[1].



(١) في هامش الأصل كلام بخط الحافظ لم أتبينه .

فمن المقدمة

قال الله تـعالى : ﴿ كَذَلِكَ نَـقُصُّ عَلَيْكَ مِـنْ أنبَاء مَا قَـدْ سَبَقَ ﴾[(١)] وقـال تـعــالى : ﴿ [نَحْنُ][(٢)] نَقُـصُّ عَلَيْكَ مِنْ أنبَاء الـرُّسُــــلِ مَا نُثَبِّتُ بِه فُؤَادَكَ ﴾[(٣)] وقال تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾[(٤)] .

وقد قص الله تعـالى على نبيه خبر ما مضى مـن المخلوقات ، وبيّن النبي ﷺ ذلك لأمته بيانًا شافيًا .

وروى البُخاري ، عن عـبد الله بن عَمرو بن الـعاص أن رسول الله ﷺ[(٥)] قال :

« بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً ، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا حَرَجَ، وَحَدِّثُوا عَنِّي، وَلا تَكْذِبُـوا عَلَيَّ ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّــدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْـعَـدَهُ مِنَ النَّارِ » .

وهذا محمول علـى الإسرائيليات المسكوت عنها ، فـيجوز روايتها

---

(١) طه : ٩٩ .

(٢) كذا بالأصل ، والآية : ﴿ وكلا . . . . .به فؤادك ﴾ .

(٣) هود : ١٢٠ .

(٤) يوسف : ٣ .

(٥) تكرر من الناسخ : أن رسول الله ﷺ .

للاعتبار .

وعن طارق بن شهاب ، سمعت عمر بن الخطاب يقول : « قامَ فينَا رسُــولُ الله ﷺ مقامًا، فـأَخْبَرَنَا عَن بَـدْءِ الْخَلْقِ ، حتّى دخــلَ أهْلُ الْجنّةِ مَنازِلَهُــمْ ،وأهْلُ النّارِ مَنَازِلَهُمْ ، حفِظَ ذَلِكَ مَنْ حَـفِظَهُ ، ونَسيَهُ مَن نَسيَهُ » .

رواه البخاري تعليقًا ؛ ووصله أبو نعيم في مستخرجه.

وعن أبي زيد الأنصاري قال : « صلّـى بنا رسُولُ الله ﷺ صلاةَ الصُّبْحِ ، ثُمّ صَعَدَ الْمنبرَ ، فَخَطَبَنا حتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ ، (ق٢/ب) ثُمّ نَزلَ فصلّى الظُّهْرَ ، ثُمّ صَعَدَ الْمِنبرَ ، فـخطبنا حتّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ ، ثمّ نزلَ فصلّى الْعَصْرَ . ثمّ صـعدَ المنبرَ ، فخطبَنا حتّى غابَتِ الـشّمْسُ ، فَحَدَّثَنا بِما كانَ ،وما هُوَ كائنٌ ، فَأعْلَمُنا أحْفَظُنا » .

رواه أحمد كذا ، وأخرجه مسلم بنحوه .

وعن أبي سعيد قال : « خَطَبَنا رسـولُ اللهِ ﷺ خُطْبَةً بعد العصرِ إلى مَغْرِبانِ الشّمْسِ ، حَفِظَها مَنْ حفظها ، ونَسيَها من نسيها » .

وفي لفـظ : « صَلَّى بِنا رسُـولُ اللهِ ﷺ صلاةَ العـصرِ ذَات يَوْمٍ بِنَهارٍ ، ثم قامَ فخـطبنا إلى أنْ غابَتِ الشّمْسُ ، فَلَمْ يَدَعْ شـيئًا ممّا يكُونُ إلى يوْمِ الـقيامةِ إلا حَـدّثناهُ ، حَفِـظَ ذَلك مَنْ حَفِـظَهُ ، ونسيَ ذلِــك مَن نَسِــيَهُ » .

رواه أحمد بإسنـادين مدارهما على عليّ بن زيـد بن جدعان ، وهو ضعيف .



باب بيان أول المخلوقات

عن أبي رزين العقيلي أنه قال : « يا رسولَ الله ، أيْنَ كانَ ربُّنا قَبْلَ أن يَخْلُقَ السّمـوات والأرْضَ ؟ قالَ : كانَ في عَماءٍ[1] ، مَا تَحْتَهُ هَواءٌ ، وَمَا فوقَهُ هَواءٌ ، ثم خلقَ عَرشَهُ على الماء » .

رواه أحمد ، والترمذي وقال : حسن .

وعن عبادة بن الصامت قال : « قالَ رسولُ الله ﷺ : إنّ أوّلَ ما خلَقَ اللهُ : الْقَـلَمَ ، ثم قالَ لهُ : اكْتُبْ ، فجرى في تِلْكَ الـسنة بِما هو كَائِنٌ إلى يومِ القِيامَةِ » .

رواه أحمد ، والترمذي وقال : حسن صحيح غريب .

ونقل الحافظ أبو الـعلاء الهمداني والجمهور : أن العـرش خلق قبل ذلك ،بدليل ما رواه مسلم؛ عن عبد الـله بن عمرو بن العاص : سمعت رسول اللـهﷺ يقول : « كَتَبَ الـلهُ مقاديرَ الخـلائق مِن قَبْلِ أن يَـخْلُقَ السمواتِ والأرضَ بخَمْسينَ ألفَ سنةٍ ،وعرشُهُ على الْماءِ » .

قالوا : فهذا التقدير هو كتابتـه بالقلم المقادير ، وقد دلّ هذا الحديث أن ذلك بعد خلق العرش ، فثبت تقدم العرش على القلم،ويحمل حديث القـلم على أنـه أول المخـلوقـات من هذا العـالم ، ويكون الـعرش أول

---

(١) العماء بالفتـح والمد : السحاب . قال أبو عبيد : لا يُدرَى كيـف كان ذلك العماء؟. النهاية في غريب الحديث والأثر : (٣/ ٣٠٤) .

المخلوقات .

رواه ابن جرير من طريق الضحاك ، عن ابن عباس .

وعن عمران بن حصين قال : « قال أهْلُ اليمنِ لرسولِ اللهِ ﷺ : جئْناكَ لِنَتَـفَقَّهَ في الدِّينِ؛ ولِنَسْألَكَ عَنْ أولِ هَذا الأمْـرِ . فقال : كان اللهُ ولَمْ يكُـن شَيْءٌ قبلَهُ - وفي روايـة : ولم يكن شيءٌ مَعَـهُ ، وفي رواية: غيـره - وكانَ عَرْشُـهُ على المـاءِ ،وكتـبَ في الذِّكْـرِ كُلَّ شيءٍ ، وخـلق السمواتِ والأرضَ ، وفي رواية : ثم خلق السمواتِ والأرضَ » .

فسألوه عن ابـتداء خلق السموات والأرض ، ولهذا قـالوا : جئناك نسألك عن أول هذا الأمر ، فأجابهم عما سألوه فقط ،ولم يخبرهم بخلق العرش ، كما أخبر به في حديث أبي رزين .

وروى السدي عن شيوخه ، وعن ناس من الصحابة : « أن الله كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئًا غير ما خلق قبل الماء » .

وعن ابن إســحاق قال : « أول ما خلق الله النور والظلمـة ، ثم ميّز بينهما ، فجعل الظلمة ليلا ، والنور نهارًا .



باب صفة العرش والكرسي (ق٣/١)

عن العباس بن عبد المطلب قال : « كُنَّا جُلوسًا عِندَ رسولِ اللهِ ﷺ بالْبَطْحَاءِ ، فمرَّتْ سحابَةٌ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ : أتَدْرُونَ ما هذا ؟ قالَ : قُلْنَا : السَّحابُ . فقالَ : والْمُزْنُ[1] . قُلنا : والمزن . قال : والْعَنَانُ[2] . قال : فسكَتْنا ، فقال : هَلْ تَدْرُونَ : كَمْ بين السماءِ والأرضِ ؟ قال : قُلْنا: اللهُ ورسولُهُ أعْلَمُ . قال : بينَهما مسيرةُ خَمْسمائَةَ سنةٍ ،وبينَ كلِّ سماءٍ مسيرَةُ خمسمائةِ سنةٍ ، وكثف كل سماءٍ مسيرة خمسمائةِ سنةٍ ، وفوق السماءِ السابعةِ [بحر][3] أسْفَلُهُ وأعلاهُ كما بين السماءِ والأرضِ، ثم فوقَ ذلكَ ثمانيَةُ أوعال[4] بين رُكَبِهنَّ وأظْلافِهنَّ[5] كما بين السماءِ والأرضِ ، ثم فوق ذلك العرشُ، بين أسْفَلِهِ وأعلاهُ كما بين السماءِ والأرضِ » الحديث .

رواه أحمد واللفظ له ، وأبو داود والترمذي وابن ماجة. قال الترمذي : حديث حسن.

---

(١) المزن : هو الغيم والسحاب ، واحدته : مزنة . وقيل: هي السحابة البيضاء . النهاية: (٤/ ٣٢٥) .

(٢) العنان: السحاب ، والواحدة : عنانة . النهاية : (٣/ ٣١٣) .

(٣) من البداية .

(٤) أي ملائكة على صورة الأوعال. وهم تُيُوس الجَبَل؛ وَاحِدُها: وَعِل - بكسر العَيْن - النهاية : (٥/ ٢٠٧).

(٥) الظِّلْف: للبقر والغنم ، كالحافر للفرس والبغل ، والخف للبعير . النهاية: (٣/ ١٥٩).

ولفظ أبي داود : قال : « هلْ تَدْرُونَ بُعْـدُ ما بين السماء والأرضِ ؟ قالوا : لا ندري . قـال : « بعد مـا بينهـما إما واحـدة، أو اثنين ، أو ثـلاثة وسبعون سنة » . والباقي نحوه .

وعن جبير بن محـمد بن جبير بن مطعم ، عن أبـيه ، عن جـده قال : « أتَى رسُولَ الـلهِ ﷺ أعرابيٌّ ، فقال : يا رسولَ الـلهِ ، جَهَدتِ الأنفُسُ ، وجـاعَتِ الْعِيالُ ، وهلَـكَتِ الأنعامُ ، فاسْـتَسْقِ اللهَ لنـا ، فإنّا نَسْتَشْفِعُ بك على اللهِ ، ونستشـفعُ باللهِ عليْكَ . فقال رسول الله ﷺ : وَيْحكَ ، أتَدْرِي ما تقولُ ؟ وسَبَّحَ رسولُ الله ﷺ ، فما زال يُسَبّحُ حتّى عَرَفَ ذلك وُجُوهُ أصـحابِهِ . قال : ويحك ، إنّه لا يُـسْتَشْفَعُ بالـلهِ على أحدٍ ، إنّ شأنَ الـلهِ أعظمُ من ذلكَ ، أتـدْري ما اللهُ ؟! إنّ عرشَـه على سماواتِهِ لَهكذا مِثلُ القُبّةِ » .

وفي لفظ : « إنّ اللهَ فوقَ عرشِهِ على سماواتِهِ » . رواه أبو داود .

وعن عبد الله بن خليفـة ، عن عمر بن الخطاب قال : « أتَتِ امرأةٌ إلى رسولِ الـلهِ ﷺ ، فقالـتْ : ادْعُ اللهَ أن يُدخـلَني الجـنةَ ، فعـظَّمَ الرّبَّ، وقال : إنّ كُرسيَّهُ وَسِعَ السمواتِ والأرضَ» . . . الحديث .

رواه عبد بـن حميد وابن جـرير في تفسـيريهما ، وابن أبـي عاصم والطبراني والبزار في مسانيدهم[1] .

---

(١) قال الحافظ ابـن كثير في البدايـة : عبد الله بن خلـيفة هذا ليس بذاك المـشهور، وفي سماعه مـن عمر نظر، ومنهـم من يرويه موقوفًا ومـرسلا، ومنهم من يزيـد فيه زيادة غريبة .

وعن أبي هريرة ، عن رسول الله ﷺ قال :

« إذا سألْتُـمُ اللهَ الجـنة فاسْألُـوهُ الفِرْدَوْسَ ؛ فإنـه أعلى الجـنةِ ، وأوسَطُ الجنةِ ، وفوقَهُ[1] عرشُ الرحمنِ » .

وعن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله ﷺ :

«لقـدِ اهتزَّ عرشُ الـرحمنِ لِمـوتِ سعدِ بـن مُعاذٍ». رواه البـخاري وغيره.

وذهب طائفة من أهل الكلام إلى أن العـرش فلك مستدير من جميع جوانبـه ، محيط بـالعالم من كـل جهة ، وربما سمـوه الفلك الـتاسع ، والفلك الأطلس ، والفلك الأثير .

وهذا ليس بـصـحيح ؛ لأنه قد ثـبت أن له قوائم تحملـه الملائكة ، والفـلك لا يكون له قـوائم ولا يحمـل ، وأنه فوق الجنة ، والجـنة فوق السموات .

وأيضًا فـالعرش في اللـغة : السرير، ولـيس هو فلك ، ولا تـفهم العرب ذلك ، والقرآن إنما نزل بلغـة العرب ، فهو سرير ذو قوائم(ق٣/ ب) تحمله الملائكة ، وهو كالقبة عـلى العالم ، أو هو سقف المخلوقات ، قال

(١) وقال الحافظ في البداية وثبت في صحيح البخاري. . فذكر الحديث، ثم قال: فوقه: بالفتح علـى الظرفية، والضم، وقال المزي وهو أحسن، أي وأعـلاها عرش الرحمن، وقد جاء في بـعض الآثار: «أن أهل الفردوس يسمـعون أطيط العرش، وهو تسـبيحه وتعظيمه». وما ذاك إلا لقربهم منه.

الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ ﴾(١) ، وقد تقدم في حديث الأوعال أنهم ثمانية ،وفوق ظهورهم العرش ، وقال تعالى : ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾(٢) .

وقال شهر بن حوشب : حملة العرش ثمانية ، أربعة منهم يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك ، لك الحمد على حلمك بعد علمك .

وأربعة منهم يقولون : سبحانك اللهم وبحمدك ، لك الحمد على عفوك بعد قدرتك .

وعن ابن عباس ، أن رسول الله ﷺ ، صدق أمية بن أبي الصلت في بيتين من شعره ، فقال :

رَجُلٌ وَثَوْرٌ تحتَ رِجْلِ يَمِينِهِ ... والنَّسْرُ لِلأُخْرَى ولَيْثٌ مُرْصَدُ

فقال رسول الله : «صَدَقَ» .

والشمسُ تَطْلُعُ كُلَّ آخرِ لَيْلَةٍ ... حَمْرَاءَ يُصْبِحُ(٣) لَوْنُهَا مُتَوَرِّدُ

فيقول : «صدقَ» .

رواه أحمد(٤)، وأبو بكر بن أبي شيبة .

وفي هذا يقتضي أن حملة العرش اليوم أربعة ، فيعارضه حديث الأوعال. ويحتمل أن يقال : إن إثبات هؤلاء الأربعة على هذه الصفات

---

(١) غافر : ٧ .

(٢) الحاقة : ١٧ .

(٣) ومثله في مسند أحمد (١/ ٢٥٦) ، وفي البداية المطبوع : مطلع .

(٤) وقال الحافظ ابن كثير في البداية : صحيح الإسناد رجاله ثقات .

لاينفي ما عداهم ، والله أعلم .

ومن شعر أمية بن أبي الصلت أيضًا قوله :

مَجِّدُوا اللهَ فَهُوَ لِلْمَجْدِ أهْلٌ   رَبُّنا في السماءِ أمْسَى كَبيرًا
بِالْبِنَاءِ الْعَالِي الَّذِي بَهَرَ النَّاسَ   وسَوَّى فوقَ السماءِ سَرِيرًا

ومن شعر عبد الله بن رواحة الأنصاري ، الصحابي المشهور :

شَهِدتُ بِأنّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ   وأنّ النَّارَ مَثْوَى الكافرينَا
وأنّ العَرْشَ فَوْقَ الماءِ طَافٍ   وفوقَ العرْشِ رَبُّ العالمينَا
وتَحْمِلُهُ مَلائِكَةٌ كِرامٌ   مَلائِكَةُ الإلَهِ مُسَوِّمينَا

ذكره ابن عبد البر وغيره .

وعن جابر، أن النبي ﷺ قال :

« أُذِنَ لي أنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ ملائكةِ اللهِ ، مِن حَمَلَةِ العرشِ ، ما بينَ شَحْمَةِ أُذُنِه[1] إلى عاتِقِه[2] مسيرةُ سَبْعِمائَةِ سنة » .

رواه أبو داود بإسناد صحيح ، وابن أبي حاتم، وزاد : « بخفق[3]

---

(١) الشَّحْمَةُ من الأُذُن : مُعلَّقُ القُرْط . ترتيب القاموس : (٢/ ٦٨١).
(٢) العاتقُ : موضع الرداء من المَنْكِب ، أو ما بين المَنْكِب والعُنُق . ترتيب القاموس : (٣/ ١٥٠).
(٣) خَفَقَ الطائر : طار . ترتيب القاموس (٢/ ٨٥).

الطير » .

وروى البخاري تعليقًا عن سعيد بن جبير في قوله تعالى : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ﴾[1] ، أي : علمه .

ووصله ابن جرير، وأسنده الحاكم من طريقه عن ابن عباس : الكرسي : موضع القدمين، والعرش لا يقدر قدره إلا الله .

ورفعه شجاع بن مخلد في تفسيره[2] .

وحكاه ابن جرير عن أبي موسى الأشعري وغيره .

وعن السدي قال : السموات والأرض في جوف الكرسي ، والكرسي بين يدي العرش .

وعن الضحاك ، عن ابن عباس[3](ق٤/١) قال : لو أن السموات السبع ، والأرضين السبع بُسِطْنَ ثم وُصِلْنَ ، بعضهن إلى بعض ، ما كن في سعة الكرسي إلا بمنزلة الحلقة في المفازة »[4] . رواه ابن أبي حاتم .

وعن أبي ذر أنه سأل رسول الله ﷺ عن الكرسي ، فقال : « والذي نَفْسِي بِيَدِهِ ، ما السموات السَّبْع والأَرْضِين السبع عندَ

---

(١) البقرة : ٢٥٥ .

(٢) وقال الحافظ ابن كثير في البداية : والصواب أنه موقوف عن ابن عباس .

(٣) تكرر من الحافظ : وعن ابن عباس .

(٤) قال ابن الأعرابي: سُميت الصحراء مفازة؛ لأن من خرج منها وقطعها فاز. لسان العرب (مادة : فوز).

الكرسيِّ ، إلا كحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بأرضٍ فَلاةٍ[1] ، وأنّ فضْلَ العرشِ على الكرسي كفضلِ الفلاةِ على تلك الحلْقةِ » .

رواه ابن مردويه بإسناد ضعيف .

وعن سعيد بن جبير : سُئل ابن عباس عن قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾[2] على أي شيء كان المـاء ؟ قال : « على متن الريح ، والسموات والأرضون وكل ما فيهن من شيء تحيط بها البحار ، ويحيط بذلك كله الهيكل ، ويحيط بالهيكل الكرسي » .

رواه ابن جرير عن شيخه سفيان بن وكيع - وفيه مقال - والباقون ثقات ، ومتنه منكر ، والصواب ما تقدم .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لَمَّا قَضَى الْخَلْقَ كَتَبَ كتابَهُ ، فهوَ عندَهُ فوقَ العرشِ : إنّ رحمَتي سبقَتْ غَضَبِي » .

رواه الشيخان والنسائي .

وذهب جماعة من المتكلمين إلى أن الكرسي هو الفلك الثامن ، ويسمونه فلك الكواكب الثابتة ، وليس بصحيح ؛ لأنه قد ثبت أنه أعظم من السموات السبع بشيء كثير .

والكرسي ليس في اللغة عبارة عن الفلك ، وإنما هو كما قال غير

---

(١) الفَلاة : الصحراء الواسعة . ترتيب القاموس (٣/ ٥٢٣).

(٢) هود : ٧.

واحد من السلف : بين يدي العرش كالمرقاة إليه ، ومثل هذا لا يكون فلكا.

وزعم بعضهم أن الكواكب الثوابت مرصعة[1] فيه ، وهي دعوة باطلة.



(٢) الترصيع : التركيب . لسان العرب (مادة : رصع).

باب اللوح المحفوظ

عن ابن عباس، أن نبي الله ﷺ قال :

« إنَّ اللهَ خلقَ لَوْحًا محفوظًا من دُرَّةٍ بيضاءَ ، صفحاتُها من ياقُوتَةٍ ، قَلَمُهُ نورٌ ، وكتابُهُ نورٌ ، للهِ فيه في كلِّ يَومٍ ستونَ وثلاثُمائة لحظة ، يَخلُقُ، ويرزقُ ، ويُميتُ ، ويُحيي ، ويعزُّ ، ويُذلُّ ، ويفعلُ ما يشاءُ » .

رواه محمد بن عمر بن أبي شيبة في كتاب العرش له ، ورواه الطبراني عنه، وفي إسناده ليث بن أبي سليم ، وهو ضعيف .

وعن ابن عباس قال: إن في صدر اللوح المحفوظ ، لا إله إلا الله وحده ، دينه الإسلام ، ومحمد عبده ورسوله ، فمن آمن بالله ، وصدق بوعده ، واتبع رسله ،أدخله الجنة .

قال : واللوح ؛ لوح من دُرَّة بيضاء ، طوله ما بين السماء والأرض، وعرضه ما بين المشرق والمغرب ، وحافتاه الدر والياقوت ، ودفتاه ياقوتة حمراء ، وقلمه نور ، وكلامه معقود بالعرش ، وأصله في حجر ملَك .

رواه إسحاق بن بشر في المبتدأ ، عن مقاتل ، وإسناده ضعيف جداً.

وعن أنس قال : اللوح المحفوظ في جبهة إسرافيل

لا يثبت إسناده .



باب خلق السموات والأرض

عن ابن عباس في قوله : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾[1] قال : كل يوم كألف سنة مما تعدون .

رواه ابن أبي حاتم ، وابن جرير ، واختاره أحمد في كتاب الرد على الجهمية .

قال ابن إسحاق : يقول أهل التوراة : ابتدأ الله الخلق يوم الأحد ، ويقول أهل الإنجيل : ابتدأ الله الخلق يوم الإثنين ، ونقول نحن المسلمون، فيما انتهى إلينا عن رسول الله ﷺ : ابتدأ الله الخلق يوم السبت .

يشير بذلك إلى حديث عبد الله بن رافع عن أبي هريرة مرفوعًا : « خَلَقَ اللهُ التُّرْبَةَ يومَ السَّبْتِ ، وَخَلَقَ الْجبالَ يومَ الأحدِ ، وخلق الشجرَ يوم الإثنَينِ ، وخلق المَكْرُوهَ يومَ الثلاثاء، وخلق النورَ يومَ الأربعاء ، وبَثَّ فيها الدّوابَّ يوم الخميسِ ، وخلق آدمَ بعدَ العصرِ يومَ الجُمُعَةِ ، آخرَ الخلقِ في آخرِ ساعةٍ من ساعاتِ الجمُعةِ ، فيما بين العصرِ إلى اللَّيلِ » .

رواه مسلم والنسائي .

وقال البخاري : قال بعضهم عن كعب الأحبار، وهو أصح[2] .

---

(١) هود : ٧.

(٢) وكذا تكلّم فيه علي بن المديني والبيهقي وغيرهما من الحفاظ . راجع البداية لابن كثير؛ وانظر كلام الحافظ البيهقي عليه في الأسماء والصفات له (ص ٤٨٧، ٤٨٨).

ثم في ألفاظـــه غرائب شــديدة ؛ لأن الأرض خلقــت في أربعــة أيام ،ثم خلقت السموات في يومين .

لكن له متابع من طريق عطاء عــن أبي هريرة . ومال إليه طائفة من الشافعية .

وروى ابن جرير عن السدي ، عن شيوخه أنه يوم الأحد ، واختاره ابن جرير، ومال إليه طائفة[1] ، وهو الأشبـه بلفظ الأحد ؛ ولهــذا كمل الخلق في ستة أيام، فـكان آخرهن الجمعة ، فاتخذه المسلـمون عيدهم في الأسبوع، وهو اليوم الذي ضل عنه أهل الكتاب .

وقال إسماعيل السدي ، عن مرة الهمداني ،عن ابن مسعود ، وعن أبي صالح ، وأبي مالك ، عن ابن عبـاس ، وعن ناس من الصـــحابة : ﴿ هُوَ الَّـذِي خَلَـقَ لَكُـم مَّا فِـي الأَرْضِ جَمِـيعًـا ثُمَّ اسْـتَوَى إِلَـى السَّـمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴾[2]. قال : إن اللـه كان عرشه علـى الماء ، ولـم يخلق شيئًـا مما خلق قبل الماء، فلما أراد أن يخلــق الخلق ، أخرج من الماء دخانًا، فـارتفع فوق الماء، فسـماه سماء ،ثم أيـبس الماء ، فجعلـه أرضـًا واحـدة ، [ثــم] فتقها فـجـعلـها سبع أرضـــين في يومــين ؛ الأحد والاثنين ، وخـلــق الأرض على حـوت، وهـو النـون الـذي قـال الله :

(١) زاد في البداية : من الفقهاء .
(٢) البقرة : ٢٩ .

﴿ ن وَالْقَلَمِ ﴾[1]. والحوت في الماء ، والماء على صفاة[2] ، والصفاة على ظهر ملك ، والملك على صخرة ، والصخرة في الريح ، وهي الصخرة التي ذكر لقمان ، ليست في السماء ولا في الأرض ، فتحرك الحوت فاضطرب ، فتزلزلت الأرض ، فأرسى عليها الجبال ، فقرت ، وخلق الله يوم الثلاثاء الجبال وما فيهن من المنافع .

وخلق يوم الأربعاء الشجر ، والماء ، والمدائن ،والعمران ، والخراب،وخلق السماء ، وكانت رتقًا فجعلها سبع سموات في يوم الخميس والجمعة .

وإنما سمي الجمعة ؛ لأنه جمع فيه خلق السموات والأرض، ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ﴾[3] قال : خلق في كل سماء خلقها من الملائكة ، والبحار ، وجبال البرد ،وما لا يعلمه غيره ،ثم زينها بالكواكب فجعلها زينة وحفظًا يحفظ من الشياطين ، فلما فرغ من خلق ما أحب ، استوى على العرش .

هذا الإسناد يذكر به السدي أشياء كثيرة فيها غرابة [4].



---

(١) القلم : ١ .

(٢) الصَّفَاةُ : الحَجَرُ الصَّلْدُ لاُ يَنبتُ . ترتيب القاموس (٢/ ٨٣٤).

(٣) فصلت : ١٢ .

(٤) قال الحافظ ابن كثير في البداية : هذا الإسناد يذكر به السدي أشياء كثيرة فيها غرابة ، وكأن كثيرًا منها متلقى من الإسرائيليات .

باب ما جاء في سبع أرضين (ق ١/٥)

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، وكانت بينه وبين ناس خصومة في أرض ، فدخل على عائشة ، فذكر لها ذلك ، فقالت : يا أبا سَلَمَةَ ، اجْتَنِبِ الأَرْضَ ، فإنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ : « مَن ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الأَرْضِ ، طُوِّقَهُ مِن سَبْعِ أرضينَ » . رواه البخاري ومسلم .

وعن سالم ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن أخذَ شيئًا مِن الأرضِ بغيرِ حقٍّ ، خُسِفَ به يوم القيامةِ إلى سبعِ أرضِينَ » .

رواه البخاري .

وعن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، أنه خاصمته أَرْوَى في حق زعمت أنه انتقصه لها إلى مروان . فقال سعيد : أنا أنتقص من حقها شيئًا ! أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ أخذَ شِبْرًا مِنَ الأرْضِ ظُلْمًا ، فإنَّه يُطَوَّقُهُ يومَ الْقِيامةِ مِن سبْعِ أرضينَ » .

رواه البخاري .

وعن ابن مسعود ، قال : قُلْتُ : يا رسولَ اللهِ ، أيُّ الظُّلْمِ أعْظَمُ ؟ قال : ذِراعٌ من الأرضِ يَنْتَقِصُهُ المرْءُ المسلمُ من حقِّ أخيهِ ، فليس حصاةٌ من الأرضِ يأْخُذُهَا أحدٌ إلا طُوِّقَها يومَ القيامةِ إلى قَعْرِ الأرْضِ ، ولا يعلمُ قعرَها إلا الذي خلقَها » .

رواه أحمد بإسناد حسن[1] .

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ أخذَ شِبرًا من الأرض بغَيرِ حقٍّ ، طُوِّقَهُ من سبعِ أرَضينَ » .

رواه أحمد ، وإسناده صحيح ؛ فإنه رواه من طريق سهيل ، عن أبيه ، ومن طريق ابن عجلان، عن أبيه كلاهما عنه ، ومن طريق عمر بن أبي سلمة ، عن أبيه ، عن أبي هريرة .

وعن ابن عباس مثله ، رواه الطبراني .

فهذه الأحاديث ثابتة في أن عدد الأرضين سبع .

وعند أهل الهيئة : أن كل واحدة فوق الأخرى ، والتي تحتها في وسطها حتى ينتهي الأمر إلى السابعة ،وهي صماء لا جوف لها ، وفي وسطها المركز ، وهي نقطة مقدرة متوهمة ، وهي محط الأثقال ، إليه ينتهي ما يهبط من كل جانب، إذا لم يعاوقه مانع .

والظاهر أن بين كل واحدة منهن وبين الأخرى مسافة ؛ لظاهر قوله تعالى : ﴿ خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وِمنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾[2] .

وعن أبي هريرة ، قال : « بَيْنَما نحنُ عِندَ رسولِ الله ﷺ إذْ مَرَّتْ سحابةٌ ، فقال : أتَدْرُونَ ما هذه ؟ قال : قُلْنا : اللهُ ورسولُهُ أعْلَمُ .

---

(١) وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله : وهذا إسناد لا بأس به .
(٢) الطلاق : ١٢ .

قال : العَنانُ[١] ، وزَوايا الأرضِ تَسوقُهُ إلى مَن لا يَشكرُ ربَّهُ من عباده ، ولا يدْعونَهُ . أتدْرونَ ما هذه فَوقكمْ ؟ قُلنا : اللهُ ورسولُهُ أعلَمُ . قال : الرفيعُ ، مَوْجٌ مكْفوفٌ ، وسَقْفٌ مَحْفوظٌ . أتدْرونَ كَمْ بينكم وبينَها ؟ قُلنا : اللهُ ورسولُهُ أعْلَمُ . قال: مسيرةُ خَمسمائةِ عامٍ . ثُمّ قال : أتدرون ما فوقها ؟ قلنا : اللهُ ورسولُه أعلمُ . قال : سماءٌ أُخْرى . أتدرون كم بينها وبينَها ؟ قلنا : الله ورسوله أعلمُ . قال : مسيرةُ خمسمائةِ عامٍ حتى سبعِ سَمَوَاتٍ . ثم قال : أتدرون ما فوق ذلك ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : العرشُ . أتدرون كمْ بينه وبين السماءِ السابعةِ ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : مسيرةُ خمسمائةِ عامٍ ، ثم قال : أتدرون ما هذه تحتكم ؟ قلنا : اللهُ ورسولُه أعلمُ . قال : أرْضٌ ، أتدْرون ما تحتها ؟ قُلنا: الله ورسوله [أعلمُ][٢] . قال : أرضٌ أُخْرى . أتدرون كم بينهما ؟ قال : مسيرةُ سَبعمائةِ عامٍ ، حتّى عَدَّ سبعَ أَرَضينَ،ثم قال : واللهِ ، لَوْ دَلَّيْتُمْ أحَدَكمْ إلى الأرضِ لَهَبَطَ ، ثم قرأ : ﴿ **هُوَ الأَوَّلُ والآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ** ﴾[٣] .

رواه أحمد ، والترمذي وقال : غريب ، وابن أبي حاتم [٤] .

---

(١) العَنَان - بالفتح - : السَّحاب، والواحدة عَنَانَة . النهاية (٣/ ٣١٣).

(٢) من البداية .

(٣) الحديد : ٣ .

(٤) في الأصل : وابن أبي حارم ،وهو سبق قلم من الحافظ رحمه الله ، والتصويب من البداية .

وهو من رواية الحسن عنه ،ولم يسمع الحسن منه .

(ق٥/ب) ورواه ابن جرير من طريق يزيد بن زريع ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة مرسلا .

ورواه البزار ، والبيهقي من حديث أبي ذر الغفاري بنحوه ، ولا يصح سنده .

وبين هذا وبين ما تقدم من حديث الأوعال مخالفة .

وذهب بعض المتكلمين إلى أن المراد بسبع أرضين ، أنها سبعة أقاليم؛ فهو قول يخالف ظاهر الآية بلا مستند ولا دليل .

وكذا ما يذكره كثير من أهل الكتاب ، وتلقاه عنهم طائفة من علمائنا من أن هذه الأرض من تراب ، والتي تحتها من حديد ، والأخرى من حجارة من كبريت ، والأخرى من كذا ، فكل هذا مردود على قائله.

وأما ما رواه الحاكم في المستدرك من حديث ابن عباس أنه قال : في كل أرض من الخلق مثل ما في هذه حتى آدم كآدمكم ، وإبراهيم كإبراهيمكم .

فقد قال البيهقي : إن إسناده صحيح ،ولكنه شاذ ، وهو في الأسماء والصفات للبيهقي[1].

---

(١) انظر الأسماء والصفات (ص ٤٩٣، ٤٩٤) ، وزاد : ولا أعلم لأبي الضحى عليه متابعًا . وقال ابن كثير في البداية : وهو محمول إن صح نقله عنه ، على أنه أخذه عن الإسرائيليات .

قال ابن أبي الدنـيا : نا خالد بن خراش ، نا عبـد الله بن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن كعب ، قال :

إنما تزلزلت الأرض ؛ لأنها خلـقت على ظهر حوت. . .[1] الحوت يتحرك إذ يعمل عليها بالمعاصي فيرعد فرقا .

ومن طريق. . .[1] عن أبي روق عطـية بن الحـارث ،عن عـكرمة ، عن ابـن عباس قال : خـلق الله جـبلا ، يقـال له قاف محـيط بالعـالم وعروقه إلى الصخرة التي عليـها الأرض ، فإذا أراد الله أن يزلزل قرية أمر ذلك الجبل فتحرك ذلـك العرق الذي يلي تلك القرية فتـزلزلت، فمن ثَمّ تحرك قرية دون قرية[2] .

وعن أنس بن مالك، عن النبيﷺ قال: « لَمَّا خلقَ اللهُ الأرضَ، جَعَلَتْ تَميدُ [3]، فخلقَ الجبالَ ، فألقاها عليـها فاستقرَّتْ فَعَجَبَ الملائكةُ من خـلْقِ الجبـالِ ، فقالـتْ : يا ربِّ ، هـل شيءٌ من خـلْقِكَ أشـدُّ من الجبالِ؟ قال : نعمْ ، الحديدُ . قالتْ : يارب ، فهل من خلقِك شيءٌ أشدُّ مِنَ الحديدِ ؟ قال : نعم ، النارُ .

قالت : يارب ،فهل من خلقك شيء أشـد من النار ؟ قال : نعم،

---

(١) غير واضح في الأصل.

(٢) هذا الأثر والذي قبل من الإسرائيلات .

(٣) مَادَ، يَميدُ مَيْدًا، ومَيَدانًا : تَحَرَّكَ. ترتيب القاموس (٤/ ٣٠١).

الريحُ ، قالت : يــارب ، فهل من خلقك شيء أشــد من الريح ؟ قال : نعم، ابْنُ آدَم، يَتصدَّقُ بيمينِه يُخْفيها من شِمالِهِ». رواه أحمد .



باب البحار

قال إسحاق بن راهويه في مسنده : أنا يزيد بن هارون ، عن العوام ابن حوشب، حدثني شيخ مرابط ، قال : خرجت ليلة لمحرسٍ ،لم يخرج أحد من الحرس غيري ، فأتيت الميناء فصعدت ، فجعل يخيل إليّ أن البحر يُشْرِفُ يحاذي برءوس الجبال ، فعل ذلك مرارًا ، وأنا مستيقظ ، فلقيت أبا صالح ، فقال : حدثنا عمر بن الخطاب ، أن رسول الله ﷺ قال : « مَا منْ لَيْلَـةٍ إلا والبحرُ يُشْرِفُ يستأذنُ ثلاثَ مـراتٍ ، أنْ يَتَفَصَّحَ عليهِمْ ، فَيَكُفُّهُ اللهُ عزَّ وجلَّ عنهمْ » . رواه أحمد عن يزيد بدون القصة.

وعن أبي هريرة رفعه ، قال : « كَلَّمَ اللهُ هذا البحرَ الغربِيَّ ، وكلمَ البحرَ الشرقيَّ ، فقال للغربيِّ : إنِّـي حاملٌ فيكَ عبادًا من عبادِي ، فكيف أنتَ صانعٌ بهمْ ؟ قال : أُغْرِقُهُمْ . قـال : بأسُكَ في نواحيكَ ، وحُرِمْتَ الحِلْيَةَ والصَّيْدَ ، وكلم هذا البحرَ الـشرقيَّ ، فقال : إنِّي حاملٌ فيكَ عبادًا من عبادي ، فـما أنتَ صانعٌ بهـمْ ؟ قال : أحملُهمْ عـلى يدِي ، وأكونُ لهم كالوالدةِ لولدِها ، فأثابَه الحليةَ والصيدَ » .

رواه البزار وقال : لا نعلم أحدًا رواه عن سهيل إلا عبد الرحمن بن عبد الله بن عـمر ، وهو منكر الحديث ، وقد رواه سهيـل ، عن النعمان ابن أبي عياش ، عن عبد الله بن عمرو موقوفًا(١) .

---

(١) قال الحافظ ابن كثير : والموقوف أشبه ، فإن عـبد الله بن عمرو بن العاص قد وجد يوم اليرموك زاملتين مملوءتين كتبًا من علـوم أهل الكتاب ، فكان يحدث منهما بأشياء كثيرة من الإسرائيليات ،منها المعروف والمشهور والمنكور والمردود .

وعن مالك بن صعصعة ، أن رسول الله ﷺ لما ذكر سدرة المنتهى، قال : « يَخرُجُ من أصلِها نهرانِ باطنانِ ، ونهرانِ ظاهرانِ ، فأمَّا الباطنانِ ففي الجنةِ ، وأمّا الظاهرانِ ، فالنِّيلُ والفُراتُ » .

رواه الشيخان .

وعن حفص بن عاصم ،عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : « سِيحانَ ، وجِيحانَ ، والفراتُ ، والنيلُ ، كُلٌّ من أنهارِ الجنةِ » . رواه مسلم .

وعن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « فُجِّرَتْ أربعةُ أنهارٍ منَ الجنةِ : الفراتُ ، والنيلُ، وسيحانُ ،وجيحانُ » . رواه أحمد(١) .

وعن عمر بن الخطاب ، سمعت رسول الله ﷺ : « خلق الله ألف أُمَّةٍ : ستُّمائةٍ في البحرِ ، وأرْبعمائةٍ في البرِّ . فأولُ شيءٍ يهلكُ من هذه الأممِ الجرادُ؛ فإذا هلكَ تتابعتْ مِثْلَ النِّظامِ إذا قُطِعَ سِلْكُهُ » .

رواه أبو يعلى ، وفيه عبيد بن واقد أبو عباد البصري ، وهو ضعيف ، وقد أنكر عليه ابن عدي هذا الحديث بعينه .

---

(١) قال الحافظ ابن كثير : وهذا إسناد صحيح علي شرط مسلم .

باب خلق السموات

قال قتادة : خلق هذه النجوم لثلاث : جعلها زينة السماء ، ورجومًا للشياطين ، وعلامات يهتدى بها . فمن قال فيها بغير ذلك أخطأ ، وأضاع نصيبه ، وتكلف ما لا علم له به .

ذكره البخاري تعليقًا ، ووصله عبد بن حميد وغيره .

وقد أخبر عنه في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ ﴾[1] .

ومن قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾[2] .

فمن تكلف غير هذه الثلاث ؛ من علم أحكام ما تدل عليه حركاتها ومقارناتها في سيرها ، وأن ذلك يدل على حوادث أرضية ، فقد أخطأ ؛ لأن مدار ذلك إنما هو على حدس وظنون كاذبة ، ودعاوى باطلة .

وقد تقدم حديث الأوعال الدال على أنها طباقًا ، واحدة فوق واحدة .

وعن أنس ، عن مالك بن صعصعة في حديث الإسراء ، قال :

---

(١) الملك : ٥ .

(٢) الأنعام : ٩٧ .

ووَجدَ في السمــاءِ الدُّنيا آدمَ ، فقالَ له جبــريلُ : هذا أبوكَ آدمُ ، إلى أن قالَ : ثمَّ عَرَجَ إلى السماءِ الثانيةِ . . الحديث .



باب صفة سير الشمس

عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ لأبي ذر حين غربت الشمس : « تَدْرِي أينَ تَذْهَبُ ؟ » . قلتُ : اللهُ ورسولُه أعلمُ . قال : « فإنَّها تَذهبُ حتَّى تسجدَ تحتَ العرشِ ، فتستأذنُ ، فيؤذَن لها ، ويوشكُ أن تسجدَ ، فلا يُقبَلُ منها ، وتستأذن فلا يؤذن لها ، ويُقالُ لها : ارجِعي من حيثُ جِئْتِ ، فتَطْلُعُ من مغربِها ، فذلك قوله : ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[1] .

رواه الشيخان .

وهو لا يعارض ما نقل ابن حزم وابن المنير وابن الجوزي فيه الإجماع على أن السموات كرة مستديرة ؛ لقوله تعالى : ﴿فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[2]. قال الحسن : يدورون ، وقال ابن عباس : في فلكة مثل فلكة المغزل .

قالوا : ويدل على ذلك أن الشمس تغرب كل ليلة من المغرب ، ثم تطلع في آخرها من المشرق .

ثم هذا لا يدل على كرية العرش كما زعمه من لا يستند إلى دليل صحيح .

---

(١) يس : ٣٨ .

(٢) يس : ٤٠ .

ولا يدل على أنها تصعد إلى السموات من جهتنا حتى تسجد تحت العرش ، بل هي تغرب عن أعيننا ،وهي مستمرة في فلكها الذي هي فيه ،وهو الرابع فيما قاله غير واحد ، وليس في الشرع ما يثبته ولا ينفيه، وقد بسط ذلك في التفسير(١) .

وقال آخرون : بل الكواكب كلها في السماء الدنيا ، ولا مانع في كون بعضها فوق بعض ؛ لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾(٢) ، وقال : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ ﴾(٣) فخص سماء الدنيا بذلك ، فإن دل هذا على كونها مرصعة(٤) فيها ، وإلا فلا مانع لما قاله أصحاب التسيير ، في أن القمر في السماء الدنيا ، وعطارد في الثانية ، والزهرة في الثالثة ، والشمس في الرابعة ، والمريخ في الخامسة ، والمشترى في السادسة ،وزحل في السابعة ، وبقية الكواكب الثوابت في الفلك الثامن، وعندهم أن الأفلاك السبعة ، بل الثمانية تدور بما فيها من الكواكب الثوابت والسيارات في اليوم والليلة دورة كاملة من المشرق إلى المغرب .

وعندهم أن كل واحد من الكواكب السيارات تدور على خلاف ذلك

---

(١) يعني : تفسير ابن كثير .
(٢) الصافات : ٦.
(٣) الملك : ٥ .
(٤) الترصيع : التركيب . لسان العرب (مادة : رصع).

من المغرب إلى المشرق ؛ فالقمر يقطع فلكه في شهر ، والشمس تقطع فلكها - وهو الرابع - في سنة . وقد توسعوا في الكلام على هذه الأشياء مما لا دليل لهم عليه ولا برهان .

(ق١/٧) وقد ثبت في الصحيحين من حديث ابن عمر ، وابن عباس، وعائشة وغيرهم من الصحابة أن رسول الله ﷺ قال في خطبته يوم كسفت[1] الشمس :

«إنَّ الشمسَ والقمرَ آيتانِ من آياتِ اللهِ - عزَّ وجلَّ - لا تنكسفانِ لِمَوْتِ أحدٍ ، ولا لحياتِهِ» .

وعن أبي هريرة ،عن النبي ﷺ قال: « الشمسُ والقمرُ يكوران يومَ القيامةِ » .

رواه البخاري من طريق عبد العزيز بن المختار ، عن عبد الله الداناج، عن أبي سلمة عنه .

ورواه البزار أتم منه ، قال : حدثنا إبراهيم ابن زياد ، نا يونس بن محمد ، نا عبد العزيز بن المختار ، عن عبد الله الداناج، سمعت أبا سلمة زمن خالد القسري في هذا المسجد - مسجد الكوفة - وجاء الحسن فجلس إليه ، فحدث : ثنا أبو هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : « إنّ

(١) أي : احْتَجَبَتْ. انظر : ترتيب القاموس (٤/ ٥١).

الشمس والقمر يُكَوَّرَانِ في النَّارِ[1] يومَ القيامةِ » .

فقال الحسن : وما ذَنبُهما ؟

فقال : أحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول : وما ذنبهما ؟! .

قال البزار : لا يـروى عن أبي هريرة إلا من هذا الـوجه ، ولم يرو عبد الله الداناج عن أبي سلمة سوى هذا الحديث .

وروى أبو يعـلى عن أنس قال : قـال رسول الله ﷺ « الـشمسُ والقمرُ ثورانِ عقيرانِ[2] في النارِ » . وإسناده ضعيف .

وعن ابن عـباس : ﴿ إِذَا الشَّمْـسُ كُوِّرَتْ ﴾[3] قال : يكـور الله الشـمس والقمر يوم القيامة في البحـر ، ويبعث الله ريحًا دبورًا[4] فتمطر منها[5] نارًا .

رواه ابن أبي حاتم من طريق مجالد ، عن شيخ من بجيلة عنه .

---

(١) أي : يُلَفَّان ويُجْمَعَان ويُلْقَيان فيها. النهاية (٤/٢٠٨).

(٢) قيـل : لما وصفهـما الله تـعالى بالـسِّباحـة في قوله عـز وجل : ﴿وَكُلٌّ فِي فَـلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ثم أخبر أنه يجعلهما في النار يـعذب بهما أهلها بحيث لا يَبْرَحانِها؛ صارا كأنهما زَمِنان عَقِيران . لسان العرب (مادة : عقر)

(٣) التكوير : ١.

(٤) قيل : هي الـتي تأتي من خلـفك إذا وقفت في القـبلة ، وهي ريح تهـب من نحو المغرب. لسان العرب (مادة : دبر).

(٥) في البداية : فتضرمها .

فدلت هذه الآثار أن الشمس والقمر من مخلوقات الله ، خلقها الله لما أراد ، ثم يفعل بها ما يشاء .



باب المجرة وقوس قزح والسحاب والرعد والبرق

عن ابن عباس ، أن هرقل كتب إلى معاوية وقال : إن كان فيهم شيء من النبوة فسيخبروني عما أسألهم عنه ، قال : فكتب إليه يسأله عن المجرة ، وعن القوس ، وعن البقعة التي لم تصبها الشمس إلا ساعة واحدة .

قال : فلما أتى معاوية الكتاب والرسول ، قال : إن هذا الشيء ما كنت أظن أن أسأل عنه إلى يومي هذا ، من لهذا ؟ قيل : ابن عباس .

فطوى معاوية كتاب هرقل ، فبعث به إلى ابن عباس ، فكتب إليه : إن القوس أمان لأهل الأرض من الغرق . والمجرة باب السماء الذي تنشق منه . وأما البقعة التي لم تصبها الشمس إلا لساعة من النهار ، فالبحر الذي أفرج عن بني إسرائيل .

رواه الطبراني من طريق أبي بشر ، عن سعيد بن جبير عنه ، وإسناده صحيح .

(ق٧/ب) وعن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « يا مُعاذُ ، إنِّي مُرسِلُكَ إلى قومٍ أهلِ كتابٍ ، فإذا سُئلْتَ عنِ المَجَرَّةِ التي في السماءِ ، فقل : هيَ لُعابُ حَيَّةٍ تحتَ العرشِ » .

رواه الطبراني من طريق الفضل بن المختار ، عن محمد بن مسلم

الطائفي. واتهم[1] قال أبو حاتم فيه: يحدث بالأباطيل ،وقال الأزدي : منكر الحديث جدا .

وعن إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ،عن شيخ من بني غفار : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنّ اللهَ يُنشِئُ السحابَ ، فينطِقُ أحسنَ النطْقِ ،ويضحكُ أحسنَ الضَّحِكِ » .

رواه أحمد وإسناده صحيح .

وعن موسى بن عبيدة ، عن سعد بن إبراهيم قال : نطقه الرعد ، وضحكه البرق .

وعن محمد بن مسلم ، قال : بلغنا أن البرق ملك له أربعة وجوه ؛ وجه إنسان ، ووجه ثور ،ووجه نسر ، ووجه أسد ، فإذا مَصَعَ بِذَنَبِهِ[2] فذلك البرق .

رواه ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن هشام بن عبد الله ، عنه .

وعن سالم ، عن أبيه قال : كان رسولُ اللهِ ﷺ إذا سمِعَ الرَّعْدَ والصواعقَ ، قال: « اللَّهُمَّ، لا تقتُلْنا بغضبِك ، ولا تُهلِكْنا بعذابِكَ ، وعافِنا قبلَ ذلكَ » .

---

(١) يعني الفضل بن المختار ، كما في البداية (١/ ٣٩) وقال الحافظ ابن كثير : حديث منكر جداً ، بل الأشبه أنه موضوع .
(٢) مصع : أي ضرب وحرّك . لسان العرب (مادة : مصع).

رواه أحمد ، وفي إسناده الحجاج بن أرطاة ، وهو ضعيف .

وعن أبي هريرة رفعه : أنه كانَ إذا سمعَ الرعدَ ، قال : « سُبحانَ مَن يُسبِّحُ الرعدُ بحَمدِهِ ، والملائكةُ من خِيفتِهِ » .

رواه ابن جرير ،وفيه ليث بن أبي سليم، وهو ضعيف .

وعن علي أنه كان يقول : سبحان من سبحت له .

رواه ابن جرير .

وروى مالك عن عبد الله بن عمر أنه كان إذا سمع الرعد ، ترك الحديث وقال : سبحان من يسبح الرعد بحمده ، والملائكة من خيفته ، ويقول : إن هذا لوعيد شديد لأهل الأرض .

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «قالَ ربُّكم عزَّ وجلَّ: لَو أنّ عبيدي أطاعوني ، لأسْقَيْتُهُمُ المطرَ بالليلِ ، وأطلعْتُ عليهمُ الشمسَ بالنهارِ ، ولَمَا أسْمَعْتُهُمْ صوتَ الرعدِ » .

رواه أحمد .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا سمعتُمُ الرعدَ ، فاذكروا اللهَ ، فإنَّهُ لا يُصيبُ ذاكرًا » .

رواه الطبراني .



باب ما جاء في الملائكة (ق٨/أ)

قلت : لو ذكر الملائكة أولا لكان أولى ، فقد روى وهب بن منبه في المبتدأ : أن جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت أول مَنْ خَلَقَ اللهُ تعالى ، وهم آخر من يموت .

عن خالد بن عرعرة ، أن ابن الكَوَّاء سأل علي بن أبي طالب عن البيت المعمور ، فقال : هو مسجد في السماء يقال له : الضُّرَاحُ [١]، وهو بحيال الكعبة من فوقها ، حرمته في السماء كحرمة البيت في الأرض، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون فيه أبدًا .

رواه الثوري في جامعه . وعن أبي الطفيل عن علي مثله .

وروى إسحاق بن بشر في المبتدأ من طريق ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « البَيتُ المعمورُ في السماءِ يُقال له : الضراحُ ، وهو على مِثلِ البيتِ الحرامِ بحيالِه ، لوْ سقطَ لسقطَ عليهِ ، يدخلُ كلَّ يومٍ سبعونَ ألفَ ملَكٍ ثُم لا يرونَهُ قطُّ ، فإنَّ له في السماء حُرْمَةٌ على قَدْرِ حُرْمَةِ مكة » يعني في الأرض .

---

(١) ويُرْوَى : «الضَّرِيحُ»، وهو البيت المعمور، من المُضَارَحَة، وهي المُقَابَلة والمُضَارَعَة . النهاية (٣/ ٨١).

رواه الطبراني من طريقه ، وهو ضعيف ، وقد تابعه عطية العوفي ، عن ابن عباس ، رواه ابن جرير .

وروي أيضًا عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال يومًا لأصحابه: « هلْ تدرونَ ما البيتُ المعمورُ ؟» فقالوا : اللهُ ورسولُهُ أعلمُ. قال : « فإنَّه مسجدٌ في السماءِ بحيالِ الكعبةِ ، لوْ خرَّ لخرَّ عليها ، يصلِّي فيه كلَّ يومٍ سبعونَ ألفَ ملَكٍ ، إذا خرجوا منهُ لم يعودوا آخِرَ ما عليهم» .

وعن أبي سليمان مؤذن الحجاج ،سمعت عبد الله بن عمرو يقول : إن الحرم مُحَرَّمٌ في السموات السبع ، مقداره من الأرض ، وإن بيت المقدس مُقَدَّسٌ في السموات السبع مقداره من الأرض .

رواه سعيد بن يحيى الأموي ، في أول كتابه : المغازي .

وعن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : « إنِّي أرَى ما لا تَرَوْنَ ، وأسمعُ ما لا تسمعونَ ، أطَّت[1] السماءُ وحُقَّ لها أن تئطَّ ، ما فيها موضعِ أربَعِ أصابعَ إلا عليهِ ملَكٌ ساجدٌ . لو علمتُم ما أعلمُ ، لضَحكْتُمْ قَليلا ، ولبكيتم كثيرًا ، ولَمَا تَلَذَّذْتُم بالنساءِ على الفُرُشاتِ ، ولَخَرَجْتُمْ

---

(١) الأطيط : صَوتُ الأَقْتَاب - وأطيط الإبل : أَصْواتُها وحَنينُها - أي أن كثرة ما فيها من الملائكة قد أثْقَلَها حتى أَطَّتْ. وهذا مَثَل وإيذان بكثرة الملائكة. . . انظر النهاية (١/ ٥٤).

إلى الصُّعُدَاتِ[1] تَجْأرون[2] إلى اللهِ تعالى » .

فقال أبو ذرٍّ : واللهِ، لَوَدِدْتُ أني شجرةٌ تُعْضَدُ[3] .

رواه أحمد هكذا ، ورواه الترمذي وابن ماجة ولم يفصلا في روايتهما ، بل هو مدرج ، ثم قال الترمذي : حسن غريب ، ويروى عن أبي ذر موقوفًا .

(ق٨/ب) وعن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « ما في السموات السبعِ مَوضعُ قدمٍ ، ولا شبرٍ ، ولا كفٌّ إلا وفيه ملكٌ قائمٌ ، أو ملكٌ ساجدٌ ، أو ملكٌ راكعٌ ، فإذا كانَ يومُ القيامةِ ، قالوا جميعًا : ما عبدْناكَ حقَّ عِبادتِك إلا أنّا لم نشركْ بكَ شيئًا » .

رواه الطبراني، عن حسين بن عرفة ، عن عروة بن مروان ، عن عبيد الله بن عمرو ، عن عبد الكريم الجزري ، عن عطاء، عنه . ورجاله لا بأس بهم .

وفي الصحيح : « ألا تَصفُّونَ كما تَصُفُّ الملائكةُ عندَ ربِّها » . قالوا : وكيف يَصُفُّون ؟ قال : « يُكْمِلونَ الصفوفَ ، ويتراصُّونَ في الصفِّ ».

---

(١) هي الطُّرُق.

(٢) جأَرَ - كمنَعَ - جأْرًا، وجُؤارًا : رفع صوته بالدعاء. ترتيب القاموس (١/ ٤٣٢).

(٣) عَضَدَه ، يَعْضِدُه : قطعه . ترتيب القاموس (٣/ ٢٤٥).

وفيه أيضًا : « فُضِّلنا على الناسِ بثلاثٍ : جُعلَتْ لنا الأرضُ مسجدًا ، وتُربتُها لنا طَهورًا ، وجُعلتْ صُفوفُنا كصُفُوفِ المَلائكة » .

وروى ابن جرير وغيره ، عن علي بن أبي طلحة ، في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْـمَلَائِكَةُ ﴾[1] قال : هو ملك من أعظم الملائكة خلقًا .

وعن ابن مسعود ، قال : الروح في السماء الرابعة ، هو أعظم من السموات والجبال ومن الملائكة ، يسبح كل يوم اثني عشر ألف تسبيحة، يخلق الله من كل تسبيحة ملكًا من الملائكة ، يجيء يوم القيامة صفا وحده[2] .

رواه ابن جرير، وفيه رواد بن الجراح - وهو ضعيف - عن أبي حمزة ، وهو ميمون الأعور، وهو ضعيف .

وعن ابن عباس: سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنَّ لله ملكًا ، لَوْ قِيلَ له الْتَقِمِ السمواتِ والأرضَ بلُقْمَةٍ واحدةٍ لفَعَلَ ، تَسْبِيحُهُ : سُبْحَانَكَ حَيْثُ كنتَ »[3] .

(١) النبأ : ٣٨ .

(٢) وقال ابن كثير : وهذا غريب جدا .

(٣) قال الحافظ ابن كثير في البداية : وهذا غريب جدا ، وقد يكون موقوفا.
قلت : رواه الطبراني في الكبير (١١/ ١١٤٧٦) ، وفي الأوسط (١/ رقم ٦٠ مجمع البحرين) وقال : تفرد به وهب.
ووهب الله بن راشد أبو هبيرة مصري ، لم أقف على ترجمته وقد تحرف اسمه في =

رواه الطبراني،عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، عن وهب الله بن رزق أبي هبيرة ، وباقي رواته ثقات .

وعن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « أُذِنَ لي أنْ أُحَدِّثَ عن ملَكٍ من ملائكةِ اللهِ ، مِنْ حَمَلَةِ العرشِ ، ما بينَ شَحْمَةِ أُذُنِه إلى عاتِقِهِ مسيرةُ سَبْعِمائةِ عامٍ » .

رواه أبو داود وابن أبي حاتم في تفسيره بلفظ : « بخفق الطير سبعمائة عام » .

وعن ابن مسعود « أنَّ النبيَّ ﷺ رأى جِبريلَ له سبعمائةِ جناحٍ » . رواه البخاري ، وأحمد من وجه آخر ، وزاد : « كلُّ جَناحٍ منها قد سَدَّ الأُفُقَ ، يَسقُطُ من جناحِهِ من التَّهاويلِ[1] من الدُّرِّ والياقوتِ » (ق٩/١) .

وفي رواية له : « رأيتُ جبريلَ ، وله سِتُّمائةِ جناحٍ ، يَنْتَثِرُ[2] من ريشِهِ التهاويلُ: الدرُّ والياقوتُ » .

وفي رواية : «أتاني جبريلُ في خضر يَتعلَّقُ به الدرُّ» . إسناده

= البداية - النسخة المطبوعة - فقال: ابن وهب بن راشد، وفي المعجم الكبير فقال: أبو هريرة . وفي الأوسط فقال : وهب بن رزق أبو هريرة والراوي عنه محمد بن عبد الله بن عبد الحكم تحرف اسمه في المعجمين فقال : محمد بن عبد الله بن عدس - والصواب : محمد بن عبد الله بن أعين وهو محمد بن عبد الله بن عبد الحكم .

(١) أي الأشياء المختلفة الألوان . النهاية (٥/ ٢٨٣).

(٢) أي : ينبع . راجع لسان العرب (مادة : نزز).

صحيح(١) .

وعن عبد الرحمن بن يزيد النخعي ، عن عبد الله ، هو ابن مسعود ، قال : « رأى رسولُ اللهِ ﷺ جبريلَ على رَفْرَفٍ ، قد ملأ ما بين السماءِ والأرضِ » .

رواه ابن جرير بإسناد حسن .

وعن مسروق قال : كنت عند عائشة فقلت: أليس يقول الله : ﴿ **وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ** ﴾(٢) ، ﴿ **وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى** ﴾(٣) فقالت : أنا أوَّلُ هذه الأُمةِ سألَ رسولَ اللهِ ﷺ عنهما فقالَ : « إنَّما ذلك جبريلُ ، لم يرَهُ في صُورَتِهِ التي خلقَه اللهُ عليها إلا مرَّتَينِ ، رآهُ مُنْهَبِطًا منَ السماءِ إلى الأرضِ ، سادا عِظَمُ خَلْقِهِ ما بين السماءِ والأرضِ » .

رواه الشيخان في صحيحيهما .

وعن ابن عباس قال : « قالَ رسولُ اللهِ ﷺ لجبريلَ: ألا تَزُورُنا أكثرَ مما تزورُنا ، فنَزَلَتْ : ﴿ **وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلا بِأَمْرِ رَبِّكَ** ﴾(٤) .

وعن أبي سعيد الخدري قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « كيفَ

---

(١) وقال الحافظ ابن كثير بعد ما ذكر هذه الروايات: وهذه أسانيد جيدة قوية ، انفرد بها أحمد .

(٢) التكوير : ٢٣.

(٣) النجم : ١٣ .

(٤) مريم : ٦٤ .

أنْعَمُ ، وصاحبُ القَرْنِ قدِ التقمَ القرنَ، وحنا جبهتَهُ، وانتظَرَ أن يُؤذَنَ له !» قالوا : كيف نقول يا رسولَ اللهِ ؟ قال : « قولوا : حسبُنا اللهُ ونِعْمَ الوكيلُ ، على اللهِ توكلْنا » .

رواه أحمد والترمذي ، وفيه عطية العوفي ، وهو ضعيف .

ورواه أحمد أيضًا بلفظ : « ذكرَ رسولُ اللهِ ﷺ صاحبَ الصُّورِ ، فقال : عن يمينِه جبريلُ ، وعن يسارِه ميكائيلُ » .

وعن ابن عباس قال : « بينما رسولُ اللهِ ﷺ ومعهُ جبريلُ صاحبُهُ ، إذِ انشقَّ أُفُقُ السماءِ ، فأقبلَ إسرافيلُ يدنو منَ الأرضِ ويتمايلُ ، فإذا ملَكٌ قدْ مَثَلَ بين يدَيِ النبيِّ ﷺ فقال : يا محمدُ ، اللهُ يأمرُكَ أنْ تختارَ بين نبيٍّ عبدٍ، أو ملكٍ نبيٍّ ؟ فأشارَ جبريلُ بيدَيْه إليَّ أن تواضَعْ ، فعرفتُ أنهُ لِي ناصِحٌ ، فقلتُ : عبدٌ نبيٌّ . فعرجَ ذلكَ الملكُ إلى السماءِ ، فقلتُ : يا جبريلُ ، قدْ كنتُ أردتُ أن أسألَك عن هذا ، فرأيتُ من حالك ما شغلَني عن المسألةِ ، فمَنْ هذا يا جبريلُ ؟ قال : هذا إسرافيلُ ، خلقهُ اللهُ يومَ خلقهُ بين يدَيْه صافا قدمَيْه ، لا يرفعُ طرفَهُ ، بينه ُ وبين الربِّ سبعونَ نورًا ، ما منها من نورٍ يكادُ يدنو منه إلا احترقَ ، بين يديه لَوحٌ ، فإذا أذنَ اللهُ في شيءٍ في السماءِ ، أو في الأرضِ، ارتفعَ ذلك اللوحُ ، فضربَ جبهتَهُ ، فينظُرُ، فإن كانَ من عملِ ميكائيلَ أمرَه به، وإن كانَ من عملي أمرَني به ، وإن كان من عملِ ملكِ الموتِ أمرَه به.

فقلت : يا جـبريلُ ، وعلى أيِّ شيْءٍ أنتَ ؟ قال : علـى الريحِ والجُنودِ. (ق٩/ب)قلتُ: وعلى أيِّ شيءٍ ميكائيلُ ؟ قـال: على النباتِ والمطرِ . قلتُ: وعلى أيِّ شيءٍ ملكُ الموتِ ؟ قال : علـى قبضِ الأرواحِ ، وما ظننتُ أنه نزلَ إلا لقيام الساعة ، وما الذي رأيتَ منِّي إلا خَوفًا من قيامِ الساعةِ » .

رواه الطبراني من روايـة محمد بن عبد الرحمن بـن أبي ليلى ، عن الحكم، عن مقسم ، عن ابن عباس ، ومحمد ضعيف الحفظ لم يترك[(١)].

وذكر النـقاش : أن إسرافيل أول من سـجد في الملائكـة ، فجوزي بولاية اللوح المحفوظ .

وعن أنس بن مالك عن رسولِ اللـهِ ﷺ أنهُ قالَ لجبريلَ : « ما لِي لمْ أرَ ميكائـيلَ ضـاحكًا قطُّ ؟ فقالَ : مـا ضَحِكَ ميكائيلُ منذُ خُـلقَـتِ النارُ».

وعن جعفر بن محمد ،سمعت أبي يقول : « نظرَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى ملـكِ الموتِ عِندَ رأسِ رجـلٍ من الأنـصـارِ ، فقال له : يـا ملكَ الموتِ ، ارفُقْ بصاحبي فإنه مؤمنٌ . فـقال : يا محمدُ ، طِبْ نفسًا ، وقَرَّ عَيْـنًا ، فإنِّي بـكلِّ مؤمـنٍ رفـيقٌ ، واعلمْ أنَّ مـا في الأرضِ من بـيتِ مَدَرٍ[(٢)]، ولا شَـعْرٍ ، في برٍّ ،ولا بحرٍ، إلا وأنـا أتَصَفَّحُهُمْ في كلِّ يومٍ

---

(١) وقال ابن كثير : هذا حديث غريب من هذا الوجه .

(٢) المَدَرُ - مُحَرَّكَة : قِطَـعُ الطِّين اليابس. ترتيب القـاموس(٤/ ٢١٦). والمراد : البيت المبني من الطين .

خمسَ مراتٍ ، حتى أني أعرفُ بصغيرِهمْ وكبيرهم منهم بأنفسهم ، والله ، يا محمدُ ، لو أني أردتُ أن أقبضَ رُوحَ بعوضةٍ ، ما قَدَرْتُ على ذلكَ حتى يكونَ اللهُ هو الآمرُ بقبضِها » .

قال جعفر بن محمد : بلغني أنه يتصفحهم عند مواقيت الصلاة ، فإذا حضر عند الموت ، فإن كان ممن يحافظ على الصلاة ، دنا منه الملك، ودفع عنه الشيطان ، ولقنه الملك : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، في تلك الحال العظيمة .

رواه ابن أبي حاتم ، وفيه عمرو بن شمس وهو ضعيف جدا ، مع إرسال الحديث .

وعن مجاهد قال : « قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : أكْرموا الكرامَ الكاتبينَ، الذينَ لا يفارقونكم إلا عند إحدى حالتينِ ؛ منَ الجنابةِ والغائطِ ، فإذا اغتسلَ أحدُكمْ فلْيستَتِرْ بجذمِ حائطٍ ، أو ببعيرِه ، أو ليستُرْهُ أخوهُ » .

رواه ابن أبي حاتم من طريق سفيان ، ومسعر ، عن علقمة بن مرثد ، عنه مرسلا.

ورواه البزار من طريق حفص بن سليمان القارئ ، عن علقمة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، ولفظه : « إنَّ اللهَ ينهاكم عن التَّعَرِّي ، فاستَحْيوا من ملائكةِ اللهِ الذين معكم ، الكرامِ الكاتبينَ ؛ الذينَ لا

يُفارقونكم إلا عند إحدى ثلاثِ خِصالٍ؛ الغائطِ، والجنابةِ، والغُسْلِ»[1].

(ق ١٠/أ) عن عائشة قالت : « قال رسولُ اللهِ ﷺ : خُلقَت الملائكةُ من نورٍ ، وخُلقتِ الجانُّ من مارجٍ من نارٍ ، وخُلقَ آدمُ مما وُصِفَ لكمْ».

رواه مسلم ، والأحاديث في ذكر الملائكة كثيرة ، قد أفردها النسائي .



(١) وقال الحافظ ابن كثير : حفص بن سليمان فيه كلام . وقال البزار (١/ ٢٥ مختصر الزوائد) : لا نعلمه يروى عن ابن عباس إلا من هذا الوجه ، وحفص لين الحديث.

باب ما جاء في الجان والشياطين

ذكر السدي بالإسناد المتقدم : لما فرغ اللهُ من خلق ما أحب ، استوى على العرش ، وجعل إبليس على ملك سماء الدنيا ، وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم : الجن ، وإنما سموا الجن ؛ لأنهم خزان الجنة، وكان إبليس مع ملكه خازنًا ، فوقع في صدره إنما أعطاني الله هذه المزية لي على الملائكة .

وذكر سنيد[1] في تفسيره عن ابن عباس نحوه .

وعن الضحاك ، عن ابن عباس ، أن الجن لما أفسدوا في الأرض، وسفكوا الدماء ، بعث الله إليهم إبليس ومعه جند من الملائكة فقتلوهم وأجلوهم عن الأرض إلى جزائر البحور .

وعن طاوس ، عن ابن عباس ، قال : كان اسم إبليس قبل أن يرتكب المعصية عزازيل ، وكان من سكان الأرض ، وكان من أشد الملائكة اجتهادًا ، وأكثرهم علمًا ، وكان من حي يقال لهم : الجن .

رواه ابن إسحاق في المبتدأ ، عن خلاد ، عن عطاء ،عن طاوس به .

وروى ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : كان اسمه عزازيل ، وكان من أشرف الملائكة أولي الأجنحة

---

(١) كذا اجتهدت في قراءتها .

الأربعة .

وروى ابن جرير ،عن صالح مولى التوأمة ، عن ابن عباس ، أن إبليس كان يسوس[1] ما بين السماء والأرض .

وروى ابن جرير ، عن شهر بن حوشب وغيره : كان إبليس من الجن الذين طردتهم الملائكة ، فأسره بعضهم ، فذهب به إلى السماء .

وعن الحسن البصري : لم يكن إبليس من الملائكة طرفة عين ، وإنه لأصل الجن ، كما أن آدم أصل البشر .

وقد ثبت : أن في الجن المسلمين والكافرين ، كما في سورة الجن. فأما مسلموهم ، فروي عن جابر قال ؛ « لمَّا قرأ النبيُّ ﷺ سورةَ الرحمنِ على الناسِ ، قالَ : لَلْجنُّ كانوا أحسنَ ردا منكم ، ما قُرِأتْ عليهم: ﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ إلا قالوا : ولا بشيءٍ من آلائك ربَّنا نُكذِّبُ ، فلَكَ الحمدُ » .

رواه الترمذي ، وروى البزار وابن جرير نحوه عن ابن عمر .

ودلَّ قوله تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ . فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[2] على أن مؤمني الجِنَّة منعمون ، ويدخلون الجنة .

---

(١) السَّوْسُ : الرِّياسة. وسَاسَ الأمْرَ سِياسَةً : قام به. لسان العرب (مادة : سوس).

(٢) الرحمن : ٤٦ ، ٤٧ .

وعن أبي سعيد : « لا يَسمعُ مدَى صوتِ المؤذِّنِ جنيٌّ ولا إنسيٌّ ولا شيءٌ ، إلا شَهِدَ له يومَ القيامةِ ، سمِعْتُهُ من رسولِ اللهِ ﷺ » .

رواه البخاري .

وأما كافروهم ، فرأسهم إبليس الشيطان الرجيم(ق١٠/ب) .

عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « عرشُ إبليسَ في البحرِ ، يبعثُ سَرَاتَهُ[1] في كلِّ يومٍ ، يفتنونَ الناسَ ، فأعْظَمُهُمْ منزلةً ، أعظمُهُمْ فتنةً » . رواه أحمد من طريق ماعز[2] التميمي عنه .

ومن طريق ابن جريج ، أخبرني أبو الزبير ، أنه سمع جابر بن عبدالله يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « عرشُ إبليسَ على البحرِ » مثله ، ولم يقل « كلَّ يومٍ » . وإسناده صحيح .

وروى أحمد ، عن عفان ، عن حماد وعن مؤمل ، عن حماد ، عن علي بن زيد ، عن أبي نضرة. قال عفان : عن أبي سعيد ، وقال مؤمل : عن جابر ، ثم اتفقا ، أن رسول الله ﷺ قال لابن صائد : « ما تَرَى ؟ قال : أرَى عرشًا على البحرِ ، حولَهُ الحياتُ، فقال : ذاكَ عرشُ إبليسَ » .

---

(١) السَّرَاةُ : اسم جَمْعٍ. وهي سَرِيَّةٌ من سَرِيَّات.

(٢) في البداية : معاذ وهو خطأ ، وهو ماعز التميمي ، له ترجمة في تعجيل المنفعة وغيرها ، والحديث في المسند (٣/ ٥٥٤).

وروى مسلم الأول من طريق أبي سفيان، عن جابر بلفظ : « إنَّ الشيطانَ يضعُ عرشَه على الماءِ ، ثُمَّ يبعثُ سراياهُ في الناسِ ، فأقربُهم عندَهُ منزلةً أعظمُهم عنده فتنةً ، يجيءُ أحدُهم فيقولُ : ما زلتُ بفلانٍ حتى تركتُه وهو يقولُ : كذا ، وكذا ، فيقولُ إبليسُ : لا ، واللهِ ، ما صنعتَ شيئًا . ويجيءُ أحدُهم ، فيقولُ : ما تركتُه حتى فرَّقْتُ بينهُ وبين أهلِه . قال : فيُقَرِّبُهُ ، ويُدْنيه ، ويَلزَمُهُ ، ويقولُ : نَعَمْ أنتَ .

قوله : نعم أنت ، يروى بفتح النون والعين، أي أنت الذي تستحق الكرام .

وبكسر النون وإسكان العين ، واستدل به بعضهم على جواز كون فاعل نِعْمَ مضمراً .

عن صفية بنت حُيَي أن رسول اللهﷺ قال : « إنَّ الشيطانَ يجري من ابنِ آدمَ مجرَى الدمِ » . رواه الشيخان .

وعن زياد النميري ، عن أنس قال : قال رسول اللهﷺ : « إنَّ الشيطانَ واضعٌ خَطْمَهُ على قلبِ ابنِ آدمَ ، فإن ذكرَ اللهَ خنس[1] ، وإن نسِيَ التقمَ قلبَهُ ، فذلك الوسواسُ الخناسُ » .

الخطم - بفتح المعجمة ، وإسكان الطاء - من كل طائر منقاره .

---

(١) خَنَسَ عنه ويَخنُسُ خَنْسًا وخنُوسًا : تَأخَّرَ . والخَنَّاس : الشَّيطانُ . ترتيب القاموس (١١٧/٢).

إسناده ضعيف .

وروى ابن جرير من طريق ابن عباس نحوه ، وعلقه البخاري ، ورواه الحاكم موصولا مرفوعًا ، وفيه ضعف .

وعن عاصم سمعت أبا تميمة يحدث عن رديف النبي ﷺ قال : « عَثَرَ بالنبيِّ ﷺ حمارُهُ ، فقلتُ : تَعِسَ الشيطانُ . فقال : لا تَقُلْ تعس الشيطانُ ؛ فإنك إذا قلتَ ذلك تعاظمَ ، وقال : بقوَّتي صرعتُهُ ، وإذا قلتَ : بسمِ اللهِ، تصاغرَ حتى يصيرَ مِثلَ الذبابِ » . رواه أحمد[1] .

عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ أحدَكم إذا كان في المسجدِ ، جاءَ الشيطانُ فأبس[2] به ، كما يبس الرجل بدابتِه فإذا سكن زنقه ، أو ألجمَهُ » .

قال أبو هريرة : وأنتم ترون ذلك ، أما المزنق ، فتراه مائلاً كذا لا يذكر الله ، وأما الملجم ، ففاتح فاه لا يذكر الله » .

رواه أحمد وإسناده حسن .

والأحاديث في وسوسة الشيطان كثيرة ، وعن ابن عمر ، عن النبي ﷺ قال : « إنَّ الشيطانَ يأكلُ بشمالِهِ ، ويشربُ بشمالِه » .

---

(١) قال الحافظ ابن كثير في البداية : تفرد به أحمد ، وهو إسناد جيد .
(٢) يقال : بسست الناقة وأبسسها إذا سقتها وزجدتها . (النهاية في غريب الحديث ١/ ١٢٦ - ١٢٧).

رواه أحمد ، وأصله في الصحيحين .

(ق١١/ا)وعن عائشة مرفوعًا : « مَنْ أكلَ بشماله ، أكلَ معهُ الشيطانُ » .

رواه أحمد .

وعن أبي زياد الطحان ، سمعت أبا هريرة ، عن النبي ﷺ : « أنَّهُ رأى رجلا يشربُ قائمًا ، فقال له : قهْ . قالَ : لِمَ ؟ قال : أيَسُرُّكَ أن يشربَ معكَ الهِرُّ ؟ قال : لا . قال: فإنَّهُ قد شربَ معكَ مَنْ هو شرٌّ منه ؛ الشيطانُ ». رواه أحمد أيضًا .

وعن أبي الزبير أنه سأل جابرًا : أسمعت النبي ﷺ يقول : « إذا دخلَ الرجلُ بيتَه ،وذكرَ اسمَ اللهِ حينَ يدخُلُ ، وحينَ يَطْعَمُ ، قال الشياطينُ : لا مبيتَ لكم ، ولا عَشاءَ ها هُنا ؛ وإن دخلَ ولم يذكرِ اسمَ اللهِ عندَ دخولِهِ ، قالَ : أدْرَكْتُمُ المَبيتَ ، وإن لم يذكُرِ اسمَ اللهِ عندَ طعامِهِ ، قال : أدركتُمُ المبيت والعشاءَ . قال جابرٌ : نعمْ » .

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ : « لا تَحَيَّنوا لصلاتِكم طلوعَ الشمسِ ولا غُروبَها ؛ فإنها تطلُعُ بين قرنَي الشيطانِ » .

رواه مسلم والنسائي وأحمد .

وعن مالك ، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الفتنةَ من ها هُنا ، من حيثُ يطلُعُ قرنُ الشيطانِ » .

رواه البخاري .

تقرر في النفوس حسن الملائكة ، وقبح الشياطين ؛ ولهذا قالت النسوة : ﴿ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾[2] .

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إنَّ المؤمنَ ليـنتضي[3] شيطانه ، كما يُنتضِي أحدُكم بعيرَهُ في السفرِ » .

رواه أحمد .

وعن جابر ، عن النبي ﷺ قال: « إذا استَجْنَحَ، أو كانَ جُنْحُ[4] اللَّيْلِ ، فكُفُّوا صِبْيانكم، فإنَّ الشياطينَ تنتشرُ حينئذٍ ، فإذا ذهبَ ساعةٌ منَ العشاءِ فخلُّوهم ، وأغلِقْ بابَك واذكُرِ اسمَ اللهِ ، وأطْفِئْ مِصباحَك ، واذكُرِ اسمَ اللهِ، وأوْكِ[5] سقاءَك ، واذكرِ اسمَ اللهِ ، وخَمِّرْ[6] إناءَك ، واذكرِ اسمَ اللهِ ، ولوْ أن تعرضَ عليه عودًا » .

رواه البخاري ومسلم وأحمد وعنده: « فإنَّ الشيطانَ لا يفتحُ

---

(١) يوسف : ٣١ .

(٢) الصافات : ٦٥ .

(٣) أي : يُهْزِلـه ، ويجعله نِضْوًا. والنِّضْو : الدابة التي أَهْزَلَتْها الأسفارُ، وأذهبت لَحْمَهَا. النهاية (٥/ ٧٢).

(٤) جُنُوحُ الليل: إقباله . ترتيب القاموس (١/ ٥٣٨).

(٥) الوِكَاءُ - ككِسَاء : رِبَاطُ القِرْبَةِ. ترتيب القاموس (٤/ ٦٥٤). والمعنى : غلق فم القربة (المصحح).

(٦) التَخْمير : التَّغْطِيَة . النهاية (٢/ ٧٧).

مغلقًا » .

ورواه أحمد من طريق أبي الزبير ، عنه بلفظ : « أغلِقوا أبوابكم ، وخمِّروا آنيتكم، وأوكوا أسقيتكم ، وأطفِئوا سُرُجكم ؛ فإن الشيطانَ لا يفتحُ بابًا مغلقًا ،ولا يكشِفُ غطاءً ،ولا يَحِلُّ وكاءً ، فإن الفُوَيْسِقَةَ تُضْرِمُ[1] البيتَ على أهلِهِ » .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « لو أنَّ أحدَكم إذا أرادَ أن يأتيَ أهلَهُ قال: اللهمَّ جَنِّبْنِي الشيطانَ، وجنِّبِ الشيطانَ ما رزقتَني، فإن كان بينهما ولدٌ لم يضرُّه الشيطانُ ، ولم يُسَلَّطْ عليهِ » .

رواه البخاري ومسلم .

وعن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : « يَعْقِدُ الشيطانُ على قافيةِ رأسِ أحدِكم ، إذا هو نامَ ثلاثَ عُقَدٍ ، يضربُ على كلِّ عقدةٍ مكانَها عليك لَيلٌ طويلٌ فارْقُدْ ، فإن استيقظَ ، فذكرَ اللهَ انحلَّتْ عقدةٌ، فإن توضَّأ انحلتْ عقدةٌ ، فإن صلَّى انحلت عُقَدُهُ كلُّها ؛ فأصبحَ نشيطًا ، طيِّبَ النفسِ ، وإلا أصبحَ خبيثَ النفسِ كسلانَ » .

رواه البُخاري .

وعن سبرة بن أبي فاكه[2] سمعت رسول الله ﷺ قال : « إنَّ

---

(١) سَمِّي الفَأرَةَ فُوَيْسِقَةَ - تَصْغِير فَاسِقَة - لخروجها من جحرها على الناس وإفسادها. النهاية (٣/٤٤٦). وتُضْرِم : أي تُشْعِلُ النار.

(٢) هو سبرة بن فاكه ويقال : ابن أبي فاكه أو فاكهة ، صحابي ، له ترجمة في التهذيب وغيره.

الشيطـانَ قعدَ لابنِ آدمَ بأطْرُقِه، فقـعدَ له بطريقِ الإسلامِ فقـالَ : أتُسْلِمُ، وتَذَرُ دينَك ودينَ آبائِك ؟ قال : فعصاه وأسْلَمَ . . . » الحديث .

(ق١١/ب) وعنه عن النبي ﷺ قال : « إذا استـيقظَ أحدُكم من منامِه فتوضأ، فَلْيَسْتَنثِرْ ثلاثًا ؛ فإن الشيطانَ يَبيتُ على خَيْشُومِه » .

رواه الشيخان .

وعن عبد الله - هو ابن مسعود - قال : ذُكِر عند النبيِّ ﷺ رجلٌ نام ليلةً حتى أصبحَ، قالَ :« ذاكَ رجلٌ بالَ الشَّيْطانُ في أُذُنِهِ » .

رواه الشيخان وغيرهما .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا نُودِي بالصلاةِ، أدْبرَ الشيطانُ وله ضُراطٌ ، فـإذا قُضِيَ أقبلَ ، فإذا ثُوِّبَ[١] بها أدبرَ ، فإذا قُضِيَ أقبلَ ، حتـى يخطر بين الإنسانِ وقلبِه ، فـيقولُ : اذكُرْ كذا ، اذكرْ كذا ، حتى لا يَدْرِي أثلاثًا صلى أم أربـعًا ، فإذا لم يَدْرِ أثلاثًا صلَّى ، أم أربعًا ، سجدَ سجدتَي السَّهْوِ » .

رواه البخاري .

وعن ثـابت ، عن أنـس قال : قـال رسول اللـه ﷺ : « راصُّوا الصفوفَ ؛ فإنَّ الشيطانَ يقومُ في الخَلَلِ » .

رواه أحمد .

---

(١) التثويب ها هنا : إقامة الصلاة . النهاية في غريب الحديث : (١/ ٢٢٦) .

وفي رواية له عن قتادة ، عن أنس : « راصُّوا صفوفكم ، وقاربوا بينها ، وحاذوا بين الأعناقِ ، فوالذي نفسُ محمدٍ بيدِه ، إنِّي لأرَى الشيطانَ يدخلُ من خَلَلِ الصفِّ ، كأنه الحَذَفُ » بالتحريك يعني: الغنم.

وعن أبي سعيد : « أن رسولَ اللهِ ﷺ قامَ يصلي صلاةَ الصبحِ ، وهو خلفَه يقرأ ، فالْتَبسَتْ عليه القراءةُ ، فلما فرَغَ من صلاتِه ؛ قالَ : « لو رأيْتُموني وإبليسَ ، فأهْوَيْتُ بيدِي فما زِلْتُ أخنقُهُ حتى وجدتُ بَرْدَ لُعابِه بين أُصْبُعَيَّ هاتيْنِ ، الإبهامَ والتي تليها ، فلولا دعوة أخي سليمانَ؛ لأصبحَ مربوطًا بساريَةٍ من سَوَاري المسجدِ يتلاعبُ به الصبيانُ بالمدينةِ ، فمن استطاعَ منكم أن لا يحولَ بينَه وبين القبلةِ أحدٌ فَلْيَفْعَلْ » .

رواه أحمد ، واختصره أبو داود ، وهو من طريق أبي عبيد حاجب سليمان قال : رأيت عطاء بن يزيد الليثي قائمًا يصلي ، فذهبت أمرُّ بين يديه فردني ، ثم قال : حدثني أبو سعيد الخدري ، فذكره بطوله .

وعن أبي هريرة « عن النبي ﷺ أنه صلى صلاةً فقال: إن عِفْريتًا منَ الجنِّ تَفَلَّتَ عليَّ البارِحَةَ ؛ لِيَقْطَعَ عليَّ الصلاةَ ، فأمْكَنَنِي اللهُ منهُ ، فأردْتُ أنْ أربطَه إلى ساريةٍ من سواري المسجدِ ؛ حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلُّكم ؛ فذكرتُ قولَ أخي سليمانَ : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنبَغِي لأحَدٍ مِّن بَعْدِي ﴾[1] فَرَدَّهُ خاسئًا » .

---

(١) ص : ٣٥.

رواه البخاري .

وعن أبي الـدرداء قال : « قامَ رسولُ اللهِ ﷺ يـصلي ، فسَمـعْناهُ يقول : أعوذُ بـاللهِ منكَ ، ثم قالَ : ألْعَـنُكَ بِلَعْنَةِ اللهِ ، ثـلاثًا ، وبسطَ يدَهُ، كأنه يتناولُ شيـئًا ،فلما فرغَ من(ق١٢/١) الصـلاةِ ، قـلنا : يا رسولَ اللهِ ، سمـعناكَ تقولُ في الـصلاةِ شيئًا ، لم نـسمعْك تقولُـه قبلَ ذلك ، ورأيناكَ بسطْتَ يـدَكَ . فقال: إنَّ عدوَّ اللهِ إبليسَ جاءَ بـشِهابٍ من نارٍ ، ليجعلَه فـي وجهي ، فقلتُ : أعوذُ باللهِ منـك ثلاثَ مراتٍ ، ثم قلتُ : ألعنُكَ بلعـنةِ اللهِ التامةِ ، فلم يستأخِـرْ ، ثم أردتُ أن آخُذَهُ ، واللهِ لولا دعوةُ أخينا سليمان ، لأصبحَ مُوثَقًا ، يلعبُ به ولدانُ أهلِ المدينةِ » .

رواه مسلم .

وعن ابـن مسعـود قال : قال رسـول اللهِ ﷺ : « إنَّ لـلشيـطانِ لَلَمَّةً[١] بابْـنِ آدمَ ، وللْمـلَكِ لَمَّةٌ، فـأما لمةُ الـشيـطانِ ، فإيـعادٌ بالـشرِّ ، وتكذيبٌ بـالحقِّ، وأما لمةُ الملكِ ، فإيعـادٌ بالخيرِ ، وتصديقٌ بـالحقِّ، فمَن وجدَ ذلك، فـليعلَم أنـه مِنَ اللهِ ، فليـحمَدِ اللهَ ، ومـن وجدَ الأُخرى، فليـتعوَّذْ من الـشيطـانِ » ، ثم قرأ : ﴿ **الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ** ﴾[٢] الآية .

رواه الترمذي والنسائي وابن حبان .

---

(١) اللَّمة : الهمّة ، والخَطْرة تقع في القلب ، النهاية : (٤/ ٢٧٣) .
(٢) البقرة : ٢٦٨ .

وعن أبي هـريرة أن رسول اللهﷺ قال : « مَـن قالَ : لا إلهَ إلا اللهُ ، وحدَهُ لا شريكَ لهُ ، له المُلْـكُ ، وله الحمدُ ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ ، في يومٍ مائـةَ مرةٍ ، كانتْ له عَدْلَ[1] عَشْرَ رِقابٍ ،وكُتِبَتْ له مائةُ حسنةٍ ، ومُحِـيَتْ عنه مائةُ سيئـةٍ ، وكانت له حِرْزًا[2] من الشيـطانِ يومَه ذلك حتى يُمسي » .

رواه مالك والشيخان والترمذي .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الـلهﷺ : « كلُّ ابنِ آدمَ يَطعنُ الشيـطانُ في جنبِـه بأُصْبُعَيْـه حتى يُولَدَ ، غـيرَ عيسى ابـنِ مريمَ ، ذهبَ يطعنُ، فطعنَ في الحجابِ ».

رواه البخاري مـن طريق شعيب ، عن أبي الـزناد ، عن الأعرج ، عنه بهذا .

قلت : وأخرجاه من طريق سعيد بن المسـيب ، عن أبي هريرة.

وعن سعيد المقبري ، عن أبيه ، عن أبي هريرة مرفوعًا : « التَّثاؤبُ من الشيطانِ ، فـإذا تثاءبَ أحدُكم ، فَلْيَرُدُّهُ ما استـطاعَ ؛ فإنَّ أحدَكم إذا قالَ : هَا ، ضَحِكَ الشيطانُ » .

رواه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي . وصححه النسائي.

---

(١) العَدْلُ : المِثْلُ والنَّظيرُ . ترتيب القاموس (٣/ ١٧٢).
(٢) الحِرْزُ - بالكسر - : العُوذَةُ، والمَوْضِعُ الحَصِينُ . ترتيب القاموس (١/ ٦١٨).

وفي لفظٍ : « فَلْيَكْظِم ما استطاعَ. . . . . »

رواية ابن عجلان، عــن سعيد ، عن أبي هريرة : « إنَّ الــلهَ يحبُّ العُطاسَ ويبغضُ التثاؤبَ ، فإذا قال أحــدُكم : ها ها، فإنما ذلك الشيطانُ يضحكُ من جوفِهِ » . لم يقل : عن أبيه[1] .

وعن مسروق قال : قالت عائشة : « ســألتُ النبيَّ ﷺ عن التِفَاتِ الرجلِ فــي الصلاةِ ؟ فقال : « هــو اختْلاسٌ يختلــسُه الشيطــانُ من صلاةِ أحدِكم » .

رواه البخاري وأبو داود والنسائي .

وعن أبي قتــادة قال : قال رسول الله ﷺ : « الرُّؤيا الــصالحةُ من اللهِ، والحُلمُ من الشيطانِ ».

وعن سالم بن أبي الجعد ، عن أبيــه ، عن ابن مسعود رفعه : « ما منكــم من أحدٍ إلا وقد وُكِّلَ بــه قرينُه من الجــنِّ ، وقرينُه من المــلائكةِ . قالوا: وإيَّــاك ، يا رسولَ اللهِ ؟ قــال: وإيايَ ، ولكنَّ الــلهَ أعانَني عــليه

(١) وهذا استدراك لطيف من الحافظ - رحمه الله تعالي - يدل على حذقه ودقته في هذا الفن، فقد أورد الحــافظ ابن كثير هذا الحديــث من رواية أحمد والترمذي والــنسائي فقال: . . ابن عجلان، عن سعيد المقبري، عن أبيه، عن أبي هريرة مرفوعًا وإنما هو عندهم بدون «عن أبيه» كما قال الحافظ ابن حجر ، ورجح المزي رواية ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري ،عن أبيه، عن أبي هــريرة ، وهي الرواية المتقدمة (تحفة الأشراف ٩/ ٤٩٤ - ٤٩٥ ، ١٠/ رقم ١٤٣٢٢).

فأسلمَ[1] ، فلا يأمرُني إلا بخيرٍ » .

رواه مسلم وأحمد .

وعن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، نحوه ، رواه أحمد دون قوله : « فلا يأمرُني إلا بخيرٍ » .

وعن عائشة: « أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ خرجَ من عندِها ليلا ، قالتْ : فَغِرْتُ عليهِ . فقالَ : ما لَكِ ، أغِرْتِ ؟ قلتُ : نعمْ . قال : أفأخذَكِ شيطانُكِ ؟ قلتُ : ومعي شيطانٌ ؟!! قال : نعمْ . قلتُ: ومع كلِّ إنسانٍ ؟ قال : نعمْ . قلتُ : ومعكَ يا رسولَ اللهِ ؟ قال : نعمْ ، ولكنَّ ربي أعانَني عليه حتى أسلَمَ » .

رواه مسلم وأحمد .



(١) أي : انقاد وكف عن وسوستي. وقيل : دخل في الإسلام ، فسلمت من شره . وقيل : إنما هو: فأسلمُ -بضم الميم - على أنه فعل مستقبل ، أي : أسلمُ أنا منه ومن شره . النهاية : (٢/ ٣٩٥) .

باب استراق[1] الشياطين السمع

عن عائشة ،عن النبي ﷺ قال : « الملائكة تحدث في العنان - والعنان الغمام- بالأمر يكون في الأرض فتسمع الشياطين الكلمة فتقرها[2] في أذن الكاهن كما تقر القارورة ، فيزيدون معها مائة كذبة » .

رواه ابخاري .

(ق١٢/ب)وعنها قالت: سأل ناس عن الكهان النبي ﷺ فقال : « ليسوا بشيء » . قالوا : يا رسول الله ، فإنهم يحدثون بالشيء يكون حقا . فقال : « تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرقرهَا[3] في أذن وليه كقرقرة الدجاجة ، فيخلطون معها أكثر من مائة كذبة » .

رواه البخاري ومسلم .

وعن عكرمة سمعت أبا هريرة يقول : إن نبي الله ﷺ قال : « إذا قضى الله الأمر في السماء ؛ ضربت الملائكة بأجنحتها ؛ خضعانًا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان[4] ﴿ **حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ** ﴾[5] الآية ، فيسمعها مُسْتَرِقُ السمع ،ومسترق السمع هكذا بعضهم

---

(١) استراق السمع : الاستماع مختفيًا (ترتيب القاموس: مادة سرق).

(٢) أي : تُفرِّغُهَا ، أو تُسَارُّهَا . انظر ترتيب القاموس (٣/ ٥٨٧).

(٣) فيقرقرها : أي يرددها ، يقال : قرقرت الدجاجة تقرقر قرقرة ،إذا رددت صوتها . (النهاية : ٤/ ٣٩ مادة قرر) .

(٤) الصَّفْوَانُ : الحَجَرُ الأَمْلَسُ. وجمعه صُفِيٌّ. النهاية (٣/ ٤١).

(٥) سبأ : ٢٣.

فوق بعض ، ووصف سفيان بيده ، فحرفها وبَدَّدَ[1] بين أصابعه ، فيسمع الكلمة فيلقيـها إلى من تحته ،ثم يلقيها الآخر إلى من تحتـه ، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن ، فربما أدركـه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة كذبة . فيقال : أليس قال لنا يوم كذا ، كذا وكذا ؟ فيصــدق بتلك الكلمـة التي ســمعت من السماء » .

رواه البخاري .

وعن علي بن الحسين ، عن ابــن عباس ، عن رجال من الأنصار ، عن النبي ﷺ نحو هذا ، رواه مسلم .



(١) التَّبْدِيدُ : التَّفْرِيقُ . لسان العرب (مادة : بدد).

باب خلق آدم

عن عبد الله بن عمرو قال : كانت الجن قبل خلق آدم بألفي عام ، فسفكوا الدماء ؛ فبعث الله إليهم من الملائكة جندًا ، فطردوهم إلى جزائر البحور .

وروي عن قتادة أن الملائكة لما قالوا : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾[1] ، علموا أن ذلك كائن بما رأوا ممن كان قبل آدم من الحِن[2] والبن .

وقيل : أطلعهم عليها هاروت وماروت ، عن ملك فوقهما يقال له: السجل . رواه ابن أبي حاتم ، عن أبي جعفر الباقر .

وقال ابن عباس في هذه الآية ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾[3] : هي هذه الأسماء يتعارف بها الناس ، إنسان ، دابة ، وأرض ، وسهل ، وبحر ، وجبل ، وحمار ، وجمل ، وأشباه ذلك من الأمم .

وفي رواية : علمه اسم الصحْفة والقِدْر ، حتى الفسوة والفُسَيَّة[4] .

---

(١) البقرة : ٢٠ .

(٢) الحِنّ : حيٌّ من الجن ، منهم الكلاب السود البُهْم ، أو سفِلَةُ الجن وضعفاؤهم ، أو خلق بين الجن والإنس (ترتيب القاموس : حنن) .

(٣) البقرة : ٣١ .

(٤) فَسَا فَسْوًا وفُسَادًا : أخرج ريحا من مَفْسَاه بلا صوت . ترتيب القاموس (مادة : فسو). وفَسَا فَسْوَةً واحدة. وتصغير الفَسْوَة : فُسَيَّة : انظر : اللسان (مادة : فسا).

وقال مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة : علَّمه اسم كل دابة ، وكل طير ، وكل شيء .

وقال الربيع : علَّمه أسماء الملائكة .

وفي حديث الشفاعة في « الصحيحين » ، عن أنس: « أن أهل الموقف يقولون لآدم : أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء كل شيء » .

وفي حديث أبي هريرة في « الصحيحين » في محاجة موسى وآدم ، أن موسى قال له: أنت آدم، [خلقك][1] الله بيده ، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء » .

وعن الحسن: لما أراد الله خلق آدم قالت الملائكة : لا يخلق ربنا خلقًا إلا كنا أعلم منه . فابتلوا بهذا .

وقيل : المراد بقوله : ﴿ تُبْدُونَ ﴾[2] قوله : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا ﴾ .

وبقوله : ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾[2] إبليس حين أسرَّ الكبر والنفاسة على آدم[ق١٣/١] . قاله سعيد بن جبير ، ومجاهد ، والسدي .

وقال الحسن البصري في قوله تعالى في قول إبليس: ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾[3] قال : قاس إبليس وهو أول من

(١) في الأصل : خلق ، سبق قلم.
(٢) البقرة : ٣٣ .
(٣) سورة ص : ٧٦ .

قاس .

وقال محمد بن سيرين: أول من قاس إبليس ، وما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس ، رواهما ابن جرير .

ومعنى هذا أنه نظر نفسه بطريق المقايسة بينه وبين آدم ، فرأى نفسه أشرف من آدم ، فامتنع من السجود له ، مع وجود الأمر له ولسائر الملائكة بالسجود ؛ والقياس إذا كان مقابلا للنص كان فاسد الاعتبار ، ثم هو باطل ؛ لأن الطين أنفع من النار ؛ فإن الطين فيه الرزانة والحلم والأناة والنمو ، والنار فيها الطيش والخفة والسرعة والإحراق ، ثم إن الله خلق آدم بيده فشرفه بذلك ، ونَفْخه فيه من رُوحه ، ولهذا أمر الملائكة بالسجود كما قال : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾[1] الآيات .

وقد اختلف في الملائكة المأمورين بالسجود لآدم ، فذهب الجمهور إلى أن المراد بهم جميع الملائكة .

وروي عن الضحاك ، عن ابن عباس أنهم ملائكة الأرض فقط ، وسياق الآيات في خلق آدم يدل على أن خلق حواء كان قبل دخول آدم إلى الجنة ، وبه صرح ابن إسحاق .

وحكى السدي عن مشايخه أن إبليس أُخرِجَ من الجنة وأسكن آدم

(١) سورة ص : ٧١ ، ٧٢ .

الجنة ، فكان يمشي فيها وحشيا ليس له زوج يسكن إليها ، فنام نومة فاستيقظ وعند رأسه امرأة قاعدة ، خلقها الله من ضلعه ، فسألها : مَنْ أنتِ ؟ قالت : امرأة . قال : ولم خلقت ؟ قالت : لتسكن إلي . فقالت له الملائكة - ينظرون ما بلغ من علمه - : ما اسمها يا آدم ؟ قال : حواء . قالوا : ولم كانت حواء ؟ قال : إنها خلقت من شيء حي .

وحكى ابن إسحاق ، عن ابن عباس : أنها خلقت من ضلعه الأقصر الأيسر وهو نائم ولُئِمَ مكانه . ومصداقه قوله تعالى : « **ثُمَّ خَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا** »(1) .

وعن أبي حازم ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « استوصوا بالنساء خيراً ؛ فإن المرأة خلقت من ضلع ، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء خيراً » .

رواه البخاري واللفظ له ، ومسلم .

واختلف المفسرون في الشجرة التي نُهِيَ عن أكلها ؛ فقيل : هي الكرم .

---

(1) كذا في الأصل ، وهو سبق قلم من الحافظ - رحمه الله - ؛ وكأنه قد اشتبهت عليه الآيتين ، وقد أوردهما ابن كثير في البداية عند قوله : ومصداق هذا في قوله تعالى : ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ....﴾ الآية ، وفي قوله تعالى : ﴿وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾.

رُوي عن ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، والشعبي ، وغيرهم .

وقيل : الحنطة .

رُوي عن ابن عباس أيضًا ،ووهب بن منبه ، وعطية العوفي ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى .

وقيل : النخلة .

رواه سفيان الثوري ، عن حصين ، عن أبي مالك .

وقيل : هي التين .

رواه ابن جريج ، عن مجاهد ، وبه قال قتادة .

وقيل : شجرة من أكل منها أحدث في الحال ، قاله أبو العالية .

واختلف في الجنة التي أُدخلها آدم ، أهي الجنة التي أُعدت لنعيم المؤمنين وهي في السماء ؟ أم هي جنة في الأرض أخرى ؟

فذهب الجمهور إلى الأول ، ويدل عليه حديث أبي هريرة في «الصحيحين» ، في محاجة موسى وآدم ، فقال له موسى : « أنت آدم الذي أخرجتنا ونفسك من الجنة ».

(ق١٣/ب) وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ، وحديثه في حديث الشفاعة « فيأتون آدم فيقولون : يا أبانا استفتح لنا الجنة . فيقول : وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم » .

وهذا فيه قوة في الدلالة على أنها جنة المأوى .

وقيل : بل هي جنَّة أخرى في الأرض ؛ لأنه كلف فيها أن لا يأكل، وليس في الجنة تكليف ؛ ولأنه نام فيها وليس في الجنة نوم ؛ ولأنه أخرج منها ولا يخرج أحد من الجنة ؛ ولأن إبليس دخل عليه فيها ووسوس له ، وإبليس لا يدخل الجنة .

وهذا القول هو نص التوراة التي بأيدي اليهود الآن ، وقد صنف فيه منذر بن سعيد البلوطي القاضي مصنفًا ،واستدل له بأشياء ، وأسند ذلك إلى أُبي بن كعب ، وابن عباس ، ووهب بن منبه ، وابن عيينة ، وأبي حنيفة ، وأصحابه . واختاره ابن قتيبة في «المعارف » ، ونقله الإمام محمد بن عمر[1] في « تفسيره » ، عن أبي القاسم البلخي ، وأبي مسلم الأصبهاني ، ونقله القرطبي في « تفسيره » ، عن المعتزلة والقدرية .

وقال الماوردي في « تفسيره » : اختلف في الجنة التي أسكناها على قولين ، قيل : جنة الخلد . وقيل : جنة أعدها لهما وجعلها دار ابتلاء ، وليست جنة الخلد التي جعلها الله دار جزاء .

ومن قال بهذا اختلفوا على قولين ، أحدهما : إنها في السماء ؛ لأنه أهبطهما منها ، وهذا قول الحسن .

والثاني: إنها في الأرض ؛ لأنه امتحنهما فيها بالنهي عن الشجرة

---

(١) يعني فخر الدين الرازي ، صاحب التفسير الكبير المعروف بمفاتيح الغيب .

التي نهيا عنها دون غيرها من الثمار ، وهذا قول ابن يحيى ، والله أعلم بصواب ذلك .

وهذا يشعر أنه متوقف في الترجيح ، ورجح أبو علي الجبائي القول الآخر أنها ليست جنة المأوى، وأنها في السماء ، واستدلوا على ذلك بما تقدم .

والجواب : أن امتناع التكليف والنوم والإخراج إنما يكون في الآخرة، وأما دخول إبليس فإشكاله قوي ؛ لقوله تعالى : ﴿ **اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا** ﴾[1] فمعلوم أنه ليس له الكون قدرًا في المكان الذي طرد عنه، لا على سبيل الاستقرار ولا على المرور والاجتياز ،ومعلوم من سياقات القرآن أنه وسوس لآدم وخاطبه بقوله له : ﴿ **هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ** ... ﴾[2] الآية ونظائرها .

وأجيب بمنع امتناع المرور لا على سبيل الاستقرار ،وأنه وسوس لهما وهو على باب الجنة ،أو من تحت السماء .

واستدلوا لها بما روي عن أُبي بن كعب قال : « إن آدم لما احتضر اشتهى قطفًا من عنب الجنة ، فانطلق بنوه ليطلبوه له فلقيتهم الملائكة ، فقالوا : أين تريدون يا بني آدم ؟ فقالوا : إن أبانا اشتهى قطفًا من عنب الجنة . فقالوا لهم : ارجعوا فقد كفيتموه ، فانتهوا إليه فقبضوا روحه

(١) الأعراف : ١٨ .
(٢) طه : ١٢٠ .

وغسلـوه وحنطوه وكـفنوه ، وصلـى عليه جـبريل وبنـوه خلف الملائـكة ودفنوه.. الحديث ، وسيأتي .

قالوا : فلـولا أن الوصول إلى الجنة كان ممـكنًا ؛ لما ذهبوا يتـطلبون ذلك . فدل على أنها في الأرض لا في السماء .

والجواب : أن الحديث فـي الأصل فيه ضعف . وإن صح فيـحتمل أن يكونوا ذهبوا يـحضرون القطف من شجرة أخرج أصلهـا معه من الجنة لما أهبط فغرسها في الأرض .

(ق١٤/ب) وقد قال أحمد : ثـنا عبد الرحمن بن مهدي ، ثـنا شعبة ، عن أبي الضحـاك سمعت أبا هريرة يقـول : قال رسول الله ﷺ : « إن في الجنة شـجرة يسير الراكـب في ظـلها مـائة عام لا يقطـعـها : شجرة الخلد ».

ورواه أيضًـا عن غـندر ،عـن شعبـة ، وزاد : قال غـندر : قـلت لشعبة: هي شجرة الخلد ؟ قال : ليس فيها هي .

وكانت حواء أول من أكل من الشجرة قبل آدم .

روى الشيخان من طريق همام ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ : « لولا بنو إسرائيل لم يخنز[1] اللحم، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها »

---

(١) يخنز : ينتن ، يقال : خنِز ، يخنَز ، وخزِن يخزَن ، إذا تغيرت ريحه . (النهاية : خنز) .

وفي التوراة أن الـذي دل حواء على الأكل من الشجـرة هي الحيَّة ، وكانت من أحسن الأشكال وأعظمها ، فـأكلت حواء عن قولها وأطعمت آدم .

وقد يستشهد لذكر الحية معهـما بقولهﷺ : « الحيات ما سالمناهن منذ حاربناهن ، وأمر بقتلهن » .

وفي التوراة أيضًا : أنهما كانا عـريانين ، وكذا قال وهب بن منبه : كان لباسهما نورًا على فرجه وفرجها .

وهذا خطـأ منشأه مـن التعريـب ، وقد دلَّ القرآن عـلى أنهمـا كان علـيهما لـباس ؛ لقولـه تعـالى : ﴿ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا ﴾[١] فهذا لا يرد .

وقال ابن أبي حاتم ، ثـنا ابن إشكاب ، ثنا علـي بن عاصم ، عن سعيـد ، عن قتادة ، عـن الحسن، عن أُبـي بن كعب قـال : قال رسول اللهﷺ : « إن الله خلق آدم رجلا طوالا كثير شعر الرأس ، كأنه نخلة سحوق[٢] ، فلـما ذاق الشـجرة ؛ سقـط عنه لـباسه ، فـأول ما بدا مـنه عورته، فلما نظر إلى عورته جعل يـشتد في الجنة ، فأخذت شعره شجرة فنازعها، فناداه الرحمن : يا آدم ، منـي تفر ؟ فلما سمع كلام الرحمن ، قال : لا يا رب ، ولكن استحياء »[٣] .

(١) الأعراف : ٢٧.
(٢) أي : الطَّوِيلَةُ التي بَعُدَ ثَمَرُهَا علي المُجْتَنِي. النهاية (مادة : سحق).
(٣) فيه انقطاع بين الحسن وأُبيّ .

وروى ابن عساكر من طريق محمد بن إسحاق في المبتدأ ، عن الحسن بن ذكوان ، عن الحسن ، عن أُبي بن كعب ، بنحوه ، وزاد : « ستين ذراعًا ، كثير الشعر ، موارى العورة ، فلما أصاب الخطيئة .. فذكر نحوه، وزاد في آخره: بل حياء والله منك يا رب، مما جئت به».

ومن طريق سعيد بن أبي عروبة بسنده ، وزاد عُتَيٌّ بن ضَمْرَة بين الحسن وأُبي[1] .

ثم رواه من طريق خيثمة ،عن محمد بن عبد الوهّاب العسقلاني ، عن آدم ، عن شيبان[2] ، عن قتادة ، عن أنس مرفوعًا ، والإسناد الأول أصح .

وروى الحافظ ابن عساكر ،عن مجاهد قال : أمر الله ملكين أن يخرجا آدم وحواء من جواره ، فنزع جبريل التاج عن رأسه ، وميكائيل الإكليل عن جبينه ، وتعلق به غصن ، فظن آدم أنه عوجل بالعقوبة ، فنكس رأسه يقول : العفو العفو . فقال الله : فرارًا مني ؟ فقال : بل حياء منك يا سيدي .

وروى الثوري في « تفسيره » عن ابن أبي ليلى ، عن المنهال ،عن

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله : وهذا أصح ؛ فإن الحسن لم يدرك أبيًا .

(٢) وهو شيبان بن عبد الرحمن النحوي ، ووقع في النسخ المطبوعة من البداية والنهاية : سنان ، تحريف .

سعيد ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ[١] عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴾[٢] : ورق التين[٣] . وهو في التوراة كذلك .



(١) خصف الورق على بدنه: ألزقها وأطبقها عليه ورقة ورقة .(ترتيب القاموس : خصف) .

(٢) الأعراف : ٢٢ .

(٣) وقال الحافظ ابن كثير : وهذا إسناد صحيح إليه ؛ وكأنه مأخوذ من أهل الكتاب، وظاهر الآية يقتضي أعم من ذلك ، وبتقدير تسليمه فلا يضر ،والله تعالى أعلم .

فصل في مدة لبثه في الجنة ومكان هبوطه في الأرض

روى ابن عساكر من طريق الأوزاعي ، عن حسان بن عطية قال : مكث آدم في الجنة مائة عام ، وفي رواية : ستين عامًا، وبكى على باب الجنة سبعين عامًا ،وعلى خطيئته سبعين عامًا ، وعلى ولده حين قتل سبعين عامًا .

وعن ابن عباس قال : « أُهبط آدم إلى أرضٍ يقال لها : دِحنا ، بين مكة والطائف » .

رواه ابن أبي حاتم بسند صحيح .

وعن الحسن قال : « أُهبط آدم بالهند ، وحواء بجدة ، وإبليس بدست ميسان من البصرة على أميال ، والحيّة بأصبهان » .

رواه ابن أبي حاتم أيضًا .

وعن ابن عُمر قال : « أُهبط آدم بالصفا ، وحواء بالمروة » .

رواه أيضًا .

وعن السدي : « نزل آدم بالهند ، ونزل معه الحجر الأسود ، وقبضة من ورق الجنة ، فبثه في الهند فنبتت شجرة الطيب هناك » .

وعن أبي موسى قال : « إن الله حين أهبط آدم من الجنة إلى

الأرض،علمه صنعة كل شيء ، وزوده من ثمار الجنة ، فثماركم هذه من ثمار الجنة ، غير أن هذه تتغير وتلك لا تتغير».

رواه عبد الرزاق .

وعن ابن عباس قال : « ما أسكن آدم الجنة إلا ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس » .

رواه الحاكم وصححه ،وهو كذلك ، لكنه موقوف .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول اللهﷺ : « خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة ، فيه خُلق آدم ، وفيه أُدخل الجنة ، وفيه أُخرج منها ».

رواه مسلم من طريق الزهري ، عن الأعرج ، عنه . وأحمد من طريق أبي عمار ، عن عبد الله بن فروخ ، عنه(ق١٤/ب) .

وعن أنس قال : قال رسول اللهﷺ : « هبط آدم وحواء عُريانين جميعًا عليهما ورق الجنة ، وأصابه الحرُّ حتى قعد يبكي ويقول لها : يا حواء ، قد آذاني الحرّ . قال : فجاءه جبريل بقطن ، وأمرها أن تغزل وعلمها ، وأمر آدم بالحياكة وعلمه أن ينسج ، قال : وكان آدم لا يجامع امرأته في الجنة حتى هبط منها للخطيئة التي أصابها بأكلهما الشجرة .

قال : وكان كل واحد منهما ينام على حدة ، ينام أحدهما في البطحاء ، والآخر في ناحية أخرى ، حتى أتاه جبريل ، فأمره أن يأتي

أهله ، وقال: وعلّمه كيف يأتيها ، فلما أتاها جاءه جبريل ، فقال : كيف وجدت امرأتك ؟ قال : صالحة »[1] .

رواه ابن عساكر من طريق البغوي ،عن محمد بن جعفر ، عن سعيد بن ميسرة ، عنه . وسعيد بن ميسرة قال البخاري : منكر الحديث.

وروي عن مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وغيرهما أن قوله تعالى : ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾[2] هي قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا .... ﴾[3] الآية .

وعن أُبيّ بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ : « قال آدم : أرأيت إن تبت وراجعت أعائدي إلى الجنة ؟ قال : نعم . فذلك قوله : ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾»[4] .

رواه ابن أبي حاتم بالإسناد الماضي[5] .

وعن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : الكلمات : اللهم لا إله إلا أنت ، سبحانك وبحمدك . ربي ، إني ظلمت نفسي فاغفر لي ، إنك أنت خير الغافرين . اللهم ، لا إله إلا أنت، سبحانك وبحمدك ربي ،

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله : حديث غريب ،ورفعه منكر جدا .
(٢) البقرة : ٣٧ .
(٣) الأعراف : ٢٣ .
(٤) البقرة : ٣٧ .
(٥) يعني : ابن أبي حاتم: ثنا ابن إشكاب ، ثنا علي بن عاصم ، عن سعيد ، عن قتادة، عن الحسن عنه . قال ابن كثير عقبه في البداية : وهذا غريب من هذا الوجه ، وفيه انقطاع .

ظلمت نفسي ، فاغفر لي ، إنك خير الراحمين. ربِّ إني ظلمت نفسي ، فتب عليّ ، إنك أنت التواب الرحيم .

وعن ابن عباس قال : قال آدم : رب ، ألم تخلقني بيدك ؟ قيل: بلى . قال : ونفخت فيّ من روحك ؟ قيل له : بلى . قال : وعطست فقلت : يرحمك الله ، وسبقت رحمتك غضبك ؟ قيل : بلى . وكتبت عليّ أن أعمل هذا ؟ قيل له : بلى . قال : أرأيت إن تبت هل أنت راجعي إلى الجنة ؟ قال : نعم .

رواه الحاكم[1] ، وقال : صحيح .

وعن عُمر بن الخطاب قال : قال رسول الله ﷺ : « لما اقترف آدم الخطيئة ، قال : يا رب ، أسألك بحق محمد إلا غفرت لي . فقال الله: فكيف عرفت محمدًا ولم أخلقه بعد ؟ قال : يا رب ، لما خلقتني بيدك ، ونفخت فيّ من روحك ؛ رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبًا: لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك . فقال الله : صدقت يا آدم ، إنه لأحب الخلق إليّ، وإذ سألتني بحقه فقد غفرت لك ، ولولا محمد لما خلقتك»[1] .

---

(١) المستدرك (٢/ ٥٤٥) .

(١) حديث موضوع . أخرجه الطبراني في الصغير (٢/ ٨٢ ، ٨٣) ، والحاكم في مستدركه (٢/ ٦١٥) وقال : صحيح الإسناد ، والبيهقي في دلائل النبوة عن الحاكم به (٥/ ٤٨٨ ، ٤٨٩) من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه، =

رواه الحاكم والبيهقي من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن جده ، عنه .

قال البيهقي : تفرد به عبد الرحمن ، وهو ضعيف .



= عن جده، عن عمر به .

قال الذهبي في تلخيصه على المستدرك معقبًا على تصحيح الحاكم : بل موضوع ، وعبد الرحمن واه. . . ورواه عبد الله بن مسلم الفهري، ولا أدري من ذا . .ا.هـ.

وقال أيضًا في ترجمة الفهري من الميزان : له خبر باطل . . . وذكر الحديث ، ووافقه الحافظ ابن حجر في اللسان ، وقال: ولا أستبعد أن يكون هو الذي قبله ؛ فإنه من طبقته . يعني عبد الله بن مسلم بن رشيد وهو متهم .

وانظر كلام شيخنا الفاضل محدث العصر الشيخ الألباني ، حفظه الله ، على هذا الحديث في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (١/ رقم٢٥) .

باب احتجاج موسى وآدم

عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « حاج آدمَ موسى فقال له : أنت الذي أخرجت الناس من الجنة وأشقيتهم ؟ قال : يا موسى ، أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه ، أتلومني على أمرٍ كتبه الله عليَّ قبل(ق١٥/١) أن يخلقني ؟ » قال رسول الله ﷺ : « فحج آدمُ موسى » .

رواه الشيخان من طريق أبي سلمة ،عن أبي هريرة . ومن طريق الزهري ، عن حميد بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة .

ورواه البخاري من طريق طاوس ، عنه .

ورواه مسلم من طريق همام ، عنه .

ورواه أحمد من حديث زائدة ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة .

والبزار من طريق أبي معاوية ، عن الأعمش .

والترمذي من طريق سليمان التيمي ، عن الأعمش .

ورواه البزار من طريق الفضل بن موسى ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد .

ورواه أحمد من طريق حماد ، عن عمار بن أبي عمار ،عن أبي هريرة . وعن حميد ،عن الحسن عن جندب[١] . ومن طريق جرير بن

---

(١) قال ابن كثير : تفرد به أحمد من هذا الوجه .

حازم ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة .

وله طرق كثيرة عن أبي هريرة قد جمعتها .

وقال أحمد : ثنا عبد الرزاق ، أنا معمر ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « احتج آدم وموسى ، فقال موسى لآدم : يا آدم ، أنت الذي أدخلت ذريتك النار . فقال آدم : يا موسى ، أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه ، وأنزل عليك التوراة فهل وجدت أني أهبط ؟ قال : نعم . قال : فحجه آدم » .

وهذا على شرط الشيخين ، لكن المشهور عن الزهري ، عن حميد، عن أبي هريرة .

وقد استنكر قوله : « أدخلت ذريتك النار » . والمراد : أدخلت بعض ذريتك أي كنت سببًا في ذلك .

وعن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عمر بن الخطاب ، عن النبي ﷺ قال : « قال موسى : يارب ، أرنا آدم الذي أخرجنا ونفسه من الجنة ، فأراه آدم . فقال : أنت آدم ؟ فقال له آدم : نعم . قال : أنت الذي نفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك الأسماء كلها ؟ قال : نعم . قال : فما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ قال له آدم : من أنتَ ؟ فقال : أنا موسى . فقال : أنت نبي بني إسرائيل الذي كلمك الله من وراء الحجاب ، فلم يجعل بينك وبينه رسولا

من خلقه ؟ قال : نعم . قال : تلومني علـى أمر قد سبق من الله القضاء قبله؟» قال رسول الله ﷺ : فحج آدم موسى ، فحج آدم موسى » .

رواه أحمد وأبو داود .

وعن يحيى بن يعمر ، عن ابن عُمر، عن عُمر : « التقى آدم وموسى . . . . » الحديث .

رواه أبو يعلى ، وقد جمعت طرق هذا الحديث في جزء مفرد ، وتكلمت على شرحه ومعانيه ، نفع الله بذلك .

ومحصّل المراد بقوله ﷺ : « فحج آدم موسى » أن موسى لامه على إخراج نفسه وذريته من الجنة ، فأجابه آدم : بأنني ، لم أخرجكم ، وإنما أخرجكم الذي رتب الإخراج على أكلي من الشجرة ، وهو الله ، فأنت تلومني على أمرٍ ليس له نسبة إليّ إلا أنني نُهيت عن الأكل من الشجرة فأكلت منها ، وكون الإخراج مرتبًا على ذلك ليس من فعلي .

وقال بعضهم : إنما كان احتجاج آدم بالقدر على المصيبة لا على المعصية ، والله أعلم .



باب ما جاء في صفة خلق آدم وذريته

عن قسامة بن زهير ، عن أبي موسى ،عن النبي ﷺ قال : « إنَّ الله خلق آدم من قبضة(ق١٥/ب) قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، جاء منهم الأبيض والأحمر والأسود ، وبين ذلك ، والخبيث ، والطيب ، والسهل ، والحزن ، وبين ذلك » .

رواه أحمد، وأبو داود ، والترمذي ، وابن حبان .

وعن السدي ، عن شيوخه (بأسانيدهم المتقدمة)[١] .

قالوا : « فبعث الله جبريل إلى الأرض ؛ ليأتيه بطين منها . فقالت الأرض : أعوذ بالله منك أن تنقص مني أو تشينني ، فرجع ولم يأخذ شيئًا . وقال : يا رب ، إنها عاذت بك فأعذتها ، فبعث ميكائيل كذلك، فبعث ملَك الموت فعاذت منه ، فقال : وأنا أعوذ بالله أن أرجع ولم أنفذ أمره ، فأخذ من وجه الأرض وخلط ، ولم يأخذ من مكانٍ { واحد }[٢] ، وأخذ من تربة بيضاء وحمراء وسوداء ، فلذلك خرج بنو آدم مختلفين، فصعد به ، فَبَلَّ التراب حتى عاد طينًا لازبًا ، واللازب هو

---

(١) كذا، وفي البداية : السدي عن أبي صالح وأبي مالك، عن ابن عباس ،وعن مرة، عن ابن مسعود ،وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا. فذكره .

(٢) ما بين المعكوفتين من البداية .

الذي يلزق بعضه ببعض ، ثم قال للملائكة : ﴿ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾[1] فخلقه الله بيده ؛ لئلا يتكبر إبليس عنه ، فخلقه بشرًا سويا ، فكان جسدًا من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة ، فمرت به الملائكة ففزعوا منه لما رأوه ، وكان أشدهم منه فزعًا إبليس ، فكان يمر به فيضربه، فيصوت الجسد كما يصوت الفخار يكون له صلصلة[2] ، فذلك حين يقول: ﴿ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾[3] ويقول : لأمر ما خُلِقْت. ودخل من فيه وخرج من دبره ، وقال للملائكة : لا ترهبوا من هذا ، فإن ربكم صمد وهذا أجوف ، لئن سلطت عليه لأهلكنه . فلما بلغ الحين الذي يريد الله أن ينفخ فيه الروح ؛ قال للملائكة : إذا نفخت فيه من روحي فاسجدوا له ، فلما نفخ فيه الروح ، فدخل الروح في رأسه عطس، فقالت الملائكة : الحمد لله . فقال : الحمد لله . فقال الله له : يرحمك ربك ، فلما دخلت الروح في عنقه ، نظر إلى ثمار الجنة ، فلما دخلت الروح في جوفه اشتهى الطعام ، فوثب قبل أن تبلغ إلى رجليه عجلان[4] إلى ثمار الجنة . وذلك حين يقول الله تعالى : ﴿ خُلِقَ

(١) سورة ص : ٧١ .
(٢) الصلصلة : التصويت ، من صَلَّ يصِلُّ صليلا : صوّت . (ترتيب القاموس : صلل) .
(٣) الرحمن : ١٤ .
(٤) العَجَلُ، والعَجَلَةُ - مُحَرَّكَتَيْنِ - : السُّرْعَةُ. وهو عَجِلٌ - بكسر الميم وضمها - وعَجْلانُ. . . ترتيب القاموس (مادة : عَجل).

الإنسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾[1] ﴿فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إلا إِبْلِيسَ أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾[2] »[3].

وعن ثابت ، عن أنس أن رسول اللهﷺ قال : « لما خلق الله آدم؛ تركه ما شاء أن يدعه ، فجعل إبليس يطيف به ، فلما رآه أجوف[4]؛ عرف أنه لا يتمالك » .

رواه أحمد ، عن عبد الصمد ، عن حماد ، عنه[5] .

وروى ابن حبان من هذا الوجه : « لما نفخ في آدم فبلغ الروح رأسه؛ عطس ، فقال : الحمد لله رب العالمين ، فقال له تبارك وتعالى : يرحمك الله » .

وعن حفص بن عاصم ، عن أبي هريرة يرفعه : « لما خلق الله آدم، عطس ، فقال : الحمد لله . فقال له ربه : يرحمك ربك يا آدم » .

رواه البزار[6] .

---

(١) الأنبياء : ٣٧ .
(٢) الحجر : ٣٠ ، ٣١.
(٣) قال ابن كثير في البداية : ولبعض هذا السياق شاهد من الأحاديث . وإن كان كثير منه متلقى من الإسرائيليات .
(٤) الأَجْوَفُ : الذي له جَوْفٌ. ولا يتمالك : أي لا يتماسك. النهاية (مادة : جوف).
(٥) ورواه مسلم في صحيحه (كتاب البر والصلة ، باب خلق الإنسان خلقًا لا يتمالك) (٢٤٨/١٦ رقم ٢٦١١) من طريق يونس بن محمد ، وبهز عن حماد به بنحوه .
(٦) قال الحافظ ابن كثير : وإسناده لا بأس به .

(ق١٦/١) وعن عمر بن عبد العزيز قال : « لما أُمرت الملائكة بالسجود كان أول من سجد إسرافيل ، فآتاه الله أن كتب القرآن على جبهته » .

رواه ابن عساكر هكذا مقطوعًا .

وعن المقبري ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله خلق آدم من تراب ، ثم جعله طينًا ، ثم تركه حتى إذا كان حمأ مسنونًا[1] ؛ خلقه وصوَّره ، ثم تركه حتى إذا كان صلصالا[2] كالفخار . قال : فكان إبليس يمر به فيقول : لقد خلقت لأمرٍ عظيم . ثم نفخ الله فيه من روحه ، فكان أول ما جرى فيه الروح بصره وخياشيمه ، فعطس فلقاه الله رحمة به ، فقال له الله : يرحمك ربك ، ثم قال : يا آدم ، اذهب إلى هؤلاء النفر فقل لهم ، فانظر ماذا يقولون ؟ فجاء فسلم عليهم فقالوا : وعليك السلام ورحمة الله . فقال : يا آدم ، هذه تحيتك وتحية ذريتك . قال : يا رب ، وما ذريتي ؟ قال : اختر يدي يا آدم ؟ قال : أختار يمين ربي ، وكلتا يدي ربي يمين، فبسط كفه فإذا من هو كائن من ذريته في كف الرحمن ، فإذا رجال منهم أفواههم النور ، فإذا رجل منهم يعجب آدم نوره . فقال : يا رب ، من هذا ؟ قال : هذا ابنك داود . قال : رب ، فكم جعلت له من العُمر ؟ قال : جعلت له ستين سنة .

---

(١) الحمأ : الطين الأسود المنتن ، وسنّ الطين : عمله فخّارًا .(ترتيب القاموس : حمأ ، سنّ) .

(٢) الصَّلْصَالُ : الطِّينُ الحُرُّ خُلِطَ بالرَّمْلِ، أو الطـينُ ما لم يُجْعَلْ خزَفًا. ترتيب القاموس (مادة : صلل).

قال : يا رب ، فأتم له من عمري حتى يكون عمـــره مائة سنة ، ففعـــل الله ذلـك ، وأشهد علـى ذلك ، فلمـا نفد عُمـر آدم ؛ بعث اللــه ملك الموت، فقال آدم : أو لم يبـق من عمري أربعين[1] سنة ؟ قال له الملك : ألم تعطها ابنك ؟ فجحد فجحدت ذريته » .

رواه أبو يعلى بهذا اللفظ . ورواه البزار ، والترمذي ، وحسّنه[2] ، والنسائي من وجه آخر عن المقـبري ،وقال : منكر ، وقال : قد رواه ابن عجلان ، { عـن سعـيد المـقبري ، عن أبيه ، عـن عبد الله بن ســلام قوله}[3] .

ورواه ابن حـبان بطـوله من الـوجه الذي أخـرجه منـه النســائي ، والترمذي ، والبزار .

ورواه الترمـذي من وجه آخر عــن هشام بن ســعد ، عــن زيد بن أسلم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، بنحوه .

---

(١) كذا في الأصل ، وفي البداية : أربعون، وهو الصواب .

(٢) ولفظه : حسن غريب من هذا الوجه (تحفة الأشراف ٩/ ٤٧١) .

(٣) ما بين المـعكوفين من الـبداية . قلت : وقـد أعلّ النسائـي (الكبرى ، عمـل اليوم والليلة ٦/ ١٠٠٤٦ - ١٠٠٤٨) رواية ابن أبي ذباب ، عن المقبري ، عن أبي هريرة مرفوعًا بمخالفة محمد بن عجلان له فـرواه عن سعيد المقبري، عن أبيه، عن عبد الله ابن سلام قوله وقال : وهذا هو الصواب والآخر خطأ ، وروي الحديث من عدة أوجه عن أبي هريرة مرفوعًا ، وحكم عليها بالنكارة .

قلت : وقد تابع إسماعيل بن رافع ابن أبي ذباب عن المقبري به ، أخرجه أبو يعلى - كما عند ابن كثير في البداية - وإسماعيل بن رافع ضعيف .

وقال : قد روي من غير وجه عن أبي هريرة[١] ، وصححه الحاكم على شرط مسلم .

ورواه ابن أبي حاتم من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي هريرة ، نحوه ، وفيه : « ثم عرضهم على آدم ، فقال : يا آدم ، هؤلاء ذريتك ، وإذا فيهم الأجذم ، والأبرص ، والأعمى ، وأنواع الأسقام . فقال آدم : يا رب ، لِمَ فعلت هذا بذريتي ؟ قال : كي تشكر نعمتي ، ثم ذكر قصة داود »[٢] .

وعن أبي الدرداء ، عن النبي ﷺ قال : « خلق الله آدم حين خلقه وضرب كتفه اليمنى فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الذر[٣] ، وضرب كتفه اليسرى فأخرج ذرية كأنهم الحُمَم[٤] ، فقال للذي في يمينه : إلى الجنة ولا أبالي . وقال للذي في اليسرى : إلى النار ولا أبالي » .

رواه أحمد من رواية أبي الربيع ، عن يونس بن ميسرة ، وفيه

(١) أورد ابن كثير في البداية عدة طرق، ثم قال: فهذه طرق هذا الحديث عن أبي هريرة، رواه عنه حميد بن عبد الرحمن ، وذكوان أبو صالح السمان ، وطاوس ، والأعرج ، وابن سيرين، وعمار بن أبي عمار ، وهمام بن منبه ، ويزيد بن هرمز ، وأبو سلمة .
(٢) في إسناده عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو واه كما قال الذهبي .
(٣) الذَّرُّ : النَّمْلُ الأَحْمَرُ الصَّغيرُ، وَاحِدَتُها : ذَرَّةٌ. النهاية (مادة : ذرر).
(٤) الحمم : الفحم . (النهاية : حمم) .

نظر[1] .

(ق١٦/ب) عن الحسن قال : « لما خلق الله آدم حين خلقه فأخرج أهل الجنة من صفحته[2] اليمنى ، وأخرج أهل النار من صفحته اليسرى ، فألقوا على وجه [الأرض][3] منهم الأعمى ، والأصم ، والمبتلى . فقال آدم : يا رب ، ألا سويت بين ولدي ؟ قال : يا آدم ، إني أردت أن أُشكَر» .

رواه عبد الرزاق وابن أبي الدنيا في « كتاب الشكر » .

وعن ابن عباس قال: « لما نزلت آية الدَّيْن ، قال رسول الله ﷺ : « إن أول من جحد آدم ؛ إن أول من جحد آدم ؛ لما خلق الله آدم ، مسح ظهره ، فأخرج منه ما هو ذارئ[4] إلى يوم القيامة ، فجعل يعرض ذريته عليه ، فرأى منهم رجلا يزهر[5] . قال : أي رب ، من هذا ؟ قال : هذا ابنك داود . قال : أي رب ، كم عُمره ؟ قال : ستون عامًا . قال : أي

(١) كذا قال الحافظ ، رحمه الله ! والحديث أخرجه أحمد في مسنده ، وابنه في زوائده (٦/ ٤٤١) كلاهما عن الهيثم بن خارجة ، عن أبي الربيع ، عن يونس بن ميسرة ، عن أبي إدريس ، عن أبي الدرداء به ، وهذا إسناده صحيح كما قاله شيخنا الألباني - حفظه الله - في الصحيحة (١/ ٤٩) وعزاه لابن عساكر في تاريخ دمشق (١٥/ ١٣٦- ١) .

(٢) صَفْحُ كُلِّ شَيءٍ : وَجْهُهُ ونَاحِيَتُهُ . النهاية (مادة : صفح).

(٣) من البداية.

(٤) ذَرَأَ - كجَعَلَ - : خَلَقَ . ترتيب القاموس (مادة : ذرأ).

(٥) الأَزْهَرُ : الأبيضُ المُسْتَنِيرُ . والزَّهْرُ والزَّهْرَةُ : البياض النَّيِّر، وهو أحسن الألوان. النهاية (مادة : زهر).

رب ، زد في عمره . قــال : لا ، إلا أن تزيده من عمرك ، وكـان عُمر آدم ألف عام ، فزاده أربعين سنة ، فكتب اللــه عليه بذلك كتابًا ، وأشهد عليه الملائكة ، فلما احتضر آدم أتته المـلائكة لتقبضه ، فقال : إنه قد بقي من عمري أربعون عامًا . فقيل : إنـك قد وهبتها لابنك داود . قال : ما فعلت . قال : فأبرز الله عليه الكتاب ، وشــهدت عليه الملائكة » .

رواه أحمــد من طريق حــماد بن سلــمــة ، عــن علي بن زيــد بن جدعــان ، عن يوســف بن مهـران ، عنــه من وجهــين ، وعلي بــن زيد ضعيف .

ورواه الطبـراني من طريــقه هكذا ، قــال : وعن غير واحــد ، عن الحسن به .

وعن همام بن منبه ، عن أبي هريرة ، عن النبيﷺ قال: « خلق الـله آدم طـوله ســتون ذراعًـا ، ثم قــال : اذهب فـسلـم علـى أولئـك الملائكة. . .» الحديث ، « فكل من يدخل الجنة على صورة آدم ، فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن » .

رواه البخاري ومسلم .

وعن أبــي هريرة أن رســول اللهﷺ قــال: « كان طول آدم ســتين ذراعًا في سبعة أذرع عرضًا » .

رواه أحمد من طريــق علي بن زيد ، عن سعيد بن المـسيب ، عنه.

وعلي ضعيف .

وعن مسلم بن يسار ، أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[1] الآية. فقال عمر: سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها فقال: « إن الله خلق آدم ، ثم مسح ظهره ، فاستخرج منه ذريته ، قال : خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ، ثم مسح ظهره ، فاستخرج منه ذريته ، قال : خلقت هؤلاء للنار ، وبعمل أهل النار يعملون . فقال رجل : يا رسول الله ، ففيم العمل ؟ قال : إذا خلق الله العبد للجنة ؛ استعمله بعمل أهل الجنة، حتى يموت على عمل من أعمال الجنة ، فيدخل به الجنة ، وإذا خلق الله العبد للنار ؛ استعمله بعمل أهل النار ، حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار ويدخل به النار » .

رواه مالك ، وأحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن حبان في «صحيحه » كلهم من طريق مالك . وقال الترمذي : حسن ، ومسلم لم يسمع من عمر.

قال أبو حاتم : بينهما نعيم بن ربيعة .

وقد أخرجه أبو داود من طريق أخرى ،عن مسلم بن يسار ، عن

---

(١) الأعراف : ١٧٢ .

نعيم، عن عمر ،ورجحه الدارقطني في « العلل »[1] وذكر أن عمر بن [جُعْثُم][2] شيخ بقيّة فيه ، توبع عن زيد بن أبي أنيسة فيه .

(ق١٧/١) عن كلثوم بن جبر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: « إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم بنعمان يوم عرفة، فأخرج من صلبه ذرية ذرأها ، فنثرها بين يديه ، ثم كلمهم فتلا: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾[3] الآيات .

رواه أحمد عن حسين ، عن جرير بن حازم ، عنه .

وأخرجه النسائي ، وابن جرير ، والحاكم من طريق حسين، وإسناده قوي ، إلا أنه اختلف فيه على كلثوم في رفعه ووقفه ، وعلى سعيد أيضًا، وعلى ابن عباس أيضًا ،وتبين أن وقفه أصح .

وهكذا روي عن عبد الله بن عمرو موقوفًا ومرفوعًا .

وروى الشيخان وأحمد من طريق أبي عمران الجوني ، عن أنس بن مالك ، عن النبي ﷺ قال: « يقال للرجل يوم القيامة من أهل النار : لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتديًا به ؟ قال : فيقول :

---

(١) العلل (٢/رقم ٢٣٥) .

(٢) جعثم ، بالجيم ، وبعدها عين مهملة ، ثم ثاء معجمة بثلاث ، كذا ضبطه ابن ماكولا في الإكمال (٣/١٢٦) وترجم لعمر بن جعثم الحمصي . وفي الأصل جثعم سبق قلم من الحافظ ، وقد ضبطه الحافظ نفسه على الصواب في التبصير (٥٢٥) .

(٣) الأعراف : ١٧٢ .

نعم . فيقول : قد أردت ما هو أهون من ذلك ، قد أخذت عليك من ظهر آدم ألا تشرك بي شيئًا ، فأبيت إلا أن تشرك » .

وعن أبيّ بن كعب في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ ﴾[1] قال : فجمعهم له يومئذ جميعًا ، ما هو كائن منه إلى يوم القيامة ، فخلقهم ثم صورهم ، ثم استنطقهم فتكلموا ، وأخذ عليهم العهد والميثاق ، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا : بلى . قال : فإني أشهد عليكم السموات السبع والأرضين السبع ، وأشهد عليكم أباكم ؛ أن لا تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا ، اعلموا أنه لا إله غيري، ولا رب غيري ،ولا تشركوا بي شيئًا ، وإني سأرسل إليكم رسلا يذكرونكم عهدي وميثاقي ، وأنزل عليكم كتابي . قالوا : نشهد أنك ربنا وإلهنا ، لا رب لنا غيرك ، ولا إله لنا سواك ، فأقروا يومئذ بالطاعة ، ورفع أباهم آدم فرأى فيهم الغني والفقير وحسن الصورة ودون ذلك . فقال : يا رب ، لو سويت بين عبادك ؟ فقال : إني أحببت أن أشكر ، ورأى فيهم الأنبياء مثل السرج ، عليهم النور وخُصوا بميثاق آخر من الرسالة والنبوة ، فهو الذي يقول : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ ... ﴾[2] الآية . وهو الذي يقول : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ... ﴾[3] الآية ، ثم قال : ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ

---

(١) الأعراف : ١٧٢ .

(٢) الأحزاب : ٧ .

(٣) الروم : ٣١ .

...﴾[1] الآية » .

رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم، وغيرهما في « التفسير » من طريق أبي جعفر ، عن أبي العالية ، عنه .

وروي عن مجاهد ، وعكرمة ، وسعيد ، والحسن ، وقتادة ، والسدي نحو ذلك .

قيل : لما أهبط آدم كانت رجلاه في الأرض ورأسه في السماء ، فحطه الله إلى ستين ذراعًا .

رواه عبد الرزاق ، عن هشام بن حسان ، عن سوار ختن عطاء بن أبي رباح موقوفًا ، وروي أيضًا عن ابن عباس ولا يصح ؛ لما تقدم في « الصحيحين » : « إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعًا » فإن ظاهره أنه خلق كذلك في الابتداء .

قلت : ويمكن أن يأول ويجمع في معنى الأول[2] .

وعن ابن عباس : « إن أول طعام أكله آدم في الأرض أن جاءه جبريل بسبع حبات من حِنْطة[3] ، (ق١٧/ب) فقال : ما هذا ؟ قال : هذا

---

(١) الأعراف : ١٠٢ .

(٢) وأورد الحافظ في الفتح (٦/ ٤٢٣) حديث عبد الرزاق المتقدم ، ثم قال : فظاهره أنه كان مفرط الطول في ابتداء خلقه ، وظاهر الحديث الصحيح أنه خُلِقَ في ابتداء الأمر على طول ستين ذراعًا وهو المعتمد .

(٣) الحِنطة ، بالكسر : البُرّ . (ترتيب القاموس : حنط) .

من الشجرة التي نهيت عنها فـأكلت منها . قال : وما أصنع بها ؟ قال : ابذره في الأرض ؛ فبذره ، فكانت كل حبّة أزيد من مائة ألف ، فنبتت ، فحصده ، ثم درسه ، ثم ذراه ، ثم طحنه ، ثم عجنه ، ثم خبزه ، فأكله بعد جهد عظيم وتعب ونكد ، وذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾[1] وكان أول كسوتهما من شعر الضأن ، جزّاه ، ثم غزلاه ، فنسج له جبة ، ولحواء درعًا وخمارًا » .

وعنه : « إن الله – تعالى – قال لآدم : إن لي حرمًا بحيال عرشي، فانطلق فابن لي فيه بيتًا ، وطف به كما تطوف ملائكتي بعرشي ، وأرسل الله ملكًا فعرفه مكانه وعلمه المناسك ، وذكر أن موضع كل خطوة خطاها آدم صارت قرية بعد ذلك » .

رواه ابن جرير .



---

(١) طه : ١١٧ .

فصل : اختلف هل ولد لآدم في الجنة أم لا ؟

فقيل : ولد بها قابيل وأخته فقط ، والأصح أنه لم يولد لهما إلا بعد أن أهبطا ، وكان يولد له في كل بطن ذكر وأنثى ، فزوج هذا توأمة هذا، وهذا توأمة هذا .

وعن السدي ، عن مشايخه المذكورين: « أن آدم كان يزوج ذكر كل بطن بأنثى الآخر ، وأن هابيل أراد أن يتزوج أخت قابيل ، وكانت أكبر من هابيل ، وأخت قابيل أحسن من أخت هابيل ، فأراد قابيل أن يستأثرها على أخيه ، وأمره آدم أن يزوجها أخاه فأبى ، فأمرهما أن يقربا قربانًا ، وذهب آدم إلى مكة ، واستحفظ السموات على بنيه فأبين ، والأرضين والجبال فأبين ، فتقبل قابيل بحفظ ذلك ، فلما ذهبا قربا قربانهما ، فقرب هابيل جذعة سمينة - وكان صاحب غنم - وقرب قابيل حزمة من زرع من رديء زرعه ، فنزلت نار فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل ، فغضب قابيل وقال : لأقتلنَّك حتى لا تنكح أختي . فقال : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾[1] » .

وروي عن ابن عباس من أوجه نحوه .

وعن عبد الله بن عمرو أنه كان يقول : « والله ، إن كان المقتول

(١) المائدة : ٢٧ .

لأشد الرجلين ، ولكن منعه التحرج أن يبسط إليه يده » .

وعن أبي جعفر الباقر : « أن آدم كان مباشراً لذلك فقال قابيل لآدم : إنما تقبل منه ؛ لأنك دعوت له ،ولم تدع لي . فلما كان ذات ليلة أبطأ هابيل في الرعي ، فأرسل آدم إليه أخاه قابيل ؛ لينظر ما شأنه ، فلما وجده ؛ قال له : أيتقبل منك ولا يتقبل مني ؟ فقال : إنما يتقبل الله من المتقين ، فغضب قابيل وضربه بحديدة كانت معه فقتله . وقيل : بصخرة رماها على رأسه . وقيل : خنقه فمات » .

وعن سعد بن أبي وقاص أنه قال عند فتنة عثمان : أشهد أن رسول الله ﷺ قال: « إنها ستكون فتنة ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشي ، والماشي خير من الساعي ». قال : أفرأيت إن دخل علي بيتي فبسط يده إلي ليقتلني ؟ قال : « كن كابن آدم » .

رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي(ق١٨/١) من هذا الوجه .

ورواه ابن مردويه من حديث حذيفة مرفوعًا وقال : « كخير ابني آدم » .

ورواه مسلم ، وأبو داود ، والترمذي ، وابن ماجة من وجه آخر عن أبي ذر نحوه .

وعن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقتل نفس ظلمًا إلا كان على ابن آدم كفل من دمها ؛ لأنه أول من سن القتل » .

رواه الشيخان وغيرهما ، وهكذا روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص .

وحكى ابن عساكر في ترجمة أحمد بن كثير - وكان من الصالحين - أنه رأى النبي ﷺ ، وأبا بكر ، وعمر ، وهابيل في المنام ، وأنه استحلف هابيل أن الذي في مغارة الدم بجبل قاسيون شمال دمشق دمه ؛ فحلف له . وذكر له أنه سأل الله - تعالى - أن يجعل هذا المكان مستجابًا عنده الدعاء ، فأجابه إلى ذلك (١) .

فلما قتله حمله على ظهره مدة ، حتى بعث الله غرابين أخوين فقتل أحدهما الآخر ، فلما قتله عمد إلى الأرض فحفر له فيها ثم ألقاه ودفنه ، فلما رآه صنع ذلك ؛ فعل مثل ذلك .

قال الطبراني : نا ابن مرثد ، نا صفوان بن صالح ، نا الوليد بن مسلم ، عن الأوزاعي ، عن حسان بن عطية قال : « بكى آدم على الجنة سبعين عامًا ، وبكى على خطيئته سبعين عامًا ، وبكى على ابنه حين قتل أربعين عامًا ، وأقام بمكة من عمره مائة عام » .

أخرجه أبو نعيم في ترجمة حسان عن الطبراني ، وأخرجه من طريق علي بن سهل الرملي ، عن الوليد ، فقال في الأخير : سبعين عامًا .

---

(١) قال الحافظ ابن كثير في البداية : وهذا منام لو صح عن أحمد بن كثير هذا ، لم يترتب عليه حكم شرعي .

وروى ابن جرير ، عن حميد : أن آدم حزن على هابيل حزنًا شديدًا ، وذكر الشعر المشهور[1] .

فإن صح إسناد ذلك[2] ؛ فيحمل على أنه قال كلامًا يتحزن به خرج منه هذا النظم من غير قصد ، فليس هو بشعر.

وعن مجاهد : أن قابيل عوجل بالعقوبة يوم قتل أخاه ، فعلقت ساقه إلى فخذه ،وجعل وجهه إلى الشمس كيفما دارت ؛ تنكيلا به وتعجيلا لعقوبته ؛ لذنبه وحسده وبغيه .

وفي التوراة خلاف ذلك وهو أن الله أجله وأنظره ، وأنه سكن في أرض بواد[3] في شرقي عدن وأنه جاءته الذرية ، فمن ولده آبلِ ، وهو أول من سكن القباب واقتنى المال. ونوبل ، وهو أول من أخذ في ضرب الرتج والصنج[4] . وتوبلقين ، وهو أول من صنع النحاس والحديد .

قلت : وإذا جاء عن أهل ملتنا ما يخالف ما في التوراة ؛ قدمنا

---

(١) وهو قوله :

تغيرت البلاد ومن عليها ... فوجه الأرض مغبر قبيح

تغير كل ذي لون وطعم ... وقل بشاشة الوجه المليح

انظرتفسير ابن جرير(٦/ ١٢٢) .

(٢) قلت : لم يصح ، وراجع ترجمة أحمد بن محمد المخزومي من الميزان، واللسان.

(٣) غير منقوطة في الأصل .

(٤) الصنج: آلة بأوتار يضرب بها . (ترتيب القاموس : صنج) .

ذلك على ما فيها ؛ لأنا قاطعين بأنها دخلها التبديل، وإنما نقبل ما لا يخالف ما عندنا .

وذكر ابن إسحاق : « أن حواء ولدت لآدم أربعين ولدًا في عشرين بطنًا . وقيل : بل مائة وعشرين، أولهم قابيل وأخته قليما ، وآخرهم عبد المغيث ، وأخته أمة المغيث .

وقيل : لم يمت آدم حتى رأى من ذريته ونسله أربعمائة ألف نسمة.

وأما ما روي عن الحسن ، عن سمرة ، عن النبي ﷺ قال: « لما ولدت حواء ؛ طاف بها إبليس - وكان لا يعيش لها ولد - فقال لها : سمه عبد الحارث ؛ فإنه يعيش ، فسمته عبد الحارث فعاش ، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره » .

فهكذا أورده الترمذي ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وغير واحد في تفاسيرهم ،عند ذكر قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ [وَجَعَلَ][1] مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ - إلى قوله تعالى - فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[2] .

وهو- وإن صححه الحاكم ،وحسنه الترمذي - لا يصح ولايحسن؛ لأن راويه عمر بن إبراهيم - عن قتادة ، عن الحسن - فيه مقال . والحسن لم يسمع من سمرة إلا حديث العقيقة ، فهو منقطع .

---

(١) في الأصل : وخلق .
(٢) الأعراف : ١٨٩ - ١٩٠ .

ورواه بعضهم موقوفًا على سمرة ،وهو أشبه.

(ق١٨/ب) وقد فسر الحسن البصري هـذه الآية بخلاف هذا ، فلو كان ثابتًـا عنده مرفوعًـا ؛ ما عدل عنه إلـى غيره . وقد روي عن ابـن عباس موقوفًا أيضًا ، والظاهر أنه مما تلقاه الصحابة عن كعب الأحبار وأمثاله .

والحق أن الآية نبـه فيها أولا على قـصة آدم ، ثم استطرد مـنها إلى جنـس البشر ، ولـيس المراد بـقوله ذلـك آدم وحواء ، بل لما جـرى ذكر الشخـص ؛ استطرد إلـى الجنس ، ومثـله قوله تـعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ ﴾[1] فهذا آدم ،ثم قال : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾[2] فهذا ولـده . ومثله قوله تـعالى : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ ﴾[3] ولـيسـت المصابيح رجومًا، وإنما استطرد من شخصها إلى جنسها ، والله أعلم .



(١) المؤمنون : ١٢ .

(٢) المؤمنون : ١٣.

(٣) الملك : ٥ .

فصـــل

عن أبي ذر قال : قلت : يا رسـول اللـه ، كم الأنبيـاء ؟ قـال : «مائة ألـف وأربعة وعشـرون ألفًا ». قلت : يـا رسول الله ، كـم الرسل منهم ؟ قال : « ثلثمائة وثلاثـة عشر » . قلت : يا رسول الله ، من كان أولهم ؟ قال : « آدم » . قلت : يا رســول الله، نبي مرسـل ؟ قال : «نعم» . رواه ابن حبان في « صحيحه » ، وفي صحته مقال .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أخبركم بأفضل الملائكـة : جبريل ، وأفضـل النبيـين آدم ، وأفضل الأيام يوم الجـمعة ، وأفضل الشهور شهر رمضان، وأفضل اللـيالي ليلة القدر ، وأفضل النساء مريم » .

رواه الطبـراني من طريق نافـع ، وهو أبو هرمز الـراوي عن أنس، وعطاء ، وقد كذبه ابن معين ، وضعفه الجمهور .

وعن كعـب الأحبار قال : « ليـس في الجنة أحد لـه لحية إلا آدم ، لحيته سوداء إلى سرته ، وليس أحد يكنـى في الجنة إلا آدم كنيته في الدنيا أبو البشر ، وفي الجنة أبو محمد » .

وروى ابن عدي عن جابر مرفوعًا : « أهل الجـنة يدعون بأسمائهم، إلا آدم فإنه يكـنى أبا محمـد » . ذكـره في ترجمـة شـيخ بن [أبي][1]

(١) من البداية ،وهو شيخ بن أبي خـالد الصـوفي البصري ، انظر الكامـل لابن عدي (٤/ ٤٧) .

خالد ، وهو ضعيف ، وروي أيضًا عن علي نحوه[1] .

وعن هشام بن حسان ، عن الحسن قال : «عقل آدم مثل عقل جميع ولده » .

رواه البزار بسند صحيح إلى هشام .



(١) قال ابن كثير : ورواه ابن عدي أيضًا من حديث علي بن أبي طالب وهو ضعيف من كل وجه ، والله أعلم .

فصل في مدة عمره وموضع دفنه

وقد تبين أن عمره ألف سنة من أوجه صحيحة ، وفي التوراة تسعمائة وثلاثون سنة . ويمكن الجمع بينه وبين الحديث الصحيح بأن يحمل على السني الشمسية ،وهي بالقمرية تسعمائة وسبع وخمسون سنة، ويضاف لها مدة مقامه بالجنة قبل أن يهبط ثلاث وأربعون سنة ، وهو على ما ذكره ابن جرير وغيره، فيكون الجميع ألف سنة .

فإن قلت : إن المراد بالألف مدة كونه في الدنيا بعد الإهباط بطل الجمع وقدم ما في الحديث على ما في التوراة .

روى ابن عساكر من طريق ميمون بن مهران ،عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : « كبَّرت الملائكة على آدم أربعًا » .

واختلف في موضع دفنه ، فقيل : عند الجبل الذي أهبط منه في الهند . وقيل : بجبل أبي قبيس بمكة .وقيل : دفنه نوح في الطوفان هو وحواء في تابوت واحد ببيت المقدس .

حكاه ابن جرير .

وحكى ابن عساكر عن بعضهم أن رأسه عند مسجد إبراهيم ، ورجلاه عند صخرة بيت المقدس ، وماتت حواء بعده بسنة .

وعن عطاء الخراساني قال : لما مات آدم ؛ بكت الخلائق عليه سبعة

أيام .

رواه ابن عساكر .



شيث بن آدم

في الحديث الذي صححه ابن حبان عن أبي ذر : أنه نبي أنزلت عليه خمسون صحيفة .

وأما ابنه آنوش ؛ فلم يثبت من أمره شيء .

وولد آنوش قينان[1] ، وولد قينان مهلائيل ، وهو الذي يزعم الفرس(ق١٩/١) أنه ملك الأرض كلها ، وأنه أول من قطع الأشجار وبنى المدائن والحصون الكبار، وأنه هو الذي بنى مدينة بابل ، ومدينة السوس الأقصى ، وأنه قهر إبليس وجنوده ، وشردهم عن الأرض إلى أطرافها ، وأنه قتل خلقًا من مردة الجن والغيلان ، وأن دولته كانت أربعين سنة .

فولد مهلائيل يزد ، وولد يزد خنوخ ، فقيل : هو .



---

(١) الإكمال لابن ماكولا (٧/ ٩٩) .

إدريس النبي عليه السلام

وقد أثنى الله عليه بالنبوة والصديقية ، وأنه رفعه مكانًا عليا .

وذكر ابن إسحاق أنه أول من خط بالقلم ، وقيل : إنه المشار إليه في حديث معاوية بن الحكم السلمي ، لما سأل النبي ﷺ عن الخط بالرمل فقال : « إنه كان نبي يخط ، فمن وافق خطه فذاك » .

وذكر كثير من المفسرين وعلماء النجوم أنه أول من تكلم في ذلك ، ويسمونه هرمس الهرامسة ، ويكذبون عليه كثيرًا .

وقد ثبت في « الصحيحين » : أن النبي ﷺ ، مرّ به في السماء الرابعة .

وعن الأعمش ، عن شمر بن عطية ، عن نهلال بن يساف قال : سأل كعبًا ابن عباس - وأنا حاضر - فقال له : قول الله - تعالى - لإدريس : ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾[1] قال : أما إدريس ، فإن الله أوحى إليه : إني أرفع لك كل يوم مثل جميع عمل بني آدم ، فأحب أن يزداد عملا ، فأتاه خليل له من الملائكة ، فقال : إن الله أوحى إلي كذا وكذا ، فكلم لي ملك الموت حتى أزداد عملاً ، فحمله بين جناحيه ، ثم صعد به إلى السماء ، فلما كان في الرابعة ، تلقاهم ملك الموت منحدرًا، فكلمه في الذي كلمه فيه إدريس ، فقال : وأين إدريس ؟ فقال : هذا

---

(١) مريم : ٥٧ .

هو على ظهري . قال ملك الموت : فالعجب بعثت وقيل لي : اقبض روح إدريس في السماء الرابعة ، فجعلت أقول : كيف أقبض روحه في السماء الرابعة ، وهو في الأرض ؟ فذلك قوله تعالى : ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾[1] .

رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وزاد أنه قال لذلك الملك : سل لي ملك الموت : كم بقي من عمري ؟ فسأله فقال : لا أدري حتى أنظر ، فنظر ، فقال : إنك لتسألني عن رجل ما بقي من عمره إلا طرفة عين ، فنظر الملك إلى إدريس تحت جناحه ، فإذا هو قد قبض وهو لا يشعر .

وهذا من الإسرائيليات وفي ألفاظه نكارة .

وروى ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾[1] قال : إدريس رفع كما رفع عيسى .

وعن ابن عباس : « رفع إلى السماء السادسة فمات بها » .

رواه الطبري من طريق العوفي عنه ،وهو ضعيف . وكونه في السماء الرابعة أصح .

قلت : أخرج ابن مردويه بسند ضعيف في بعض طرق حديث الإسراء : « أن النبي ﷺ رآه في الخامسة » .

---

(١) مريم : ٥٧ .

وعن الحسن[1] قال : « إلى الجنة » .

وقال آخرون : لم يكن إدريس جداً لنوح ، وإنما هو من بني إسرائيل ، وهو إلياس .

وذكره البخاري في « صحيحه » تعليقًا عن ابن مسعود ، وابن عباس .

وقد ذكرت من وصله عنهما في « تغليق التعليق » واستدل عليه ابن العربي وغيره بقوله في حديث الإسراء : «مرحبًا بالنبي الصالح والأخ الصالح » .

فلو كان من أجداده ؛ لقال له كما قال له آدم وإبراهيم . وفي الاستدلال بذلك لذلك نظر ؛ لاحتمال أن يكون قاله على سبيل التواضع . والله أعلم .



(١) يعني في تفسير قوله تعالى : ﴿ ورفعناه مكانا عليا ﴾ .

(ق١٩/ب) باب ما جاء في أخبار نوح وقومه وسفينته من الأحاديث والآثار

ذكر ابن جرير أن مولده بعد وفاة آدم بمائة وست وعشرين عامًا .

وروى ابن حبان في « صحيحه » من حديث أبي أمامة أن رجلا قال : يا رسول الله ، أنبي آدم ؟ قال : « نعم » . قال: فكم كان بينه وبين نوح ؟ قال : « عشرة قرون »[1] .

وعن ابن عباس : كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام .

فإن كان المراد بالقرن مائة سنة ؛ فهي ألف ، ويحتمل أن يراد بالقرن الجيل ، كقوله تعالى : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ ﴾[2] .

وقد كان الجيل من قبل نوح يعمرون الدهور الطويلة ، فعلى هذا يكون بينهما ألوف من السنين .

وثبت في حديث الشفاعة أن أهل الموقف يقولون لنوح : « أنت أول رسول أرسله الله إلى الأرض » . وقد بدأ الله بذكر نوح في قصص

---

(١) قال ابن كثير في البداية : وهذا على شرط مسلم ولم يخرجه .

(٢) الإسراء : ١٧ .

كثيرة من القرآن .

وقال بعضهم : بعث وهو ابن خمسين سنة .

وروى ابن جرير ، عن ابـنَ عباس : وهو ابن ثلاثمائـة وخمسين ، وقيل : أربعمائة وثمانين .

وعـن ابن عباس في قـوله تعـالى: ﴿ وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِـهَتَكُمْ ... ﴾[1] الآية . قال : هــذه أسماء رجال صالحين مـن قوم نوح ، فلما هـلكوا ؛ أوحى الشيطان إلى قومهم : أن انصبوا إلى مـجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا ، وسموها بـأسمائهم ، ففعلوا ، فلم تعبـد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم ؛ عُبدت .

قال ابن عبـاس :وصارت هذه الأوثان التي كانت فـي قوم نوح في العرب بعد .

رواه البخاري في تفسيره سورة نوح .

وكذا قال عكرمة ، وقتادة ، وابن إسحاق .

وروى ابن جرير مـن طريق سفيان - وهو الثـوري - عن موسى ، عن محمد بـن قيس قال : كانوا قومًا صالحين بـين آدم ونوح ، وكان لهم أتباع يقتدون بهم ، فلما ماتوا ؛ قال أصـحابهم الذين كانوا يقتدون بهم :

---

(١) نوح : ٢٣ .

لو صورناهم ؛ كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم ، فصوروهم ، فلما ماتوا وجاء آخرون ؛ دب إليهم إبليس فقال : إنما كانوا يعبدونهم ، وبهم يُسقون المطر ، فعبدوهم .

وروى ابن أبي حاتم ، عن عروة بن الزبير أنه قال : هم أولاد آدم ، وكان وُدٌّ أبَرَّهُم به .

وروى ابن أبي حاتم عن يعقوب ، وهو القميّ ، عن أبي المطهر قال: ذكروا عند أبي جعفر الباقر - وهو قائم يصلي - يزيد بن المهلب . قال - فلما انفتل من صلاته - : ذكرتم يزيد بن المهلب ، أما إنه قتل في أول أرض عبد فيها غير الله .

قال : ذكر ودا رجلا مسلمًا ، وكان محببًا في قومه ، فلما مات عكفوا حول قبره في أرض بابل وجزعوا عليه ، فلما رأى إبليس جزعهم عليه ؛ تشبه به في صورة إنسان ثم قال : إني أرى جزعكم على هذا الرجل [فهل لكم][1] أن أصور لكم مثله ، فيكون في ناديكم فتذكرونه ؟ قالوا : نعم ، فصور لهم مثله ووضعوه في ناديهم ، وجعلوا يذكرونه فلما رأى ما بهم من ذكره ؛ قال : هل لكم أن أجعل في منزل كل واحد منكم تمثالا مثله ؛ ليكون له في بيته ؟ قال : وأدرك أبناؤهم ، فجعلوا

---

(١) من البداية .

يرون ما يصنعون بــه . قال : وتناسلوا ، ودرس[1] أثر ذكرهم إياه ، حتى اتخذوه إلهًا يعبدونه من دون الله ، وكان أول ما عبد غير الله ود ، الصنم الذي سموه باسم ود .

ومقتضى هذا أن كل صنم من هذه عبده طائفة من الناس ، وقد ذكر أنه لما تـطاولت العهود والأزمـان ؛ جعلوا تلـك الصور تماثيل مـجسدة ؛ ليكون أثبت لها ، ثم عبدت .

(ق ١/٢٠) فالحاصل أن الفـساد لما انتشر في الأرض بعـبادة الأصنام ؛ بعث الله نوحًا ، فكان أول رسول أُرسل إلى أهل الأرض ، كما ثبت في حديث الشفاعة : « أن أهل الموقف يأتــون نوحًا فيقولون : يا نوح ، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض . . . » .

رواه البخاري في تفسير سورة نوح من حديث أبي هريرة .

فلما طـال على نوح دعـاؤه إيـاهم إلى الله - تعالى - وتمادى ردهم عليه كما في القرآن في مواضع كثيرة ، أمره الله أن يصنع السفينة .

قال بعـض السلف : لمـا استجاب اللــه له ؛ أمره أن يغــرس شجرًا ليعــمل منه السفـينة ، فغرسه وانـتظره مائة سـنة ، ثم نجره في مائــة سنة أخرى ، وقيل : في أربعين .

قال محمد بــن إسحاق ، عن الثوري : كانت مــن خشب الساج ،

---

(١) درس الأثر : عفـا وذهب . وقال أبو الهـيثم : دَرَسَ الأَثَرُ يَدْرُسُ دُرُوسًـا ، ودَرَسَتْهُ الريحُ تَدْرُسُهُ دَرْسًا : أي مَحَتْهُ. اللسان (مادة : درس).

وقيل : من الصنوبر ، وهو في التوراة . وجعلها ثمانين ذراعًا طولا وخمسين عرضًا ، وطلى ظاهرها وباطنها بالقار ، وجعل لها جؤجؤاً أزور[1] يشق الماء .

وقيل : كان طولها ثلثمائة ذراع في عرض خمسين. قاله قتادة، وكذا هو في التوراة .

وعن الحسن البصري : ستمائة ذراع في عرض ثلثمائة .

وعن ابن عباس : ألف [ومائتا][2] ذراع في عرض ستمائة ، وسيأتي ....[3] . وقيل : ألف[4] في مائة .

واتفقوا على أن ارتفاعها كان ثلاثين ذراعًا ، وكانت ثلاث طبقات ، كل واحدة عشرة أذرع ، أعد السفلى للدواب ، والوسطى للناس ، والعليا للطير ، وكان بابها في عرضها ، وكان لها غطاء من فوقها مطبق عليها ، وحمل فيها من كلٍّ زوجين اثنين من المأكولات وغيرها ليبقى نسلها ، وأن يحمل معه أهل بيته إلا من استثنى الله ، ممن كان كافراً .

والمراد بالتنور عند الجمهور : وجه الأرض ، أي نبعت الأرض من

---

(١) الجؤجؤ : الصدر ، والأزور : المائل . (ترتيب القاموس : جأجأ ، زور).

(٢) من البداية ، وفي الأصل : ومائتي ، وهو خلاف الجادة .

(٣) كلمة غير واضحة في الأصل .

(٤) في البداية : ألفي .

سائر أرجائها حتى نبعت التنانير التي هي محل النار .

وقيل : التنور عين في الهند ، روي عن ابن عباس .

وقيل : بالكوفة ، حكي عن الشعبي . وعن قتادة : الجزيرة .

وعن علي : التنور فلق الصبح ، وتنوير الفجر إشراقه وضياؤه ، وهذا غريب .

وفي التوراة : أمر أن يحمل من كل ما يؤكل سبعة أزواج ، ومما لا يؤكل زوجين ، وهذا مغاير لمفهوم القرآن فهو مردود ، ويمكن أن يجمع بينهم بنوع من التأويل .

وروي عن ابن عباس : أول ما دخل من الطيور الدُّرَّة[1] ، وآخر من دخل من الحيوان الحمار ، ودخل إبليس متعلقًا بذنب الحمار .

وعن هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، أن رسول الله ﷺ قال: « لما حمل نوح في السفينة من كل زوجين اثنين ، قال له أصحابه : وكيف تطمئن المواشي ومعها الأسد ، فسلط الله على الأسد الحمى ، فكانت أول حمى نزلت إلى الأرض ، فاشتغل بنفسه ، ثم شكوا الفأرة ، فقال : الفُوَيْسِقة[2] تفسد علينا طعامنا ومتاعنا ، فأوحى الله إلى

---

(١) الدُّرَّة : بضم الدال المهملة ، الببغاء المتقدمة ، هو طائر لونه أخضر ، وهو في قدر الحمام يتخذها الناس للانتفاع بصوتها .

(٢) الفويسقة : الفأرة . لخروجها من جحرها على الناس . (ترتيب القاموس : فسق).

الأسد فعطس ، فخرجت الهرة ، فتخبأت الفأرة منها » .

رواه ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن أبي صالح ، عن الليث ، عنه ، وإسناده صالح مع إرساله .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إلا قَلِيلٌ ﴾[1] . وهذا مع طول المدة والمقام بين أظهرهم ، ودعوتهم الأكيدة ليلا ونهارًا(ق٢٠/ب) ، مع فنون التلطف ، والتهديد والوعيد تارة ، والترغيب والوعد أخرى .

وعن ابن عباس : أن عِدَّة من آمن معه ثمانون نفسًا .

وعن كعب : اثنان وسبعون . وقيل : عشرة . وقيل : بل نوح وكنائنه[2] الأربع وأولاده الثلاثة : سام ، وحام ، ويافث . وتخلف الرابع واسمه يام . وقيل كنعان . وهذا القول مغاير للقرآن ؛ لأن الآية نصت على أنه ركب معه غير أهله طائفة ، وأما امرأة نوح - وهي أم أولاده - فقيل : غرقت مع من غرق لكفرها .

وفي التوراة : أنها كانت في السفينة ، فيحتمل أنها أنظرت ، أو أن كفرها طرأ عليها بعد ذلك ، وفيه بُعد .

وذكر ابن جرير : أن الطوفان كان في شدة القيظ[3] .

---

(١) هود : ٤٠ .

(٢) الكنيّ ، بالفتح : امرأة الابن أو الأخ، جمع كنائن . (ترتيب القاموس : كنن) .

(٣) القيظ : صميم الصيف من طلوع الثريّا إلى طلوع سهيل . (السابق : قيظ) .

وقال أهل التفسير : ارتفع الماء على أعلى جبل بالأرض خمسة عشر ذراعًا ، وهو الذي في التوراة .وقيل ثمانين ذراعًا ، وعمّ جميع الأرض ، ولم يبق على وجـه الأرض ممن كان بها من الأحياء عين تطرف .

قال مالـك ، عن زيد بن أسـلم : كان أهل ذلـك الزمان قد مـلئوا السهل والجبل .

وقال عبد الرحمـن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه : لم تـكن بقعة في الأرض إلا ولها مالك وحائز .

رواهما ابن أبي حاتم .

وقال عبد الرحمـن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه : لم تـكن بقعة في الأرض إلا ولها مالك وحائز .

رواهما ابن أبي حاتم .

وعن إبراهيـم بن عبد الرحمن بـن أبي ربيعة ،أن عائشـة أخبرته أن رسول الـلهﷺ قال: « لـو رحم اللـه من قـوم نوح أحدًا ؛ لـرحم أم الصبي » .

قال رسول اللـهﷺ : « مكث نوح في قومه ألـف سنة ، وغرس مائة من الشجر ؛ فـعظمت وذهبت كل مذهب ، ثم قطعـها ، ثم جعلها سفينة ، ويمرون عليه ويسخرون منه، ويـقولون: تعمل سفينة في البر ؟! كيف تجـري ؟ قال : سوف تعـلمون . فلمـا فرغ ونبع المـاء ، وصار في

السكك ؛ خشيت أم الصبي عليه ، وكانت تحبه حبًا شديدًا ، فخرجت به إلى الجبل حتى بلغت ثلثه ، فلما بلغها الماء ؛ خرجت به حتى استقرت على الجبل ، فلما بلغ الماء رقبتها رفعته بيديها فغرقا ، فلو رحم الله منهم أحدًا ؛ لرحم أم الصبي »[١] .

رواه ابن أبي حاتم من طريق يعقوب بن محمد الزهري[٢]، عن فائد[٣] مولى عبيد الله بن أبي رافع ، عنه .

وقد روي عن كعب الأحبار ، ومجاهد شبيه بهذه القصة .

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٢/ ٢١، ٢٢) ، وابن أبي حاتم ، كما في تفسير ابن كثير (٢/ ٤٤٧ - هود : ٤٢) ، والحاكم في مستدركه وصححه (٢/ ٣٤٢) من طريق موسى بن يعقوب الزمعي ، عن فائد به .
قال الذهبي في تلخيصه على المستدرك : إسناده مظلم ، وموسى ليس بذاك .
وقال ابن كثير في البداية : وهذا حديث غريب جدا . . . وأحرى بهذا أن يكون موقوفًا متلقى عن مثل كعب الأحبار .

(٢) كذا في الأصل ، وفي البداية أيضًا ، وأظنه سبق قلم من الحافظ ابن كثير، وتبعه عليه الحافظ ابن حجر في تلخيصه، وأن الصواب في اسمه موسى بن يعقوب وهو الزمعي. فكذا هو الحديث عن ابن جرير، كما سبق، وقد ذكره على الصواب ابن كثير في تفسيره - وقد انقلب اسمه في النسخة المطبوعة - وعزاه لابن جرير ، وابن أبي حاتم ، ثم إن فائد مولى عبيد الله بن أبي رافع ، لم يذكر المزي في تهذيب الكمال يعقوب بن محمد الزهري فيمن روى عنه ، إنما ذكر موسى بن يعقوب الزمعي في آخرين فيمن روى عن فائد .

(٣) هو فائد مولى عبادل ، واسمه عبيد الله بن علي بن أبي رافع المدني ، وقد تحرف في كثير من المصادر التي رجعت إليها في تخريج الحديث إلى قائد بالقاف ، والصواب فائد بالفاء .

وأما ما يزعم بعض المفسرين : أن عوج بن عنق ، ويقال : ابن عناق، كان موجودًا في زمان الطوفان ، ويقولون : إنه كان كافرًا ، ويقولون : إن أمه عنق بنت آدم ، وأنه كان يأخذ من طوله السمك من قرار البحر ويشويه في عين الشمس ، وأنه كان يقول لنوح : ما هذه القصعة التي لك ، وأنه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلثمائة ذراع وثلاثين ذراعًا ، وثلاثة أذرع وثلث .

فكل ذلك هذيان ، وهي مخالفة لصريح المنقول والمعقول .

فإن المنقول : أن الله لم يبق من الكافرين أحدًا إلا أهلكه .

وأما المعقول : فإن أم الصبي ومن أشبه ذلك لم يرحم الله منهم أحدًا ، فكيف يبقي هذا الكافر مع تمرده ويبقيه إلى زمان موسى .

ثم في « الصحيحين » : « أن آدم كان طوله ستين ذراعًا ، ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن » .

والظاهر أن قصة عوج بن عنق من مختلقات زنادقة أهل الكتاب ، والله أعلم .

(ق١/٢١) والحق أنه لم يبق بعد الطوفان غير من كان في السفينة ، وأما قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾[1] ؛ فدال على أن من

(١) الصافات : ٧٧.

كان معهم في السفينة من غير بنيه لم يتوالدوا ولم يتناسلوا .

وروى الإمام أحمد عن سمرة أن النبي ﷺ قال : « سام أبو العرب ، وحام أبو الحبش ، ويافث أبو الروم » .

وأخرجه الترمذي .

وروي عن عمران بن حصين أيضًا ، قاله ابن عبد البرّ ، قال : والمراد هنا الروم الأول ، وهم اليونان المنسوبون إلى رومي بن لبطي بن يونان بن يافث بن نوح .

ثم روي من طريق إسماعيل بن عياش ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب أنه قال : « ولد لسام العرب وفارس والروم ، وولد ليافث الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج ، وولد لحام القبط والسودان والبربر » .

ورواه البزار من طريق يزيد بن سنان ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد ، عن أبي هريرة ، نحوه ، وزاد : « ولا خير فيهم » .

وقال : تفرد به محمد بن يزيد بن سنان ، عن أبيه ، ورواه غيره عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد مرسلا ، وهو المحفوظ ، وهكذا رواه عن وهب بن منبه مثله ، ويزيد بن سنان ضعيف .

وقيل : لم يولد لنوح هؤلاء الثلاثة إلا بعد الطوفان ، وإنما ولد له قبل السفينة كنعان الذي غرق ، وهذا باطل مخالف للأخبار الثابتة ،

ولظاهر القرآن .

وقد قيل : إن حامًا واقع امرأته في السفينة ، فدعا عليه [نوح][1] أن يشوه خلقه ، فولد له ولد أسود ، وهو كنعان بن حام ، ولد السودان .

وقيل : بل رأى أباه نائمًا وقد بدت عورته فلم يسترها ، فلذلك دعا عليه [2] .

وعن ابن عباس قال : قال الحواريون لعيسى ابن مريم : لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة فحدثنا عنها ، قال : فانطلق بهم حتى أتى كثيبًا من تراب، فأخذ كفًّا من ذلك التراب بكفه . قال : أتدرون من هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : هذا كعب حام بن نوح . قال : وضرب الكثيب بعصاه ، وقال : قم بإذن الله ، وإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه قد شاب . فقال له عيسى عليه السلام : هكذا هلكت ؟ قال : لا ، ولكن مت وأنا شاب ، ولكني ظننت أنها الساعة فمن ثَم شبت . قال : حدِّثنا عن سفينة نوح . قال : كان طولها ألف ذراع ، ومائتي ذراع ، وعرضها ستمائة ذراع ، كانت ثلاث طبقات ، فطبقة فيها الدواب والوحش ، وطبقة فيها الإنس ، وطبقة فيها الطير ، فلما كثر أرواث

---

(١) من البداية ، وفي الأصل : نوحًا ، وهو خلاف الجادة .
(٢) وهذا كله من الإسرائيليات التي لا يعتمد عليها ولا يوثق بها .

الدواب ؛ أوحى الله إلى نوح أن اغمز ذنب الفيل ، فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة فأقبلا على الروث ، ولما وقع الفأر في السفينة بقرضه ؛ أوحى الله - عز وجلّ - إلى نوح أن اضرب بين عيني الأسد ، فخرج من منخره سِنَّور وسِنَّورة ، فأقبلا على الفأر . فقال له عيسى : كيف علم نوح أن البلاد قد غرقت ؟ قال : بعث الغراب ليأتيه بالخبر ، فوجد جيفة فوقع عليها ، فدعا عليه بالخوف ؛ فلذلك لا يألف البيوت . قال : ثم بعث الحمامة فجاءت(ق٢١/ب) بورق زيتون في منقارها وطين برجلها ، فعلم أن البلاد قد غرقت . قال : فطوقها الخضرة التي في عنقها ودعا لها أن تكون في أنس وأمان ، فهي تألف البيوت . قال : فقالوا : يا رسول الله ، ألا تنطلق به إلى أهلنا فيجلس معنا ويحدثنا ؟ فقال : كيف يتبعكم من لا رزق له ؟ قال : فقال له : عُد بإذن الله فعاد ترابًا » .

رواه ابن جرير من طريق علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس(١) .

وعن عِلْبَاء بن أحمر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : « كان مع نوح في السفينة ثمانون رجلا معهم أهلوهم ، وأنهم كانوا في السفينة مائة وخمسين يومًا ، وأن الله وجه السفينة إلى مكة ، فدارت بالبيت

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٢/ ٢٢) من طريق مفضل بن فضالة عن ابن جدعان به . وإسناده ضعيف ، فيه علي بن زيد بن جدعان ، وهو ضعيف ، وكذا تلميذه وقال ابن كثير في البداية : وهذا أثر غريب جدًا .

أربعين يـومًا ، ثم وجههـا إلى الجودي[1] فاستـقرت عليه ، فبـعث نوح الغراب ليأتيه بخبر الأرض ، فذهب فوقع على الجيف فأبطأ عليه ، فبعث الحمامة فأتته بورق الزيتون ، ولطخت رجلها بالطين ، فعرف نوح أن الماء قد نضب[2] ، فهبط إلـى أسفل الجودي ، فابتـنى قرية وسماهـا ثمانين ، فأصبحوا ذات يوم وقـد تَبَلْبَلَت[3] الألسن على ثمانـين لغة ، إحداها لغة العربي ، فكان بعضهم لا يفقه كلام بعض ، فكان نوح يعبر عنهم»[4] .

وعن قتـادة : « أنهم ركبوا في الـسفينة فـي اليوم العاشر مـن شهر رجب ، فسـاروا مائة وخمـسين يومًا ، واستـقرت على الجـودي شهرًا ، وكان خروجهم من السفينة في يوم عاشوراء من المحرم » .

وروى ابن جرير من طريق . . .[5]، عن النبي ﷺ . . .[5] وأنهم صاموا يومهم ذلك .

وعن أبي هريرة قـال : « مرّ رسول الله ﷺ بأناس من الـيهود قد صاموا يـوم عاشوراء . فقـال : ما هذا من الصـوم ؟ فقالوا : هـذا اليوم الذي نجى الله موسى وبني إسرائيل من الغرق ، وغرق فيه فرعون ، وهذا

---

(١) الجُودِيُّ : جَبَلٌ بـالجزيرة استوت عليـه سفينة نوح عـليه السلام . ترتيـب القاموس (مادة: جود).

(٢) نَضَب : أي غار وبعد . اللسان (مادة : نضب).

(٣) البلبلة : اختلاط الألسنة (ترتيب القاموس : بلل) .

(٤) وهذا مما أخذه ابن عباس رضي الله عنهما عن بني إسرائيل

(٥) بياض بالأصل .

يوم استوت فيه السفينة على الجودي ، فصام نوح وموسى شكرًا لله عز وجل . فقال النبي ﷺ : أنا أحق بموسى ، وأحق بصوم هذا اليوم ، وقال لأصحابه : من كان منكم أصبح صائمًا ؛ فليتم صومه ، ومن كان أصاب من غداء أهله ؛ فليتم بقيّة يومه » .

رواه أحمد من طريق حبيب بن عبد الله ، عن شبل ، عنه .

وله شواهد في الصحيح من حديث سلمة بن الأكوع وغيره ، ولكن المستغرب منه ذكر نوح والسفينة .

وعن ابن إسحاق : « لما أراد الله أن يكف ذلك الطوفان ؛ أرسل ريحًا على وجه الأرض ، فسكن الماء وانسدت منابع الأرض ، فجعل الماء ينقص ويغيض[١] ، وكان استواء الفلك على الجودي فيما يزعم أهل التوراة لسبع عشرة ليلة مضت منه ، وفي أول يوم من الشهر العاشر رؤيت رءوس الجبال ، فلما مضى بعد ذلك أربعون يومًا ؛ فتح نوح كوة[٢] الفلك التي صنع فيها ، ثم أرسل الغراب فلم يرجع ، وأرسل الحمامة فرجعت ، ولم يستطع الوصول إلى الأرض ، فمضت سبعة أيام ثم سبعة ثم أرسلها ، فرجعت وفي فيها ورقة زيتون ، فعلم أن الماء قل عن وجه الأرض ، ثم مكث سبعة أيام، ثم أرسلها فلم ترجع ، فلما كملت السنة

---

(١) غَاضَ الماء ، يَغيضُ غَيْضًا ومَغَاضًا : قَلَّ ونَقَصَ. ترتيب القاموس (مادة : غيض).
(٢) الكَوَّةُ - ويُضَمُّ - والكَوُّ : الخَرْقُ في الحائط . ترتيب القاموس (مادة : كوو).

فيما بين أن أرسل الطوفان إلى أن أرسل نوح الحمامة ؛ برز وجه الأرض ، وكشف نوح غطاء الفلك ، وهذا موافق لما في التوراة .

وفيها : أن هبوط نوح في الشهر الثاني من السنة الثانية في ست وعشرين ليلة ، فهبطوا وابتنى نوح مذبحًا ، وأخذ من جميع الدواب الحلال والطير الحلال فذبحها قربانًا إلى الله تعالى .

(ق٢٢/١) قالوا : وعهد الله إليه أن لا يعيد الطوفان على أهل الأرض ، وجعل تذكارًا لميثاقه إليه القوس الذي في الغمام ، أي أنه قوس بلا وتر ، فلا يكون في هذا الغمام منه طوفان .



فصـــل

وقد أنكرت طائفة من جهلة الفرس والهند وقوع الطوفان ، واعترفت به طائفة منهم . لكن قالوا : إنه كان ببابل فقط ، وكل ذلك تكذيب للرسل(١) .



(١) قال الحافظ ابن كثير في البداية : وقد أجمع أهل الأديان الناقلون عن رسل الرحمن، مع ما تواتر عند الناس في سائر الأزمان ، على وقوع الطوفان ، وأنه عمّ جميع البلاد ، ولم يبق الله أحداً من كفرة العباد ، استجابة لدعوة نبيه المؤيد المعصوم، وتنفيذاً لما سبق في القدر المحتوم .

ذكر جملة من فضائل نوح

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾[1] .

وعن أبي فراس أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « صام نوح الدهر إلا يوم الفطر ويوم الأضحى ، وصام داود شطر الدهر ، وصام إبراهيم ثلاثة أيام من كل شهر ، صام الدهر وأفطر الدهر » .

رواه الطبراني بتمامه ، وعند ابن ماجة بعضه[2] .

وعن ابن عباس قال : « حج رسول الله ﷺ فلما أتى عسفان قال : يا أبا بكر ، أي واد هذا ؟ قال : هذا وادي عسفان . قال : لقد مرّ بهذا الوادي نوح وهود وإبراهيم - ولأحمد : هود وصالح - على بكْرات[3] لهم حمر ، خطمهم الليف ، أزرهم العباء ، وأرديتهم النمار[4] يحجون البيت العتيق » .

رواه أحمد وأبو يعلى ، وفيه زمعة بن صالح ، وهو ضعيف[5] .

---

(١) الإسراء : ٣ .

(٢) إسناده ضعيف ، فيه ابن لهيعة وهو ضعيف ، وبه أعله البوصيري في الزوائد ، وانظر السلسلة الضعيفة للألباني (١/رقم ٤٥٩) .

(٣) بكرات : واحده بكرة ، وهي الفتية من الإبل . (ترتيب القاموس : بكر) .

(٤) النمار : واحده نمرة ، وهي شمْلَة فيها خطوط بيض وسود ، أو بُردْة من صوف تلبسها الأعراب . (السابق : نمر) .

(٥) وقال الحافظ ابن كثير في البداية : وفيه غرابة .

وعن عبد الله بن عمرو قال : كنا عند رسول الله ﷺ ، فجاء رجل من أهل البادية عليه جبة سيحان[1] مزررة بالديباج فأخذ بمجامع جبته ، فقال : « ألا أرى عليك لباس من لا يعقل »، ثم قال : « إن نبي الله نوحًا لما حضرته الوفاة ؛ قال لابنه : إني قاص عليك الوصية ، آمرك باثنين ، وأنهاك عن اثنين ، آمرك بلا إله إلا الله ، فإن السموات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة ، ووضعت لا إله إلا الله في كفة ؛ رجحت بهن لا إله إلا الله ، ولو أن السموات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمة ؛ قصمتهم لا إله إلا الله ، وسبحان الله وبحمده، فإنها صلاة كل شيء بها يرزق الخلق ، وأنهاك عن الشرك والكبر » . قال : قلت : يا رسول الله ، هذا الشرك قد عرفناه ، فما الكبر ؟ أن يكون لأحدنا نعلان حسنان لهما شراكان حسنان ؟ قال : « لا » . قال : هو أن يكون لأحدنا حُلّة يلبسها ؟ قال : « لا » . قال : هو أن يكون لأحدنا دابّة يركبها ؟ قال : « لا » . قال : أفهو أن يكون لأحدنا أصحاب يجلسون إليه ؟ قال : « لا » . قلت : أو قيل : يا رسول الله ، فما الكبر ؟ قال : سفه الحق وغمص[2] الناس » .

رواه أحمد من طريق زيد بن أسلم قال : أظنه عن عطاء بن يسار ، عن عبد الله بن عمرو[3] .

---

(١) غير منقوطة في الأصل .

(٢) غمص الناس بالمهملة : احتقارهم . (النهاية : غمص) .

(٣) قال الحافظ ابن كثير في البداية : وهذا إسناد صحيح ولم يخرجوه .

وروى الطبراني من طريق عبد الرحيم بن سليمان ، عن ابن إسحاق ، عن عمرو بن دينار ، عن عبد الله بن عمرو ، نحوه .

وروى البزار من طريق أبي معاوية ، عن ابن إسحاق ، عن عمرو ابن دينار ، عن عبد الله بن عمر به ، وأظن هذا هو المحفوظ من هذا الوجه[1] .

وظاهر القرآن يقتضي أن نوحًا مكث في قومه بعد البعثة وقبل الطوفان ألف سنة(ق٢٢/ب) إلا خمسين عامًا .

ويزعم أهل الكتاب أن نوحًا لما ركب في السفينة كان عمره ستمائة سنة ، وهو يخالف ظاهر القرآن ، فإن أمكن الجمع ، وإلا فما عندهم باطل .

وروي عن ابن عباس : أنه عاش بعد الطوفان ثلثمائة سنة وخمسين ، وأنه بعث وله أربعمائة وثمانون سنة ، فعلى هذا يكون عاش ألف سنة وسبعمائة { وثمانين }[2] سنة .

وروى ابن جرير وغيره عن عبد الرحمن بن سابط مرسلا : أن قبر نوح بالمسجد الحرام ، وهو أولى مِن زَعْمِ مَن زَعَمَ أن قبره بالبقاع

---

(١) قال ابن كثير في البداية بعدما أورد رواية البزار : والظاهر أنه عن عبد الله بن عمرو ، كما رواه أحمد والطبراني .

(٢) من البداية ، وفي الأصل : وثمانون ، وهو خلاف الجادة .

في كَرَك[1] نوح ، وهناك جامــع قد بني بسبب ذلك ، فيمــا يقال ، والله أعلم.



(١) في البداية : بكرك ، خطأ . والكرك : قرية كبيرة قرب بعلبك ، بها قبر طويل يزعم أهل تلك النواحي أنه قبر نوح عليه السلام . معجم البلدان للحموي (٤/ ٥١٥).

فصـــــل

وقعت قصـة نوح في القرآن المجيد في سـورة الأعراف ، ويونس ، وهود ، والأنبياء ، والمـؤمنون ، والشعراء ، والعنكـبوت ، والصافات ، واقتربـت ، وأنزلت فيـه سورة كاملـة ، ووقع ذكره مطـلقًا في الـنساء ، والأنعام ، وبراءة ، وإبراهيم ، والإسراء ، والأحزاب ، وص ، وغافر ، والشورى ، وق ، والذاريات ، والحديد ، والتحريم ، فينظر هذه المواضع من كتب التفسير .



باب أخبار هود وعاد

هو هود بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح[1] . ويقال : هود بن عبد الله بن رباح بن جارود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح ، وهذا أولى .

وكان قوم عاد يسكنون الأحقاف ، وهي جبال الرمل بين عمان وحضرموت . وكانوا يسكنون الخيام ، ويقال : إن هوداً كان أول من تكلم بالعربية .

وفي حديث أبي ذر الطويل ، الذي صححه ابن حبان : « أربعة من العرب : هود ، وصالح ، وشعيب ، ومحمد » .

وقيل : أول من تكلم بها نوح . وقيل : آدم ، ويقال : العرب الذين كانوا قبل إسماعيل هم العرب العاربة ، وهم : عاد ، وثمود ، وجرهم ، وطسم ، وجديس ، وأميم ، ومدين ، وعملاق ، وعبيل ، وجاسم ، وقحطان ، وغيرهم .

وأما المستعربة ، فمن ولد إسماعيل ، وإسماعيل أول من تكلم بالعربية الفصيحة ، وكان أخذ كلام العرب من جرهم ، وكان أول من

---

(١) انظر الإكمال لابن ماكولا ، مادة شالخ (٥/ ٤) .

عبد الأصنام بعد قوم نوح عادٌ ؛ فبعث الله فيهم هودًا .

قال ابن إسحاق في المبتدأ : فدعاهم إلى الله ، فكان ما قص الله في كتابه من أخبارهم ، فأمسك الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا ، وكانوا إذا جهدوا طلبوا من الله الفرج بالحرم ، وكان سكانه العماليق ، وهم من سكان[1] عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح ، وكان كبيرهم إذْ ذاك معاوية بن بكر ، وكانت أمه من قوم عاد ، واسمها جلهدة بنت الخيبري . قال : فبعثت عاد وفدًا قريبًا من سبعين رجلا ، فمروا بمعاوية بن بكر بظاهر مكة فنزلوا عليه ، فأقاموا عنده شهرًا ، يسقيهم الخمر وتغنيهم الجرادتان - قينتان[2] لمعاوية - وكانوا وصلوا إليه في شهر ، فلما طال مقامهم عنده ، وأخذته شفقة على قومه ، واستحى منهم أن يأمرهم بالانصراف ؛ عمل شعرًا يعرض لهم بالانصراف وأمر القينتين أن تغنيهم به .

أَلا يا قَيْلُ ، وَيْحَكَ قُمْ فَهَيْنِمْ   لَعَلَّ اللَّهَ يُصْحِبُنَا غَمَامَا
فتسقي أَرْضَ عَادٍ إِنَّ عادًا   قَدَ امْسَوْا لا يُجيبُونَ الْكَلامَا

---

(١) كذا في الأصل ، وفي البداية : سلالة وهو الأشبه .
(٢) القَيْنَةُ : الأَمَةُ المُغَنِّيَةُ . ترتيب القاموس (مادة : قين).

مِنَ الْعَطَشِ الشَّدِيدِ فَلَيْسَ نَرْجُو		بِهِ الشَّيْخَ الْكَبِيرَ وَلا الْغُلامَا
وَقَدْ كَانَتْ نِسَاؤُهُمُ بِخَيْرٍ		فَقَدْ أَمْسَتْ نِسَاؤُهُمُ غياما[1]
وَأَنتُمْ هَاهُنَا فِيمَا اشْتَهَيْتُمْ		نَهَارَكُمْ وَلَيْلَكُمُ التَّمَامَا
وَإِنَّ الْوَحْشَ يَأْتِيهِم جِهَارًا		وَلا يَخْشَى لِعَادِيٍّ سِهَامَا

لنفسك ولقومك من هذه السحائب .

فقال : اخترت السوداء ؛ لأنها أكثر ماء ، فناداه مناد : اخترت رمادًا رمددًا[2] ، لا يبقي من عاد أحدًا ، لا والدًا تترك ولا ولدًا ، إلا جعلته همدًا ، إلا لبني اللوذية الهدا[3] .

قال : وهم بطن من عاد كانوا مقيمين بمكة ، فلم يصبهم ما أصاب قومهم، فمن أنسالهم وأعقابهم عاد الآخرة .

قال : وساق الله السحابة السوداء التي اختارها قيل بن عنز بما فيها من النقمة إلى عاد ، حتى تخرج عليهم من واد يقال له : المغيث ، فلما رأوها استبشروا وقالوا : ﴿ **عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا** ... ﴾[4] الآية . فكان أول من أبصر ما فيها وعرف أنها ريح فيما يذكرون امرأة من عاد يقال لها :

---

(١) من الغيمة ، ومن قلة لبنهن، وحرّ الجوف .
(٢) الرِّمْددُ - بالكسر - : المتناهي في الاحتراق والدقة . النهاية (مادة : رمد).
(٣) في البداية : الهمدا وفي تفسير الطبري (٨/ ١٥٥) المهدا . وبنو اللوذية هم بطن من عاد سكنوا مع أخوالهم بمكة ويسمون عادًا الآخرة.
(٤) الأحقاف : ٢٤ .

مهدد[1] ، فلما تبينت ما فيها صاحت ثم صعقت ، فلما أفاقت قالوا : ما رأيت يا مهدد ؟ قالت : ريحًا فيها كشهب النار ، أمامها رجال يقودونها ، فسخرها الله عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام حسومًا ، أي : دائمة . فلم تدع من عاد أحدًا إلا هلك .

قال : واعتزل هود وقومه في حظيرة ما يصيبهم إلا ما يلين عليهم الجلود وتلتذ الأنفس ، وإنها لتمر على عادٍ بالطعن فيما بين السماء والأرض وتدمغهم[2] بالحجارة .

وعن عاصم بن أبي النجود ، عن أبي وائل ، عن الحارث بن حسان - ويقال : ابن يزيد البكري - قال : خرجت أنا والعلاء بن الحضرمي إلى رسول الله ﷺ فمررت بالربذة[3] فإذا عجوز من بني تميم منقطع بها ، فقالت لي : يا عبد الله ، إن لي إلى رسول الله حاجة ، فهل أنت مبلغي إليه ؟ فحملتها إليه فأتيت المدينة ، فإذا المسجد غاصٌّ بأهله ، وإذا راية سوداء تخفق ، وإذا بلال متقلد السيف بين يدي رسول الله ﷺ . فقلت : ما شأن الناس ؟ قالوا : يريد أن يبعث عمرو بن العاصي وجهًا . قال : فجلست فدخل منزله - أو قال : رحله -

---

(١) ومثله في تفسير ابن جرير . وفي البداية : مهد .

(٢) دَمَغَه - كمنعه ونصره -: شَجَّهُ حتي بلغت الشَّجَّةُ الدِّمَاغ . ترتيب القاموس (مادة : دمغ).

(٣) الرَّبَذَة : قرية معروفة قرب المدينة . النهاية (مادة : ربذ).

فاستأذنت عليه ، فأذن لي فدخلت . فقال : « هل كان بينكم وبين تميم شيء ؟ » فقلت : نعم ، وكانت الدائرة عليهم ، ومررت بعجوز من بني تميم منقطع بها فسألتني أن أحملها إليك، وها هي بالباب ، فأذن لها فدخلت . فقلت : يا رسول الله ، إن رأيت أن تجعل بيننا وبين بني تميم حاجزًا فاجعل لنا الدهناء[1] . فحميت العجوز واستوفزت[2] ، وقالت : يا رسول الله ، فإلى أين تضطر مضرك ؟ قال : فقلت : إن مثلي ما قال الأول : « شاة حملت حتفها »[3] . حملت هذه ولا أشعر أنها كانت لي خصمًا ، أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد . قال : أخي[4] ، وما وافد عاد ؟ وهو أعلم بالحديث منه ، ولكنه يستطعمه . فقلت : إن عادًا قحطوا ، فبعثوا وافدًا يقال له : قَيْل بن عنز ، فمر بمعاوية بن بكر ، وأقام عنده شهرًا يسقيه الخمر وتغنيه جاريتان ، يقال لهما : الجرادتان . فلما مضى الشهر ؛ خرج إلى جبال مهرة[5] . فقال: اللهم ، إنك تعلم

(١) الدهناء : موضع لتميم بنجد (ترتيب القاموس) .

(٢) استوفز في قِعدته : استنصب فيها غير مطمئن ، أو وضع ركبتيه ، ورفع أليتيه . (ترتيب القاموس) .

(٣) هذا مثل ، وأورده ابن الأثير في النهاية بلفظ « . . . حتفها تحمل ضأن بأظلافها ». وأصله : أن رجلا كان جائعًا بالبلد القفر ، فوجد شاة ولم يكن معه ما يذبحها به ، فبحثت الشاة الأرض فظهر فيها مدية ، فذبحها بها ، فصار مثلا لكل من أعان على نفسه بسوء تدبيره . (النهاية ١/ ٣٣٨) .

(٤) في البداية : هيه ، وكذا هو في المسند (٣/ ٤٨٢) .

(٥) في البداية : تهامة .

أني لم أجئ إلى مـريض فأداويه ، ولا إلى أسـير فأفاديـه ، اللهم ، اسق عاداً ما كنـت تسقيه ، فمرت به سـحابات سود ، فنودي منـها : اختر . فأومأ إلى سحابة سوداء منها ، فنودي منها : خذها رماداً رمدداً ، لا تبقي من عاد أحداً » .

(ق٢٣/ب)رواه أحمد بتمامه[١] ،وأورد منه الـترمذي ، والنـسائي ، وابن ماجة ، وأورده أصحاب التفسير كابن جرير وغيره .

والظاهر أن هذا الـسياق في قصة عاد الآخرة ؛ فإن فـيه ذكر مكة ، وهي لـم تبن إلا بعـد إبراهيـم الخليـل ، حين أسكـن فيهـا هاجر وابـنه إسماعيل ، وعاد الأولى كانت قبل الخليل .

وفيه ذكر معاوية بن بكر وشعره وهو لا يشبه كلام أولئك .

وفيه : أن فـي تلك الـسحابة شرر النـار ، وعاد الأولى إنما هـلكوا بريح صرصرٍ عاتـية ، كانت تحمل الآدمي وترفعه في الهـواء ، ثم تنكسه على أم رأسه فتشدخه ، فيبقى جثة بلا رأس ؛ فلهذا قال : ﴿ فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾[٢] وأعجاز النخـل هي التي لا رءوس لها .

---

(١) مسند أحمد (٣/ ٤٨١ ، ٤٨٢) .

(٢) الحاقة : ٧ .

تنبيهٌ : قيل : كان أول الأيام الثمانية الحسوم يوم الجمعة . وقيل : الأربعاء . ومن زعم أن اليوم النحس المستمر كان يوم الأربعاء ، وتشاءم به لهذا ؛ فقد أخطأ خطأً ظاهرًا ؛ لأن الله - تعالى - قال في موضع آخر : ﴿ فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ ﴾[1] وقد كانت متتابعات، فلو كانت نحسات ؛ لكانت جميع الأيام السبعة كذلك ، وكفى هذا فسادًا ، وإنما المراد أنها نحسات عليهم .

وفي « الصحيحين » عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ : « نصرت بالصَّبا[2] ، وأهلكت عاد بالدَّبور[3] » .

وقوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ ... ﴾[4] هم قوم هود ، ويحتمل أن يكونوا [عادًا][5] الثانية .

وروى مسلم من طريق عطاء ، عن عائشة : كان رسول الله ﷺ إذا عصفت الريح قال : « اللهم ، إني أسألك خيرها ، وخير ما فيها ، وخير ما أرسلت به ، وأعوذ بك من شرها ، وشر ما فيها ، وشر ما أرسلت به ، وإذا تَخَيَّلَت[6] السماء ؛ تغير لونه وخرج ودخل ، وأقبل

---

(١) فصلت : ١٦ .

(٢) الصَّبا : ريح مهبها من مطلع الثريّا إلى بنات نعش (ترتيب القاموس: صبو) .

(٣) الدَّبور : ريح تقابل الصَّبا . (السابق : دبر) .

(٤) الأحقاف : ٢١ .

(٥) في الأصل : عاد ، وهو خلاف الجادة.

(٦) تخيلت : من المخيلة، بفتح الميم ، وهي سحابة فيها رعد وبرق ، يخيل إليه أنها ماطرة . (شرح النووي ٦/ ٢٧٩) .

وأدبر ، فإذا مَطَرَتْ ؛ سُرِّيَ عنه ، فعرفت ذلك عائشة ، فسألته ، فقال : لعله يا عائشة ، كما قال قوم عاد : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ﴾ »[1] .

وروي أيضًا عن مسلم بن يسار ، عن عائشة ، نحوه .

وأخرجه البخاري أيضًا وأبو داود . وهذا أيضًا يحتمل أن يكون في عاد الثانية .

وعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « ما فتح الله على عاد من الريح التي أهلكوا بها إلا موضع الخاتم ، فمرت بأهل البادية فحملتهم ومواشيهم وأموالهم بين السماء والأرض ، فلما رأى ذلك أهل الحاضرة من عاد الريح وما فيها ﴿ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ﴾ وألقت أهل البادية ومواشيهم على الحاضرة »[2] .

رواه ابن أبي حاتم من طريق ابن فضيل ، عن مسلم - وهو المُلائي الأعور - عن مجاهد ، عنه ، ومسلم ضعيف .

وروى الطبراني من طريق أبي مالك ، عن مسلم الملائي ، عن مجاهد ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس نحوه .

---

(١) الأحقاف : ٢٤ .

(٢) قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في البداية : هذا الحديث في رفعه نظر ، ثم اختلف فيه على مسلم الملائي ، وفيه نوع اضطراب ، والله أعلم .

وقد تقـدم حج هود عند ذكـر حج نوح ، وروي عن علـي أنه ذكر صفة قـبر هود في بلاد الـيمن ، وذكر بعـضهم أنه بدمـشق بجامعـها في حائطه القبلي .



فصل قصة هود

في الأعـراف ، ويونس ، وهـود ، والمؤمنـون ،والشعـراء ، وحم السـجدة ، والأحقاف ، والـذاريات ، والنجـم ، واقتربت ، والحـاقة ، والفجر .

وجرى ذكـر عـاد فـي سـورة إبراهـيم ، وبراءة ، والفـرقان ، والعنكبوت ، وص ، وق ؛ فيراجع ذلك من كتب التفاسير .



باب أخبار صالح وثمود (ق٢٤/١)

هم بنو ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح ، وكانوا يسكنون الحجر الذي بين تبوك وأرض الحجاز .

وقد مرّ به رسول الله ﷺ وهو ذاهب إلى تبوك ، وكانوا بعد عاد ، وكانوا يعبدون الأصنام ، فأرسل الله إليهم صالح بن عبيد بن ماسح بن عبيد بن حاجر بن ثمود ، فدعاهم إلى الله ، فآمن به قوم ، وكفر به الأكثر .

فذكر ابن إسحاق ومن تبعه من المفسرين : أن ثمود اجتمعوا يومًا في ناديهم فجاءهم رسول الله صالح ، فدعاهم إلى الله ، وذكّرهم وحذّرهم ووعظهم وأمرهم . فقالوا له : إن أنت أخرجت لنا من هذه الصخرة - وأشاروا إلى صخرة هناك - ناقة من صفتها كيت وكيت ، وذكروا أوصافها ، وسموها ونعتوها ، وتعنتوا فيها ، وأن تكون عشراء طويلة من صفتها كذا وكذا . فقال لهم النبي صالح - عليه السلام - : أرأيتم إن أجبتكم إلى ما سألتم على الوجه الذي طلبتم أتؤمنون بما جئتكم به ، وتصدقوني فيما أرسلت به ؟ قالوا : نعم ، وأخذ عهودهم ومواثيقهم على ذلك ، ثم قام إلى مصلاه فصلى ثم دعا ، فأمر الله تلك الصخرة أن تنفطر عن ناقة عظيمة عشراء كَوْمَاء[١] ، على الصفة التي طلبوا ، فلما

(١) الكوماء : الناقة العظيمة السنام . (ترتيب القاموس) .

عاينوها رأوا أمراً عظيماً ومنظراً هائلا وقدرة باهرة ، فآمن كثير منهم ، واستمر أكثرهم على كفرهم ، وكان رئيس الذين آمنوا جندع بن عمرو بن محلاه بن لبيد بن جواس ، وهَمَّ بقية الأشراف بالإسلام ، فصدهم دؤاب ابن عمرو بن لبيد ، والحباب صاحب أوثانهم ومأرب[1] بن صمعر ، ودعا جندع ابن عمه شهاب بن خليفة ، وكان من أشرافهم إلى الإسلام ، فنهاه أولئك فمال إليهم .

فقال (مهرش بن غنمة بن الذميل)[2] - وكان ممن آمن :

وَكَانَتْ عُصْبَةٌ مِنْ آلِ عَمْرٍو ... إِلَى دِينِ النَّبِيِّ دَعَوْا شِهَابَا
عَزِيزَ ثَمُودَ كُلِّهِمُ جَمِيعًا ... فَهَمَّ بِأَنْ يُجِيبَ ، وَلَوْ أَجَابَا
لأَصْبَحَ صَالِحٌ فِينَا عَزِيزًا ... وَمَا عَدَلُوا بِصَاحِبِهِمْ ذُؤَابَا
وَلَكِنَّ الْغُوَاةَ من آلَ حِجْرٍ ... تَوَلَّوْا بَعْدَ رُشْدِهِم ذئابا

ثم اتفق صالح وقومه على أن تبقى هذه الناقة بين أظهرهم ترعى حيث شاءت من أرضهم ، وترد الماء يومًا بعد يوم ، وكانت إذا وردت ؛ تشرب ماء البئر يومها ذلك ، وكانوا يرفعون حاجتهم من الماء في يومهم لغدهم ، ويقال : إنهم كانوا يشربون من لبنها كفايتهم ، وليس

(١) كذا في الأصل ، وفي البداية . وتفسير ابن جرير (٨/ ١٥٩) : رباب .
(٢) غير منقوطة في الأصل ، وفي تفسير ابن جرير (٨/ ١٥٩) : مهوس بن عنمة بن الدميل .

بصحيح .

قلت : بل أخرج ابن أبي حاتم من حديث جابر رفعه : « فبعث الله لهم الناقة ، وكانت ترد من ذلك البئر ، فتشرب ماءهم يوم وردها ويحتلبون منها مثل الذي كانوا يشربون يوم غبها[1]» .

وهو من رواية إسماعيل بن عياش ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم[عن أبي الزبير][2] .

ومن طريق ابن عباس: إذا كان يومها أصدرتهم . . لبنًا ما شاءوا وهو من رواية سويد وشهر ، عن قتادة عن ابن عباس . وفي سويد وشهر مقال ، وسيأتي حديثهما قريبًا .

ثم اتفق رأي من كفر منهم على أن يعقروها ؛ ليستريحوا من مشاركتهم لها في مائهم ، وكان الذي تولى قتلها منهم قدار بن سالف بن جندع ، وكان أحمر أزرق أصهب[3] ، وكان يقال : إنه ولد زَنْيَة[4] .

---

(١) أي : يوم وردها . انظر : ترتيب القاموس واللسان.

(٢) كذا اجتهدت في قراءتها ، والحديث أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٢٩٦) وغيره من طريق معمر عن ابن خثيم ، عن أبي الزبير ، عن جابر رفعه : « . . . وكانت تشرب ماءهم يومًا ، ويشربون لبنها يومًا » وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٢٧) : وهو على شرط مسلم ، وقال الحافظ ابن حجر نفسه : ورجاله ثقات، كما سيأتي قريبًا .

(٣) الصَّهَبُ - محركةً ـ: حُمْرَة أو شُقْرَة في الشعر. (ترتيب القاموس).

(٤) في ترتيب القاموس : وهو ابن زَنْيَة ، وقد يكسر : ابن زِنى .

وذكروا أن امرأتين من ثمود اسم إحداهما صدوق بنت المحيا بن زهير بن المختار ، وكانت ذات حسب ومال ، وكانت تحت رجل ممن أسلم، ففارقته فدعت ابن عم لها يقال له : مصدع بن مهرج بن المحيا، وعرضت عليه نفسها إن هو عقر الناقة .

واسم الأخرى هنيزة بنت غنم بن مجلز ، وكانت عجوزًا كافرة لها بنات(ق٢٤/ب) من زوجها ذؤاب بن عمرو أحد الرؤساء ، فعرضت بناتها الأربع على قدار بن سالف إن هو عقر الناقة ، فانتدب هذان الشابان لعقرها ، وسعوا في قومهم بذلك ، فاستجاب لهم سبعة ، فصاروا تسعة رهط كما قال الله ، وسعوا في بقية القبيلة ، وحسنوا لهم عقرها فأجابوهم ، فانطلقوا يريدون الناقة ، فلما صدرت من وردها كمن لها مصدع فرماها بسهم ، فانتظم عضلة ساقها ، وجاء النساء يذمرن القبيلة في قتلها ، وحسرن عن وجههن[(١)] ؛ ترغيبًا لهم في ذلك ، فابتدرهم قدار ابن سالف فشد عليها بالسيف ، فكشف عن عرقْوبها[(٢)] ، فخرت ساقطة إلى الأرض ورغت، ثم طعن في لَبَّتها[(٣)] فنحرها ، وانطلق فصيلها فصعد جبلا منيعًا ورغا ثلاثًا .

وروى عبد الرزاق ، عن معمر ، عمن سمع الحسن أنه قال :

---

(١) كذا في الأصل ، وفي البداية : وجوههن .

(٢) العرقوب من الدابة : في رجلها بمنزلة الركبة في يدها . (ترتيب القاموس) .

(٣) اللَّبة : المنحر، وموضع القلادة من الصدر . السابق .

يارب ، أين أمي ؟ أين أمي ؟ ثم دخل في صخرة فغاب فيها .

ويقال : بل عقروه أيضًا .

وعن عبد الله بن زمعة قال : خطب رسول الله ﷺ فذكر الناقة ، وذكر الذي عقرها فقال : « انبعث لها رجل عارم عزيز[1] منيع في رهطه » .

رواه الشيخان، وأحمد ، وغيرهم .

وعن عمار بن ياسر قال : قال رسول الله ﷺ لعليّ : « ألا أحدثك بأشقى الناس ؟ » . قال : بلى . قال: « رجلان ؛ أحيمر ثمود الذي عقر الناقة ، والذي يضربك يا علي ، على هذا - يعني : قرنه - حتى تبتل منه هذه ، يعني : لحيته » .

رواه ابن أبي حاتم من طريق محمد بن إسحاق ، حدثني يزيد بن محمد بن خثيم ، عن محمد بن كعب ، عن محمد بن خثيم ، عنه .

قال : فأصبحت ثمود بعد قتل الناقة صبيحة يوم الخميس ، وهو اليوم الأول من الثلاثة مصفرة وجوههم ، كما أنذرهم صالح ، فلما أمسوا ، قالوا : ألا قد مضى من الأجل يوم ، ثم أصبحوا في اليوم الثاني ووجوههم محمرة . فلما أمسوا ؛ نادوا : ألا قد مضى من الأجل

---

(١) قال الحافظ في البداية : عارم : أي شهم . عزيز : أي رئيس منيع ، أي مطاع في قومه .

يومان، فلما أصبحوا يوم السبت؛ فـإذا وجوههم مسودة، فلما أمسوا نادوا بأجمعـهم: ألا قد مضى الأجل ، فـتحنطوا وتأهـبوا وقعدوا ينتـظرون ما يحل بهم مـن العذاب، فجاءتهم صيـحة من السماء من فوقـهم، ورجفة شديدة من أسـفل منهم، فذهـبت الأرواح ، وزهقت الأنفس، وسـكنت الحركات، وأصبحـوا في ديارهم جاثمين، لا حراك لهم. قالوا: ولم يبق منهم أحد، إلا أن جارية كانت مقعدة، واسمـها كلبة بنت السلف. ويقال لها : الذريعة كانت شديدة العداوة لـصالح ، فلما رأت العذاب ؛ أُطلقت رجلاها ، فقامت تسعى كأسرع شيء ، فأتت حيا من العرب فأخبرتهم بما رأت وبما حلّ بقومها ، واستسقتهم ماء ، فلما شربت ماتت .

وعن جابر قال : لما مرّ رسول اللـهﷺ بالحجر قال : « لا تسألوا الآيات ؛ فقد سألهـا قوم صالح ، وكانت هي الناقة تـرد من هذا الفج ، وتصـدر من هذا الـفج ، فـعتواْ عـن أمر ربهـم ، وكانـت تشرب يـومًا ويشربون لبنها يومًـا ، فعقروها ، فأخذتهم(ق٢٥/١) صيحة أهمـد الله مَن تحت أديم السماء منهم، إلا رجلا واحدًا كـان في حرم الله . فقالوا : مَنْ هو يا رسـول الله ؟ قال : أبو رغال . فـلما خرج من الحرم ؛ أصـابه ما أصاب قومه » .

رواه أحمد من طريق عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن أبي الزبير، عنه ، ورجاله ثقات.

وروى عبـد الرزاق ، عـن معمـر أخبـرني إسـماعيـل بن أمـيَّة أن

النبي ﷺ مرّ بـقبر أبي رغال ، فقال : « أتدرون من هـذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : هذا قبر أبـي رغال ، رجل من ثمود كان في حرم الله ، فمنعه حرم الله عذاب الله ، فلما خرج ؛ أصابه ما أصاب قومه ، فدفن هـاهنا ، ودفن مـعه غصـــن من ذهب » . فـنزل القوم وابـتدروه بأسيافهم ، فبحثوا عليه واستخرجوا الغصن[1] .

قال معمر : قال الزهري : أبو رغال هو أبو ثقيف .

وروى ابن إسحـاق في المغازي ، وأخرجـه أبو داود من طريـقه عن إسماعيل بن أميَّـة ، عن بُجير بن أبي بُجَيْر سمعت عـبد الله بن عمرو ، سمعـت رسول الله ﷺ حـين خرجنا معـه إلى الطائـف ، فمررنا بـقبر فقال : « هـذا قبر أبي رغال ، وهو أبـو ثقيف ، وكان من ثـمود ، وكان بهذا الحرم ، فـدفع عنه ، فلمـا خرج منه ؛ أصابتـه النقمة التـي أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه ، وآيـة ذلك أنه دفن معه غصن من ذهب ، إن أنتم نبشتم عنه أصبتموه معه. فابتدره الناس، فاستخرجوا منه الغصن ».

قال المزي : حـسن غريب ، تـفرد به بُجَـيْر ، ولا يعرف إلا بـهذا الحديث ، ولا يروي عنه سوى إسماعيـل . قال : ويحتمل أن يكون وهم في رفعه ، وإنما هو من كلام عبد الله بن عمرو من زاملته[2] . وفيه نظر ؛

(١) قال الحافظ ابن كثير في البداية : هذا مرسل من هذا الوجه .

(٢) يعني ما أخذه عن كتب بني إسرائيل ، فإنه قد وجد يوم اليرموك زاملتين مملوءتين كتبا من علوم أهل الكتاب ، فكان يحدث عنهما ، وقد تقدم.

لأن له أصلا من حديث جابر ؛ لما تقدم ، لكن قصة الغصن هي التي تحتمل أن تكون موقوفة .

وعن ابن عمر قال : «لما نزل رسول الله ﷺ بالناس على تبوك ، نزل بهم الحجر عند بيوت ثمود ، فاستسقى الناس من الآبار التي كانت تشرب منها ثمود ، فعجنوا منها ، ونصبوا القدور ، فأمرهم رسول الله ﷺ فأهرقوا القدور ، وعلفوا العجين الإبل ، ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على البئر التي كانت تشرب منها الناقة ، ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عذبوا . وقال : إني أخشى أن يصيبكم مثلما أصابهم ، فلا تدخلوا عليهم » .

رواه أحمد وهذا لفظه ، والبخاري من طريق صخر بن جويرية ، عن نافع ، عنه .

وعن عبد الله بن دينار ، عن ابن عُمر قال : قال رسول الله ﷺ وهو بالحجر : « لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين ، إلا أن تكونوا باكين ، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم ؛ أن يصيبكم مثلما أصابهم » .

وفي رواية : « أنه لما مرّ بمنازلهم قَنَعَ[1] رأسه ، وأسرع راحلته ، ونهى عن دخول منازلهم إلا أن يكونوا باكين » .

---

(١) قنع رأسه : نصبه ، أو لا يلتفت يمينًا وشمالا . (ترتيب القاموس) .

وفي رواية : « فإن لم تكونوا باكين فتباكوا ؛ خشية أن يصيبكم ما أصابهم » .

وعن محمد بن أبي كبشة الأنماري ، عن أبيه قال : لما كان في غزوة تبوك ، تسارع الناس إلى أهل الحجر يدخلون عليهم ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فنادى في الناس : « الصلاة جامعة » . قال : فأتيت النبي ﷺ وهو ممسك مِغفره[1] وهو يقول : « ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم ؟ » فناداه رجل منهم : نتعجب منهم . (ق٢٥/ب) قال: « أفلا أنبئكم بأعجب من ذلك ، رجل من أنفسكم ينبئكم بما كان قبلكم، وما هو كائن بعدكم ، فاستقيموا وسددوا ، فإن الله لا يعبأ بعذابكم شيئًا، وسيأتي قوم لا يدفعون عن أنفسهم شيئًا » .

رواه أحمد من رواية المسعودي ، عن إسماعيل بن أوسط ، عنه[2] .

وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب العقوبات من طريق مبارك بن فضالة ، عن الحسن ، حدثني عبد الله بن قدامة ، عن السعدي - وكان السعدي امرءًا صدوقًا - : « أن النبي ﷺ أتى على وادي ثمود ، فقال لأصحابه : اخرجوا ، فإنه وادٍ ملعون ، لقد خشيت ألا تخرجوا حتى يصيبكم كذا وكذا ».

---

(١) المِغْفَر: زَرَدٌ يُنْسَجُ من الدُّرُوع علي قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة اللسان (مادة: غفر).

(٢) وقال الحافظ ابن كثير في البداية : إسناده حسن ، ولم يخرجوه .

ومن طريق علي بن زيد بن جدعان ، قال : قال لي الحسن : سألت عبد الله بن قدامة العقيلي[1] عن هذا الحديث ،فسألوه ، فقال : زعم أبو ذر أنهم كانوا مع النبي ﷺ في غزاة تبوك ، فأتوا على وادٍ ، فقال النبي ﷺ : ياأيها الناس ، إنكم بواد ملعون، فأسرعوا ، فركب فرسه ، فدفعه ودفع الناس ، وقال : من كان اعتجن من مائه فليعلفه بعيره ، ومن كان طبخ فليهرقه[2].

قلت : وفي الباب عن أبي ذر ، وأبي الشموس البلوي ، وسبرة بن معبد وقد بينتها في تغليق التعليق .

ويقال : إن قوم صالح كانوا يبنون البيوت من المدر[3] فتخرب قبل موت الواحد منهم ؛ لطول أعمارهم، فنحتوا لهم بيوتًا في الجبال .

ويقال : إن صالحًا لما سألوه الآية ؛ أنذرهم بعاقرها ، وأنه سيكون سبب هلاكهم ،ووصفه لهم : أحمر أزرق أصهب ، فبعثوا القوابل[4] في البلد متى وجدوا مولودًا بهذه الصفة يقتلنه ، فانقرض ذلك الجيل وأتى

---

(١) هو عبد الله بن قدامة بن صخر كما في إسناد الحديث عند البزار مختصر الزوائد: رقم (١٤٠٤).

(٢) رواه البزار من طريق علي بن زيد بن جدعان به ، وقال الحافظ في تلخيصه (٢/ ٥٢ رقم ١٤٠٤) : عبد الله بن قدامة بن صخر غير معروف، وعلي بن زيد صعيف .

(٣) المَدَر - محركة - : قِطَع الطين اليابس . (ترتيب القاموس).

(٤) القوابل : واحدها قابلة ، وهي المرأة التي تأخذ الولد عند الولادة . (ترتيب القاموس) .

جيل آخر ، فخطب رئيس من رؤسائهم على ابنه بنت رجل آخر مثله فزوجه فولد بينهم عاقر الناقة على النعت ، فلم تتمكن القوابل من قتله ؛ لشرف أبويه وجديه ، فنشأ فيهم نشأة سريعة ، فكان يشب في الجمعة كشباب شهر ، حتى كان من أمره أن خرج فيهم مطاعًا فيهم رئيسًا بينهم ، فسولت له نفسه عقر الناقة، واتبعه على ذلك ثمانية من أشرافهم، وهم التسعة الذين أرادوا قتل صالح ، فلما عقرت الناقة ؛ أقبل صالح باكيًا ، فتلقوه يعتذرون إليه ، ويقولون : إن هذا لم يقع منا ، وإنما هو فعل الأحداث ، فيقال : إنه أمرهم باستدراك سقبها[1] حتى تحسنوا إليه عوضًا عنها ،فذهبوا وراءه فصعد جبلاً، فصعدوا وراءه فتعالى به الجبل حتى ارتفع لما يناله الطير ، وبكى الفصيل حتى سالت دموعه ، ثم استقبل صالحًا ورغا ثلاثًا ، فعندها قال لهم صالح : ﴿ **تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ** ﴾[2] . والله أعلم[3] .

وقد وقع ذكر قصة ثمود في القرآن في : الأعراف ، وهود ، والحجر ، والإسراء ، والشعراء ، والنمل ، وحم السجدة ،واقتربت ، والشمس وضحاها .

---

(١) السقب : ولد الناقة . (ترتيب القاموس) .

(٢) هود : ٦٥.

(٣) وقال الحافظ ابن كثير في البداية : وفي بعض هذا السياق نظر ومخالفة لظاهر ما يفهم من القرآن في شأنهم وقصتهم.

وكثيراً ما يقرن الله بين ذكر عاد وثمود كما في : براءة ، وإبراهيم، والفرقان ، وص ، وق ، والنجم ، والقمر .

ويقال : إن هاتين الأمتين لا يعرف خبرهما أهل الكتاب ، وليس لهما ذكر في التوراة ، ولكن في القرآن ما يدل على أن موسى أخبر قومه عنهما ، وذلك في إبراهيم حيث قال تعالى : ﴿ **وَقَالَ مُوسَى إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ** ﴾[1] الآيات .

فظاهره أنه من تمام كلام موسى مع قومه ، ويحتمل أن يكون من ابتداء كلام مستأنف ، وكان السبب في كونهما لم يذكرا لبني إسرائيل ؛ لكونهم من العرب ، دون غيرهما من الأمم الماضية ، والله أعلم .



---

(١) إبراهيم : ٨ ، ٩ .

باب أخبار إبراهيم خليل الرحمن

هو إبراهيم بن آزر - واسمه تارح[1] بن شاروغ[2] بن راغو[3] بن فالغ بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح[4] .

وفي « المبتدأ » لأبي حذيفة إسحاق بن بشر البخاري[4] أن اسم {أم}[5] إبراهيم أميلة ، ثم أورد عنه في خبر ولادتها له حكاية طويلة وقد أوردها ابن عساكر في ترجمته .

وقال ابن الكلبي : اسمها بونا بنت كربتا بن كرثي بن أرفخشذ[6] .

(ق ١/٢٦)وعن عكرمة قال : كان إبراهيم يكنى أبا الضيفان ، وولد

---

(١) تارح ، بالحاء المهملة ، كذا ضبطه ابن ماكولا في الإكمال (١/ ١٧٧)، وضبطه الحافظ ابن حجر بالخاء المعجمة ، وسيأتي. وزاد ابن ماكولا بين تارح وشاروغ : ناحور، ومثله في البداية والمعارف لابن قتيبية ، وتاريخ ابن عساكر .

(٢) ومثله في تاريخ دمشق ، وهو موافق للتوراة كما ذكر ابن قتيبة في المعارف (٣٠ - ٣١) . ووقع في الإكمال ، والمعارف : أسرغ.

(٣) في المعارف وتاريخ دمشق : أرغو .

(٤) في ضبط اسمه اختلاف كثير وهو غير منقوط في الأصل ، انظر تاريخ ابن عساكر (٦/ ١٦٤).

(٥) من البداية .

(٦) غير منقوط اسمها في الأصل ، واستعنت في ضبط اسمها بالنسخة المطبوعة من كتاب البداية . وفي تاريخ دمشق . : نونا بنت كرنبا بن كوثي .

لأبيه قبله ناحوز وهاران . وقيل : إن إبراهيم هو الأوسط ، وإن هاران مات في حياة أبيه وخلف لوطًا .

والمشهور عند أهل الأخبار ، أن إبراهيم ولد بأرض بابل .

وروى ابن عساكر من طريق هشام بن عمار ، عن الوليد بن مسلم ، عن سعيد بن عبد العزيز ، عن مكحول ، عن ابن عباس قال : ولد إبراهيم بغوطة دمشق في قرية لها برزة في جبل يقال له : قاسيون .

قال ابن عساكر : والصحيح أنه ولد ببابل ، وإنما نسب إليه هذا المقام ؛ لأنه صلى فيه لما جاء معينًا للوط .

وبعث الله إبراهيم عليه السلام إلى نمرود ، وهو ابن كنعان بن كوش ابن سام[1] بن نوح ، قاله مجاهد .

وقال غيره: نمرود بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح .

وقال مجاهد وغيره : كان أحد ملوك الدنيا كلها .

وذكروا أنه استمر في ملكه أربعمائة سنة وادعى الربوبية . فلما قال له إبراهيم : ﴿ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ﴾[2] .

قال قتادة والسدي : يعني أنه إذا أتى بالرجلين قد تحتم قتلهما ، فإذا

---

(١) كتب في الهامش بخط مغاير لخط الحافظ : صوابه كوش بن حام .
(٢) البقرة : ٢٥٨ .

أراد أمر بقتل أحدهما ، وعفى عـن الآخر ، فكأنه قد أحيا هذا ، وأمات الآخر ، وحاصل هـذا أنه تشغيب محض، وهـو انقطـاع في الحـقيقة ، لكن لما كان انقطاعه قد يخفى على كثير من الأغبياء ، ذكر دليلين آخرين: وجود الصانع وبطلان ما ادعاه نمرود وانقطاعه جهـرة قال: ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ**﴾[1] أي: هذه الشـمس مسخرة كل يوم تطلع من المشرق كما سـخرها خالقها ومسيرها ، قاهرها، وهو الله ، فـإن كنت زعمت أنك تحيـي وتميت ؛ فأت بهذه الـشمس من المغـرب، فإن الذي يحيي ويميت يفعـل ما يشـاء ويختار. قال الله تعالى: ﴿**فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ**﴾[1] .

وروى عبد الرزاق ، عن معمر[2] ، عن زيد بن أسلم : أن النمرود كان عنده طعـام ، وكان الناس يفدون إليه لـلميرة[3] ، فوفد إبراهـيم في جملة من وفد للميرة ، فكانت بينهـما هذه المناظرة ، فلم يعطه من الطعام كما يعطي الناس ، فلما قرب من أهله ، عمد إلى كثيب[4] من التراب ، فملأ منه عدليه[5] ، وقال : أشغل أهلي إذا قدمت عـليهم . فلما قدم ؛ وضع رحله وجاء فاتكأ فنام ، فقامت امرأته إلى العدلين فوجدتهما ملآنين طعامًا طـيبًا ، فعملـت له منه ، فلما استيقظ ، فقال : أنّـى لكم هذا ؟

---

(١) البقرة : ٢٥٨ .

(٢) لحق في الهامش : وأيضًا من طريق خصيفة . . . . .

(٣) الميرة بالكسر : جَلَبُ الطعام . (ترتيب القاموس) .

(٤) الكَثِيبُ : التَّلُّ . (ترتيب القاموس).

(٥) العِدْلُ : نِصْفُ الحِمْلِ يكون علي أحد جانبي البعير (اللسان).

قالت : من الذي جئت به . فعرف أنه رزق رزقه الله .

وروي عن زيد بن أسلم : وبعث الله إلى ذلك الملك الجبار ملكًا يأمره بالإيمان بالله فأبى عليه ، ثم دعاه الثانية فأبى عليه ، ثم الثالثة فأبى ، فقال له : اجمع جموعك وأجمع جموعي ، فجمع النمرود جيشه وجنوده وقت طلوع الشمس ، فأرسل الله ذبابًا من البعوض بحيث لم يروا عين الشمس وسلطه الله عليهم فأكلت لحومهم ودماءهم وتركتهم عظامًا بادية . ودخلت واحدة منها في منخري الملك ، فمكثت في منخريه أربعمائة سنة يعذبه الله بها ، فكان يضرب رأسه بالمرازب[1] في هذه المدة حتى هلك[2] .

وكان أول دعوة إبراهيم لأبيه ، وكان أبوه يعبد الأصنام ، فكان ما قص الله في كتابه في سورة مريم ، ولما هاجر أباه واسمه آزر كما قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً ﴾[3] وهذا هو الصواب ،وفي التوراة أن اسمه تارخ بالخاء المعجمة ، فقيل : إنه لقب صنم كان يعبده اسمه آزر ، والأولى أن آزر وتارخ كل منهما اسم له .

ثم ناظر قومه في عبادة الكواكب السبعة ، ولهذا كان أهل حران يعبدون الكواكب والأصنام ، فكان ما قصه الله - تعالى - في سورة

---

(١) المِرزَبَّة : عُصَيَّة من حديد . (ترتيب القاموس : رزب).
(٢) وهذا الخبر من الإسرائيليات .
(٣) الأنعام : ٧٤ .

الأنعـام ﴿ فَلَمَّا جَـنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي ﴾[١] فقيل : قالها استفهامًـا . وقيل : قاله على سبـيل التهكم ، وبيّن لـهم أن الأجرام من الكواكب النيرة لا تـصلح للإلهية ، ولا أن تعبد مع اللـه ؛ لأنها مخلوقة مربوبة مصنوعة مدبَّرة مسخرة ، تطلع تارة وتغيب أخرى . فبين لهم أولا عدم صلاحِيَّة الكـوكب ، ثم ترقى إلى القمر الذي هـو أضوأ ، ثم ترقى إلى الشمس المشاهدة ضياء وبهاء ، فبين أنها مسخرة مسيرة مقدرة . وهذه المناظرة وقعت له مع قومه في حران بعد أن فارق النمرود .

وأما ما ذكره ابن إسحاق أنه خرج من السرب[٢] صغيرًا فقال ذلك ؛ فلا مستند له إلا الإسرائيليات ، وهي أخبار واهية[٣] .

وكان لإبراهيم مـع قومه ما قص الله في سـورة الأنبياء : ﴿ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَـوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّـمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَـاكِفُونَ ﴾[٤] الآيات كلـها ، وكذلك الآيات التي فـي الصـافات ،والتي في الشعـراء ، وتضـمنت أن أباه لـم يؤمن بـه . وقوله - تعـالى - حـكاية عـنه : ﴿ وَتَاللَّـهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ ﴾[٥] قيل : قال ذلك في نفسه .

---

(١) الأنعام : ٧٦ .

(٢) لعله يـريد المكان الذي أخفـته فيه أمه حتي لا يـتعرض للذبح وخـرج وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، وانظر تاريخ دمشق (٦/ ١٦٧ - ١٧١).

(٣) انظـر كلام الشيـخ عبد الـقادر بدران عـليه في تـذيله عـلى تهـذيب تاريخ دمـشق (٢/ ١٦٢).

(٤) الأنبياء : ٥٢ .

(٥) الأنبياء : ٥٧ .

وقال ابن مسعود : سمعه بعضهم ، وهو أولى . وكان لهم عيد يذهبون إليه في كل عام مرة إلى ظاهر البلد ، فدعاه أبوه ليحضره فقال : إني سقيم . وعرّض في كلامه حتى توصل إلى مقصوده . فلما توجهوا إلى عيدهم ؛ ذهب إلى الأصنام مسرعًا مستخفيًا ، فوجدها في بهو[1] عظيم ، وقد وضعوا قدامها طعامًا .

فقال لهم على سبيل الاستهزاء : ﴿ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾[2] ، ثم كسرهم حتى جعلهم جُذاذًا . أي : حطامًا، إلا أكبرها . فقيل : إنه وضع القدوم في يده إشارة إلى أنه غار من أن يعبد معه مَنْ دونه ، فلما رجعوا ؛ وجدوا ما حل [بمعبودهم][3] ، وكان ما قص الله من مناظرته لهم ، فلما انقطعوا ؛ عدلوا عن الجدال إلى القوة والطغيان، فجمعوا له حطبًا ؛ ليحرقوه ، وأقاموا مدة بزعمهم في ذلك ، حتى أن المرأة منهم كانت إذا مرضت ؛ نذرت لئن عوفيت أن تحمل حطبًا لحريق إبراهيم ، ثم عمدوا إلى جوبة[4] عظيمة فوضعوا فيها الحطب ، وأطلقوا النار فتأججت ، ثم وضعوا إبراهيم في كفة منجنيق[5](ق٢٧/١) ، صنعه لهم رجل من الأكراد يقال له : هيزن ، وكان أول من صنع المجانيق ، فخسف الله به الأرض

---

(١) بَهْوٌ: بيت . (ترتيب القاموس).

(٢) الصافات : ٩١ .

(٣) غير واضح بالأصل ، والمثبت من البداية .

(٤) الجوبة : الحفرة . (ترتيب القاموس) .

(٥) المَنجَنِيق ـ بكسر الميم ـ : آلة تُرمى بها الحجارة. (ترتيب القاموس).

فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة .

وروى أبو يعلى ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لما ألقي إبراهيم في النار ؛ قال : اللهم إنك في السماء واحد ، وأنا في الأرض واحد أعبدك » .

ويروى عن ابن عباس ، وسعيد بن جبير أنه قال : جعل ملك المطر يقول : متى أومر فأرسل المطر؟ فكان أمر الله أسرع: ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾[1] .

قال ابن عباس : لولا أن الله قال : ﴿وسلامًا على إبراهيم﴾؛ لآذى إبراهيم بردها[2] .

وقال كعب الأحبار : لم ينتفع أهل الأرض يومئذ بنار ، ولم يحرق منه سوى وثاقه ، وصار إبراهيم حوله النار وهو في روضة خضراء ، والناس ينظرون إليه ولا يقدرون عليه .

وروي عن المنهال بن عمرو قال : أخبرت أن إبراهيم مكث هناك إما أربعين ، وإما خمسين يومًا .

وروى ابن عساكر ، عن عكرمة : أن أم إبراهيم نظرت إلى ابنها فنادته : يا بني ، إني أريد أن أجيء إليك ، فادع الله أن ينجيني من حرّ

(١) الأنبياء : ٦٩ .

(٢) في الهامش لحق غير واضح تمامًا .

النار حولك . فقال : نعم ، فأقبلت إليه ولا يمسها شيء من حر النار ، فلما وصلت إليه اعتنقته وقبَّلته ثم عادت .

محمد بن عقيل البلخي في سماعات المحاملي ، من طريق معتمر ابن سليمان قال: قالت السموات : يارب ، خليلك يلقى في النار ! قال: إن استغاثك فأغيثه . فقال : حسبي الله ونعم الوكيل . فمر به جبريل فقال : يا إبراهيم ، ألك حاجة ؟ قال : أما إليك فلا .

وروى الشيخان ، عن أم شريك : « أن رسول الله ﷺ أمر بقتل الوزغ[1] ، وقال : كان ينفخ على إبراهيم » .

أخرجاه من طريق ابن جريج ، عن عبد الحميد بن جبير ، عن سعيد بن المسيب ، عنها .

وعن نافع ، عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال : « اقتلوا الوزغ ؛ فإنه كان ينفخ على إبراهيم » .

رواه أحمد من طريق ابن جريج ، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي أمية ، عنه .

ومن طريق أيوب ، عن نافع : « أن امرأة دخلت على عائشة ، فإذا رمح ، فقالت : ما هذا الرمح ؟ فقالت : نقتل به الأوزاغ ، ثم

(١) الوزَغُ : واحده وزغَة ، سامٌّ أبرص ، سميت بها لخفتها وسرعة حركتها . (ترتيب القاموس) .

حدثت عن رسول الله ﷺ أن إبراهيم لما ألقي في النار ، جعلت الدواب كلها تطفئ عنه إلا الوزغ ، فإنه جعل ينفخها عليه » .

ومن طريق جرير بن حازم ، عن نافع حدثتني سيابة مولاة الفاكه بن المغيرة ، قالت : دخلت على عائشة فرأيت في بيتها رمحًا موضوعًا ، فذكر نحوه .

رواه ابن ماجة أيضًا .

وعن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « يَلقَى إبراهيم أباه يوم القيامة آزر وعلى وجه آزر قَتَرَةٌ وغَبَرَةٌ . فيقول له إبراهيم : ألم أقل لك لا تعصني. فيقول له أبوه: فاليوم لا أعصيك . فيقول إبراهيم : يارب، إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون ، وأي خزي أخزى من أبي الأبعد ؟ فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين ، ثم يقال : يا إبراهيم ، ما تحت رجليك ؟ فينظر ، فإذا هو بذِيخٍ[1] متلطخ، فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار » .

رواه البخاري والنسائي من طريق ابن أبي ذئب ، عن سعيد المقبري، عنه .

ورواه البزار من طريق حماد بن سلمة ، عن أيوب ، عن محمد بن

---

(١) الذِّيخ : ذكر الضباع، والأنثى ذيخة . وأراد بالتلطخ: التلطخَ برجيعه ، أو بالطين . (النهاية) .

سيرين ، عن أبي هريرة ، بنحوه .

ورواه أبو يعلى من طريق عقبة بن عبد الغافر ، عن أبي سعيد نحوه .



ذكر هجرة إبراهيم الخليل

ذكر الله ذلك في سورة العنكبوت وغيرها ، فهاجر بأهله وولده إلى بلاد الشام ، كما قال أُبَيّ بن كعب وغيره في قوله تعالى : ﴿ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾[1] .

وروى العوفي ، عن ابن عباس : أنها مكة .

وعن كعب الأحبار : أنها حران .

وكانت امرأته عـاقرًا لا ولد لها ، ولم يكن له مـن الولد أحد ، بل معه ابن أخيه لوط بن هاران .

وروي عن السدي : انطلق إبراهيم ولوط قِبل الشام ، فلقي إبراهيم سارة وهي ابنة ملك حران فآمنت به (ق٢٧/ب) فتزوجها على أن لا يغيرها .

رواه ابن جرير ، وهو غريب ، والمشهور: أنها ابنة عمه هاران الذي تنسب إليه حران .

وأما ما حكاه السهيلي ، عن النقاش : أنها ابنة أخيه هاران ، وادعى أن تزوج بنت الأخ كان مشروعًا ؛ فليـس له على ذلك دليل ، ولو فرض أن هذا كان جائزًا في وقت ؛ فإن الأنبياء لا تتعاطاه .

والمشهور: أن إبراهيم هاجر مـن بابل إلى حران ومعه سارة ، وذكر

---

(١) الأنبياء : ٧١ .

أهل الكتاب أنه لما قدم الشام ؛ ضرب قبة شرقي بيت المقدس ، وأنه حصل فيها جوع وغلاء ؛ فارتحل إلى مصر ، وذكروا قصة سارة مع ملكها فإن إبراهيم قال لها : قولي : أنا أخته . وذكروا إخدام الملك إياها هاجر، ثم أخرجهم .

وروى البخاري من طريق محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة قال : لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات : ثنتان منهن في ذات الله ، قوله : ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾[1] ، وقوله : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ ﴾[2] .

وقال : بينما هو ذات يوم وسارة ؛ إذ أتى على جبار من الجبابرة فقيل له : هاهنا رجل ومعه امرأة من أحسن الناس ، فأرسل إليه فسأله عنها . فقال : من هذه ؟ قال : أختي ، فأتى سارة . فقال : يا سارة ، ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك ، وأن هذا سألني ، فأخبرته أنك أختي، فلا تكذبيني ، فأرسل إليها ، فلما دخلت عليه ، ذهب يتناولها بيده فأُخِذ . فقال : ادعي الله لي ولا أضرك ، فدعت الله فأُطلِق ، ثم تناولها الثانية ؛ فأُخِذ مثلها أو أشد . فقال : ادعي الله لي ولا أضرك، فدعا بعض حجبته، فقال: إنك لم تأتني بإنسان ، إنما أتيتني بشيطان ، فأخدمها هاجر ، فأتته وهو قائم يصلي فأومأ بيده: مَهْيَم[3] .

---

(١) الصافات : ٨٩.

(٢) الأنبياء : ٦٣ .

(٣) مهيم : كلمة استفهامية ، أي : ما حالك ، وما شأنك ؟ أو : ما وراءك ؟ أو : أَحَدَثَ لك شيء ؟ . (ترتيب القاموس) .

فقالت : رد الله كيد الكافر - أو الفاجر - في نحره ، وأخدمني هاجر .

قال أبو هريرة : فتلك أمكم يا بني ماء السماء .

رواه من طريق حماد بن زيد ، عن أيوب ، عنه ، ولم يرفعه[١] .

ورواه البزار من طريق هشام بن حسان ، عن ابن سيرين ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال: « إن إبراهيم لم يكذب قط إلا ثلاث كذبات ، كل ذلك في ذات الله، قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ ، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ ، وبينما هو يسير في أرض جبار من الجبابرة ؛ إذ نزل منزلا ، فأتي الجبار ، فقيل له : إنه قد نزل هاهنا رجل معه امرأة من أحسن الناس ، فأرسل إليه [فسأله][٢] عنها . فقال : إنها أختي ، فلما رجع؛ قال : إن هذا سألني عنك ؛ فقلت : إنك أختي ، وإنه ليس اليوم مسلم غيري وغيرك ، وإنك أختي فلا تكذبيني عنده ، فانطلق بها ، فلما ذهب يتناولها [أخذ][٣]. فقال : ادعي الله ولا أضرك ، فدعت له فأرسل، فذهب يتناولها فأخذ مثلها أو أشد منها . فقال : ادعي الله لي ولا أضرك ، فأرسل ثلاث [مرات][٣] فدعا أدنى حشمه ، فقال : إنك لم تأتني بإنسان ، ولكن أتيتني بشيطان ، أخرجها وأعطها هاجر ، فجاءت وإبراهيم قائم يصلي ، فلما أحس ؛ انصرف . فقال : مَهْيَمْ ؟

---

(١) البخاري في صحيحه (٦/ ٤٤٧ رقم ٣٣٥٨ - مع الفتح).
(٢) من البداية ، وفي الأصل : فاسأله.
(٣) من البداية.

فقالت : كفى الله كيد الظالم ، وأخدمني هاجر .

قال البزار : لا أعلم أسنده عن محمد غير هشام ، ورواه غيره موقوفًا . انتهى .

وقد أخرجه الشيخان من حديث هشام .

قلت : قد أخرجه الشيخان من رواية جرير بن حازم ، عن أيوب ، عن محمد ، مرفوعًا .

ورواه أحمد من طريق ورقاء ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات ، قوله حين دُعي إلى آلهتهم ، فقال : ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ ، وقوله : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ ، وقوله لسارة : إنها أختي . قال : دخل إبراهيم قرية فيها ملك أو جبار فقيل : دخل إبراهيم الليلة بامرأة من أحسن الناس ، فأرسل إليه : من هذه معك ؟ قال : أختي . قال : فأرسل بها ، فأرسل بها إليه . وقال : لا تكذبي قولي ؛ فإني قد أخبرته أنك أختي ، لم يكن على الأرض مؤمن غيري وغيرك ، فلما دخلت إليه ؛ قام إليها ، فأقبلت تتوضأ وتصلي وتقول : اللهم ، إنك تعلم أني آمنت بك وبرسولك ، وأحصنت فرجي إلا على زوجي ، فلا تسلط عليَّ الكافر . قال : فغط حتى ركض برجله . قال أبو الزناد ، وقال أبو سلمة عن أبي هريرة : أنها قالت : اللهم ، إن يمت يقلْ : هي قتلته . قال :

فأرسل . قال : ثـم قام إليها . قال : فـقامت توضأ وتصـلي ، وتقول كذلك . قال : فغط حـتى ركض برجله ، فلما فك ؛ قـال في الثالثة أو الرابعة: ما أرسلتم إليّ إلا شيطانًا، ارجعـوها إلى إبراهيم وأعطوها هاجر قال : فرجـعت . فقالت لإبـراهيم : أشعـرت أن اللهَ ردَّ كيد الـكافر ، وأخدم هاجر .

ورواه البخاري من طريق شعيب ، عن أبي الزناد بنحوه .

وعن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « في كلمات إبراهيم الثلاث التي قالها : ما منها كلمة إلا مَاحَلَ[1] بها من دين الـله . فقال : ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ ، وقال : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ ، وقال للملك - حين أراد امرأته - : هي أختي » . فقوله في الحديث : « هي أختي » أي : في دين الله . وقـوله لها : « إنه ليس على وجـه الأرض مؤمن غيري وغيرك » .

رواه ابن أبي حاتم من طـريق سفيان ، عن علي بـن زيد ، عن أبي نضرة ، عنه . وهو عند أبي يعلى .

وفي بعـض الآثار : أن الله - تـعالى - كشـف الحجاب فيـما بين إبراهيم وبينها ، فلم يزل يراها منذ خرجت من عنده إلى أن رجعت إليه ، وكان مشاهدًا لها وهي عند الملك ، وكيف عصمها الله منه .

(١) ماحَلَ : أي دافع وجادل ، من المِحَال - بالكسر - وهو الكيد . (النهاية) .

وقد قيل : إنه لم يكن امرأة بعد حواء إلى زمانها أحسن منها .

قلت : في مسند أبي يعلى عن أنس مرفوعًا : « أعطي يوسف وأمه شطر الحسن » يعني : سارة .

وذكر بعض أهل التفسير أن الملك الجبار هذا هو سنان بن علوان بن عبيد بن عويج بن عملاق بن لاود بن سام بن نوح .

وذكر ابن هشام في التيجان : أنه عمرو بن امرئ القيس بن بابليون ابن سبأ ، وكان على مصر ، نقله السهيلي .

ثم رجع الخليل إلى الأرض المقدسة ، ونزل لوط بغور زغر بمدينة سدوم ، وكان أهلها كفارًا ، فيقال : إن طائفة من الجبارين تسلطوا على لوط فأسروه وأخذوا ماله ، فبلغ الخبر إبراهيم فسار إليهم في ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا فاستنقذه وساق في آثارهم حتى وصل شمالي دمشق ، وعسكر بظاهرها عند برزة ، وأظن مقام إبراهيم برزة سمي لذلك .



(ق٢٨/ب) ذكر مولد إسماعيل والهجرة به وبأمه إلى مكة

قال أهل الكتاب : إن إبراهيم سأل الله ذرية طيبة ، وإن الله بشره بذلك ، وإنه لما كان لإبراهيم عشر سنين - يعني من نزوله أرض الكنعانيين - قالت سارة لإبراهيم : إن الرب قد أحرمني الولد ، فادخل على أمتي هذه ، لعل الله أن يرزقنا منها ولدًا ، فلما وهبتها له ؛ دخل بها إبراهيم ، فحين دخل بها حملت منه . قالوا : فلما حملت ارتفعت نفسها ، فغارت منها سارة ، وشكت ذلك إلى إبراهيم . فقال لها : افعلي بها ما شئت ، فخافت هاجر ، فهربت ، فلقيها مَلَك ، فقال لها : ارجعي فستلدين ابنًا وتسميه إسماعيل ، ويكون الناس تحت يده ، ويملك بلاد إخوته ، فشكرت الله على ذلك ، فرجعت هاجر ، فوضعت إسماعيل . قالوا : وولدته ولإبراهيم من العُمر ستة وثمانون عامًا قبل مولد إسحاق بثلاثة عشر سنة .

قال أهل الكتاب : وأوحى الله إلى إبراهيم : قد استجبت لك في إسماعيل، وباركت عليه وكثرته ونميته جدا ، ويولد له اثنا عشر عظيمًا ، وأجعله رئيسًا لشعب عظيم .

قالوا: ولما اشتدت غيرة سارة من هاجر ، ذهب بها وبولدها ، فسار بها وبولدها إلى مكة ، فوضعهما بها .

ويقال : إن ولدها كان إذ ذاك رضيعًا .

وذكر أبو محمد بن أبي زيد في كتاب النوادر : أن سارة تغضبت على هاجر ، فحلفت لتقطعن ثلاثة أعضاء منها ، فأمرها الخليل أن تثقب أذنيها، وأن تختنها فتبر قسمها .

قال السهيلي : فكانت أول من اختتن من النساء ، وأول من ثقبت أذنها منهنّ ، وأول من طولت ذيلها .

وروى البخاري من طريق معمر ، عن أيوب ، وكثير بن كثير - يزيد أحدهما على الآخر - عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : أول ما اتخذ النساء المنطق[1] من قبل أم إسماعيل - الحديث بطوله .

(ق٢٩/١) علي بن حرب الطائي في فوائده : حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : أن إبراهيم وإسماعيل حجّا ماشيين .

إبراهيم بن طهمان ، عن عباد بن إسحاق ، عن محمد بن عبد الله ابن مسلم ، عن عمّه الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة : كان إبراهيم يزور ابنه إسماعيل على البراق - وهي دابّة جبريل .

(ق٢٩/ب) وروى البخاري ومسلم أيضًا من طريق الأعرج ، عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ : « اختتن إبراهيم وهو ابن ثمانين سنة

(١) المِنطَق : شُقَّة تلبسها المرأة وتشد وسطها . (ترتيب القاموس).

بالقدوم » .

وفي رواية : « بعد ما أتت عليه ثمانون سنة » .

ولابن حبان في « صحيحه » : « اختتن وهو ابن مائة وعشرين ، وعاش بعد ذلك ثمانين سنة » .



قصة الذبيح

قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾[1] الآيات .

يقول : إنه لما هاجر من بلاد قومه سأل ربه أن يهب له ولدًا صالحًا، فبشره بغلام حليم ، فهو إسماعيل ؛ لأنه أول من ولد له على رأس ست وثمانين سنة من عُمر الخليل ، ولا خلاف بين أهل الملل أنه أول ولده وبكره .

وقوله : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ﴾[2] أي : شب وارتحل وطاق معه السعي، فرأى في النوم أنه يذبح ولده .

وعن ابن عباس مرفوعًا : « رؤيا الأنبياء وحي » .

فامتثل الأمر وسارع إلى الطاعة ، مع أنه بكره ووحيده الذي ليس له غيره ، ثم عرض ذلك على ولده ؛ ليكون أطيب لقلبه ،فبادر إلى الإجابة . وقال : ﴿ يَاأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ﴾[2] ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا ... ﴾[3] قيل: معناه أسلما أي : استسلما لأمر الله ، وعزما على ذلك ﴿ وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾[3] قيل : أن يذبحه لقفاه ؛ لئلا يشاهده في حال ذبحه .

قاله ابن عباس وغيره .

وقيل : بل أضجعه .

---

(١) الصافات : ٩٩ .

(٢) الصافات : ١٠٢ .

(٣) الصافات : ١٠٣ .

وقال السدي : أمرَّ السكين على الحلق فلم تقطع شيئًا .

وقيل : جُعِل على حلقه صفيحة نحاس، فنودي عندئذ : ﴿أَن يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ﴾[1] أي : قد حصل المقصود من طاعتك ومبادرتك إلى الأمر وبَذْلِك ولدَك للقربان ، كما سمحت ببدنك للنيران ، وبمالك للضيفان .

قوله : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾[2] أي : وجعلنا فداء ذبح ولده ما يسره الله له من العوض عليه .

والمشهور عن الجمهور: أنه كبش أعين[3] أبيض أقرن .

قال الثوري ، عن ابن خثيم ،عن سعيد ، عن ابن عباس : كبش قد رعى في الجنة أربعين خريفًا[4] .

وعنه قال : هبط عليه من ثبير كبش أعين أقرن له ثغاء فذبحه ، وهو الكبش الذي قربه ابن آدم فتُقبِّل منه[4] .

رواه ابن أبي حاتم .

وقال سعيد بن جبير : كان يرتع في الجنة حتى تشقق عنه ثبير[4] .

---

(١) الصافات : ١٠٤ ، ١٠٥ .

(٢) الصافات : ١٠٧ .

(٣) العيَنة : عظُمَ سوادُ عينه في سعَة ، فهو أعين . (ترتيب القاموس) .

(٤) قالَ الحافظَ ابن كثير في البداية: غالب ما ها هنا من الآثار مأخوذ من الإسرائيليات، وفي القرآن كفاية عما جري من الأمر العظيم والاختيار الباهر ، وأنه فدي بذبح عظيم.

وروى الإمام أحمد من طريق منصور بن صفية ، عن خاله مسافع ابن شيبة ، عن صفية بنت شيبة ، أخبرتني امرأة من بني سليم ، ولّدت عامة أهل دارنا ، قالت : أرسل رسول الله ﷺ إلى شيبة فقال : « إني رأيت قرني الكبش حين دخلت البيت ، فنسيت أن آمرك أن تخمرها فخمرها ، فإنه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء يشغل المصلي » .

قال سفيان : لم يزل قرنا الكبش في البيت حتى احترق البيت فاحترقا . وهكذا روي عن ابن عباس .

وهذا من أقوى الأدلة على أن الذبيح إسماعيل ؛ لأنه هو الذي كان مقيمًا بمكة .

ومستند من قال : إنه إسحاق ، إنما هو الإسرائيليات ،وكتابهم فيه تحريف[1] ، ولاسيما في هذا ، فإن عندهم : أن الله أمر إبراهيم أن يذبح ابنه وحيده إسحاق ، فلفظة إسحاق مقحمة مكذوبة ؛ لأنه ليس هو الوحيد ولا البكر ، ذاك إسماعيل .

وقد ذكر ابن إسحاق ، عن بريدة بن سفيان الأسلمي ، عن محمد ابن كعب القرظي، أنه كان بالشام مع عمر بن عبد العزيز، فأرسل(ق٣٠/١)

(١) في الهامش حاشية جاء فيها : ومن الدليل على أن الذبيح إسماعيل ، أن في التوراة : وأمر إبراهيم بذبح ولده الوحيد .وهو إنما ينطبق على إسماعيل ؛ لأنه كان وحيده مدة قبل مولد إسحاق ؛ ولأنه هو الذي أقام بمكة وحيدًا عن أبيه بمكة .

إلى رجل كان عنده بالشام يهوديا فأسلم وحسن إسلامه ، فقال له عمر بن عبد العزيز ، ومحمد بن كعب عنده : أي ابنيّ إبراهيم أُمِر بذبحه ؟ فقال : إسماعيل والله ، يا أمير المؤمنين ، وإن يهود لتعلم بذلك ، ولكنهم حسدوكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذي كان من أمر الله إياه ، والفضل الذي ذكره منه ؛ لصبره لما أمر به ، فهم يجحدون ذلك، ويزعمون أنه إسحاق ؛ لأن إسحاق أبوهم .

وقال مجاهد ، وسعيد بن جبير، والشعبي ، ويوسف بن مهران ، وعطاء وغير واحد ، عن ابن عباس : الذبيح إسماعيل .

وروى ابن جرير من طريق عمر بن قيس ، عن عطاء عن ابن عباس أنه قال : المفدى إسماعيل ، وزعمت اليهود أنه إسحاق ، فكذبت يهود.

وقال ابن أبي حاتم : روي ذلك عن علي ، وأبي هريرة ، وابن عُمر ، وأبي الطفيل ، وسعيد بن المسيب ، وسعيد بن جبير ، والحسن، ومجاهد ، والشعبي ، ومحمد بن كعب ، وأبي جعفر الباقر، وأبي صالح : أنه إسماعيل .

وحكاه البغوي عن الكلبي،والربيع بن أنس، وأبي عمرو بن العلاء.

وروي عن معاوية ، وإليه ذهب عمر بن عبد العزيز ، ومحمد بن إسحاق ، وغيرهم .

وكان الحسن البصري يقول : لاشك في هذا .

وحديث : « أنا ابن الذبيحين » يدل عليه .

وقال عبد الله بن أحمد ،عن أبيه : هو إسماعيل .

وقال ابن أبي حاتم : سـألت أبي عن ذلك فقال : الصحيح أنه إسماعيل .

وقال طائفة من السلف : إنه إسحاق ، منهم : كعب الأحبار ، وروي عن عمر ، وعلي ، وابن مسعود ، والعباس ، ومسروق ، وعكرمة ، وعبيد بن عمير ، وأبي ميسرة ، وزيد بن أسلم ، ومقاتل ، والزهري ، ومكحول ، وآخرون . واختاره ابن جرير ، وهو أحد الروايتين عن ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، والشعبي ، وعطاء . والصحيح الأول .

وإنما أخذوه من كعب الأحبار وصحف أهل الكتاب ، ولم يثبت عن النبي ﷺ في ذلك شيء صحيح.

وقد استدل محمد بن كعب القرظي على أنه إسماعيل من الكتاب قوله تعالى : ﴿ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾[1] قال : كيف تكون البشارة بإسحاق وأنه سيولد له ، ثم يؤمر بذبح إسحاق قبل أن يولد له .



(١) هود : ٧١ .

ذكر مولد إسحاق

قال الله تعالى : ﴿ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ ﴾[1] وكان ذلك من الملائكة لإبراهيم وسارة ، لما عبروا إلى مدائن قوم لوط ، كما سيأتي في موضعه .

وقال أهل التفسير : كانوا ثلاثة : جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، فعاملهم معاملة الأضياف ؛ شوى لهم عجلا سمينًا من خيار بقره ، فلما عرضه عليهم ؛ لم ير لهم همة إلى الأكل بالكلية ، فأوجس منهم خيفة. فقالوا : ﴿ لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴾[2] ، فأعجب سارة ذلك ، فضحكت ، فبشروها بإسحاق . فقالت : ﴿ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا ﴾[3] ﴿ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾[4] ، وكذلك تعجب إبراهيم فقال : ﴿ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾[5] .

ووقع في التوراة : أن إبراهيم أحضر لهم مع العجل رغيفًا من مكة، فيه ثلاثة أكيال من سمن ولبن ، وعندهم أنهم أكلوا ، وهو غلط منهم .

---

(١) هود : ٧١ .
(٢) هود : ٧٠ .
(٣) هود : ٧٢ .
(٤) هود : ٧٣ .
(٥) الحجر : ٥٤ .

ويقال : كانوا يُـوَرَّوْن أنهم يأكلون ، والطعام يتـلاشى في الهواء ، وفي القرآن ﴿ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُـمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ ﴾[1] وهذا هو الحق الذي لا محيص عنه .

والله سبحانه الهادي للصواب .



---

(١) هود : ٧٠ .

(ق ٣٠/ب) ذكر بناء البيت العتيق

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ... ﴾[(١)] الآيات .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا... ﴾[(٢)] الآيات .

ولم يأت في خبر صحيح عن أحدٍ من الأنبياء أن البيت كان مبنيا قبل الخليل ، وقد ذكر أن آدم بنى عليه قبة ، وأن الملائكة قالوا : لقد طفنا بهذا [البيت][(٣)] قبلك ، وأن السفينة طافت به أربعين يومًا ، وكلها إسرائيليات .

وقد تقدم في حديث ابن عباس الطويل ذكر مقام إبراهيم عند بناء البيت وغير ذلك ، وكان حجر المقام ملصقًا بحائط الكعبة ، على ما كان من قديم إلى أيام عمر ، فأخره عن البيت قليلا ؛ لئلا يشغل المصلون عنده [الطائفين][(٤)] بالبيت .

وقال أبو طالب في لاميته المشهورة - يذكر أثر قدمي إبراهيم في المقام :

---

(١) آل عمران : ٩٦ .

(٢) الحج : ٢٦ .

(٣) من البداية ، وفي الأصل : الحديث سبق قلم .

(٤) من البداية ، وفي الأصل : الطائفون ، وهو خلاف الجادة .

وموطئ إبراهيم في الصخر رطبة   على قدميه حافيًا غير ناعل

وقد وقع استيعاب صفة بناء الكعبة في تفسير سورة البقرة ، فمن ذلك :

عن السدي : لما أمر الله إبراهيم وإسماعيل أن يبنيا البيت ، لم يدريا أين مكانه ، حتى بعث الله ريحًا يقال لها : الخَجُوجُ[١] لها جناحان ورأس ، في صورة حيّة ، فكشفت لهما ما حول الكعبة عن أشياء من البيت ، واتبعاه بالمعاول يحفران حتى وضعا الأساس ، فلما بلغا القواعد؛ بنيا الركن . فقال إبراهيم لإسماعيل : يا بني ، اطلب لي حجرًا حسنًا ؛ أضعه هاهنا . قال : يا أبة ، إني لَغِبٌ[٢]. قال : على ذلك فانطلق ، وجاءه جبريل بالحجر الأسود من الهند ، وكان أبيض من ياقوتة بيضاء ، وكان آدم هبط به من الجنة ، فاسود من خطايا الناس ، فجاءه إسماعيل فوجده عند الركن . فقال : يا أبة ، من جاءك بهذا ؟ قال : جاء به من هو أنشط منك .

وروى ابن أبي حاتم عن [٣] : أنه بناه من خمسة أجبل ، وأن ذا القرنين - وكان إذ ذاك ملك الأرض - مرّ بهما وهما يبنيانه ، فقال : من أمركما بهذا ؟ فقال إبراهيم : الله أمرنا . فقال: وما يدريني ؟

---

(١) الخَجُوج : الريح الشديدة المرّ ، أو الملتوية في هبوبها . (ترتيب القاموس) .
(٢) اللغب : أشد الإعياء . (السابق) .
(٣) بياض في الأصل .

فشهدت خمسة أكبش أنه أمره بذلك ، فآمن وصدق[1] .

وذكر الأزرقي : أنه طاف مع الخليل بالبيت.

ودامت الكعبة على بناء إبراهيم مدة ، وقيل : إن جرهمًا بنتها مرة، ثم بنتها قريش فقصرت بها عن قواعد إبراهيم من جهة الشمال مما يلي الشام على ما هي الآن عليه.

وبناها ابن الزبير لما احترقت على الصفة التي أشار إليها النبي ﷺ في حديث عائشة حيث قال كما أخرجه مالك والشيخان عن ابن عمر ، عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال : « ألم تري أن قومك حين بنوا الكعبة اختصروا قواعد إبراهيم » . فقلت : ألا تردها على قواعد إبراهيم ؟ فقال : « لولا حدثان قومك بجاهلية أو بكفر ؛ لجعلت بابها بالأرض ، ولأدخلت فيها الحِجْر » .

(ق١/٣١)ثم هدمها الحجاج بعد قتل ابن الزبير بأمر عبد الملك ؛ لظنه أن ابن الزبير صنع ذلك من تلقاء نفسه ، فسد الحائط بعد أن أخرجوا الحجر وردم الحِجَار[2] في جوف الكعبة ، وارتفع بابها الشرقي ، وسدّ الباب الغربي بالكلية .



(١) هذا الخبر والذي قبله من الإسرائيليات .

(٢) الحجار : واحدها حجارة وهي الصخرة ، وتجمع على أحجار ، وأحجر ، وحجارة ، وحجارٍ . (ترتيب القاموس) .

ذكر مناقب إبراهيم

في صحيح مسلم عن أنس أن النبي ﷺ قيل له: يا خير البرية ، قال : « ذاك إبراهيم » .

وفيه عن النبي ﷺ أنه قال : « سأقوم مقامًا يرغب إليّ الخلق كلُّهم حتى إبراهيم » . في حديث من طريق أُبي بن كعب .

فهذا السياق دل على أنه أفضل الخلائق بعده .

وعن ابن عباس قال : « كان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين ويقول : « إن أباكما كان يعوذ بهما إسماعيل وإسحاق ، أعوذ بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة[1] ، ومن كل عين لامة[2] » .

رواه البخاري .

وفي القرآن : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ﴾[3] ، وقوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾[4] الآيات ، وقوله تعالى : ﴿ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ ... ﴾[5] الآيات . وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ

(١) الهامّة : كل ذات سمٍّ يقتل . والجمع : الهوام . (النهاية) .
(٢) لامة : أي ذات لمم ، ولذلك لم يقل : ملمة وأصلها من ألمت بالشيء .
(٣) الحديد : ٢٦ .
(٤) البقرة : ٢٦٠ .
(٥) آل عمران : ٦٥ .

إلا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ... ﴾[1] الآيات ، وقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ... ﴾[2] الآيات ، وقوله : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ... ﴾[3] الآيات ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ ﴾[4] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾[5] .

وعن ابن عباس ، عن النبي ﷺ أنه لما رأى الصوَر في البيت ؛ لم يدخل حتى أمر بها فمحيت ، ورأى إبراهيم وإسماعيل بأيديهم الأزلام[6] فقال: «قاتلهم الله ، لقد علموا أن شيخنا لم يستقسم بها قط».

رواه البخاري .

والآيات في ذكره كثيرة يقال : إنه ذكر في [خمسة وثلاثين موضعا ، منها خمسة عشر في البقرة وحدها][7] .

---

(١) البقرة : ١٣٠ .
(٢) الأنعام : ١٦١ .
(٣) النحل : ١٢٠ .
(٤) النساء : ١٢٥ .
(٥) النجم : ٣٧ .
(٦) الأزلام : واحدها زلم وهي القِداح التي كانت في الجاهلية مكتوب عليها الأمرُ والنهي ، افعل ولا تفعل ، كان الرجل منهم يضعها في وعاء له ، فإذا أراد سفراً ، أو زواجًا ، أو أمرًا مهما ؛ أدخل يده فأخرج منها زلمًا ، فإن خرج الأمر ؛ مضى لشأنه ، وإن خرج النهي ؛ كف عنه ولم يفعله . (النهاية) .
(٧) غير واضح في الأصل تمامًا ، والمثبت من البداية .

وقال الله تعالى : ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ﴾[1] .

وعن ابن عباس قال : جلس ناس من أصحاب النبي ﷺ ينتظرونه، فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون ، فسمع حديثهم ، وإذا بعضهم يقول : عجبت أن الله اتخذ من خلقه خليلاً ، فإبراهيم خليله. وقال آخر: ماذا بأعجب من أن الله كلم موسى تكليمًا ؟! وقال : فعيسى روح الله وكلمته . وقال آخر : آدم اصطفاه الله . فخرج عليهم فسلم ، وقال : « قد سمعت كلامكم وعجبكم أن إبراهيم خليل الله ، وهو كذلك ، وموسى كليم الله وهو كذلك ، وعيسى روح الله وكلمته وهو كذلك ، وآدم اصطفاه الله ، وهو كذلك ، ألا وإني حبيب الله ولا فخر، ألا وإني أول شافع ، وأول مشفع ، ولا فخر ، وأنا أول من يحرك حلقة باب الجنة ، فيفتحها الله ، فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين يوم القيامة ولا فخر » .

رواه ابن مردويه ، وفيه سلمة بن وهرام ، رواه عنه زمعة بن صالح وهما ضعيفان .

وعن ابن عباس قال : « أتنكرون أن تكون الخلة لإبراهيم ، والكلام لموسى ، (ق٣١/ب) والخلة[2] لمحمد ؟ » .

---

(١) النساء : ١٢٥ .

(٢) كذا في الأصل ، وفي البداية : الرؤية ، وهو الصواب ، وهو كذلك في مستدرك الحاكم.

رواه الحاكم من طريق قتادة ، عن عكرمة ، عنه .

وروى ابن أبي حاتم بإسناد معضل قال : لما اتخذ الله إبراهيم خليلاً؛ ألقى في قلبه الوجل[1] ، حتى إن خفقان[2] قلبه ليُسمع من بُعد ، كما يسمع خفقان الطير في الهواء .

وعن عبيد بن عمير قال : كان إبراهيم يضيف الناس ، فخرج يومًا يلتمس إنسانًا يضيفه ، فلم يجد أحدًا يضيفه ، فرجع إلى داره ، فوجد فيها رجلا قائمًا ، فقال : يا عبد الله ، ما أدخلك داري بغير إذني ؟ قال: دخلتها بإذن ربها . قال : ومن أنت ؟ قال : أنا ملك الموت . أرسلني ربي إلى عبد من عباده أبشره أن الله قد اتخذه خليلا . قال : ومن هو ؟ فوالله ، لئن أخبرتني به ثم كان بأقصى البلاد لآتينه ، ثم لا أبرح له جارًا حتى يفرق الموت بيننا ، قال : ذلك العبد أنت . قال : أنا ؟! قال : نعم . قال : فبما اتخذني ربي خليلا ؟ قال : بأنك تعطي الناس ولا تسألهم .

رواه ابن أبي حاتم .

وعن أبي هريرة قال : قيل : يا رسول الله ، من أكرم الناس ؟ قال : « أتقاهم » . قالوا : ليس عن هذا نسألك . قال : « فيوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله » .

---

(١) الوَجَل - محركة - : الخَوْف. (ترتيب القاموس).

(٢) الخَفَقَان - محركة - : اضطراب القلب . (السابق).

الحديث رواه الشيخان .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم » .

أخرجه البخاري من طريق عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار ، عن أبيه، عن ابن عمر .

ورواه أحمد من طريق محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة .

وعن ابن عباس ، عن النبي ﷺ قال : « يحشر الناس حفاة عراة غُرْلا [1] ، فأول من يكسى إبراهيم ، ثم قرأ : ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ﴾[2] » .

أخرجه الشيخان .

وعن كعب بن عجرة ، قال : قلنا : يا رسول الله ، هذا السلام عليك قد عرفناه ، فكيف الصلاة عليك ؟ قال : « قولوا : اللهمَّ، صلِّ على محمد ، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم ، وآل إبراهيم » الحديث[3] .

---

(١) غُرْلا : الغُرْل : جمع الأغرَل ، وهو الأقْلَف . والغرْلة : القلْفة . (النهاية) .
(٢) الأنبياء : ١٠٤ .
(٣) متفق عليه .

وعن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾[1] فابتلاه الله بالطهارة : خمس في الرأس ، وخمس في الجسد، في الرأس : قص الشارب ، والمضمضة ، والاستنشاق ، والسواك، وفرق الرأس . وفي الجسد : تقليم الأظفار ، وحلق العانة ، والختان ، ونتف الإبط ، وغسل أثر الغائط والبول بالماء » .

رواه عبد الرزاق ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عنه وإسناده صحيح .

وأخرجه ابن أبي حاتم من طريقه .

قال : وروي عن سعيد بن المسيب ، ومجاهد ، والشعبي ، والنخعي ، وأبي صالح ، وأبي الجلد نحو ذلك .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن في الجنة قصراً أحسبه من لؤلؤ ، ليس فيه فصم[2] ، أعده الله لخليله إبراهيم نزلا » .

رواه البزار في معجمه عن حماد ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن أبي هريرة . وقال : لا نعلم رواه عن حماد ولا عنه إلا يزيد بن هارون ، والنضر بن شميل .

---

(١) البقرة : ١٢٤ .

(٢) الفصْم : أن ينصدع الشيء فلا يبين ، تقول : فصمتُه فانفصم . (النهاية) .

ورواه غيرهما موقوفًا .

وعن جابر عن النبي ﷺ أنه قال : « عرض علي الأنبياء . . . » قال فيه : « ورأيت إبراهيم ، فإذا أقرب من رأيت به شبهًا صاحبكم » .

رواه أحمد من طريق الليث ، عن أبي الزبير ، عنه .

وعن ابن عباس قال : قال ﷺ : « أما إبراهيم ، فانظروا إلى صاحبكم » .

رواه الشيخان من طريق ابن عون ، عن مجاهد ، عنه .

وأخرجه أحمد من طريق عثمان بن المغيرة ، عن مجاهد بلفظ : «رأيت عيسى وموسى وإبراهيم . . . » فذكر الحديث .

قالوا له : فإبراهيم ؟ قال : « انظروا إلى صاحبكم » . يعني : نفسه .



ذكر وفاته ومدة عمره (ق٣٢/١)

ذكر ابن جرير أنه ولد في زمان النمرود بن كنعان ، ويقال : إنه أنذر قبل مولد إبراهيم بأنه يولد في رعيتك ، يكون زوال ملكك على يديه ، فأمر عند ذلك بمنع الرجال عن النساء ، وأن يقتل المولودون ، فنجى الله إبراهيم من ذلك ، وشب شبابًا باهرًا ، وأنبته الله نباتًا حسنًا ، وكان مولده بالسوس ، وقيل بالسواد ، فلما أهلك الله نمرود على يديه ؛ توجه إلى حران، ثم إلى أرض الشام ، وأقام ببلاد إيليا وولداه إسماعيل وإسحاق ، وماتت سارة قبله بقرية حبرون من أرض كنعان ، ولها مائة وسبع وعشرون سنة ، على ما ذكر أهل الكتاب ،فاشترى من رجل يقال له : عفرون بن صخر ، مغارة بأربعمائة مثقال فضة ، ودفن فيها سارة، ثم زوج إبراهيم ابنه إسحاق رفقا بنت يوئيل بن ناحور بن تارح[١] ، ثم تزوج إبراهيم قنطورا ، فولدت له زمران ويقشان ومادان ومدين وشياق وينبوح.

وذكر السهيلي : أنه تزوج بعدها حجون بنت أهين ، فولدت له خمسة : كيسان ، وسورج ، وأميم ، ولوطان ، ونافس ، وأنسل كل واحد من هؤلاء أولادًا .

وروى ابن عساكر في ترجمته في قصة موته أخبارًا كثيرة . وقيل : مات فجأة ، وذكروا أنه مات عن مائة وخمس وسبعين سنة ، وقيل :

(١) تقدم ضبطه في أول ترجمة نبي الله إبراهيم عليه السلام .

تسعين . ودفن عند زوجته سارة .

وقال ابن الكلبي : عاش مائتي سنة . ويؤيده ما روى ابن حبان في « صحيحه » من طريق أبي قرة ، عن ابن جريج ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ [قال][1] : «اختتن إبراهيم بالقدوم ، وهو ابن عشرين ومائة سنة ، وعاش بعد ذلك ثمانين سنة » .

ورواه ابن عساكر من طريق جعفر بن عون ، عن يحيى بن سعيد ، فوقفه . ورواه عكرمة بن إبراهيم[2] عن يحيى .

ورواه ابن عجلان، عن أبيه ، عن أبي هريرة مثله مرفوعًا ، أخرجه ابن حبان أيضًا .

وفي « صحيح البخاري » عن أبي هريرة أنه اختتن وهو ابن ثمانين سنة ، وليس فيه تعرض لما عاش بعد ذلك .

وقال مالك ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب : كان إبراهيم أوّل من أضاف الضيف ، وأول الناس اختتن ، وأول الناس قص شاربه ، وأول الناس رأى الشيب . قال : يارب ، ما هذا ؟ قال الله : هذا وقار . فقال : يا رب ، زدني وقاراً .

---

(١) من البداية .
(٢) تاريخ ابن عساكر (٦/ ١٩٨ - ١٩٩).

ورواه محمد بن إسمـاعيل الحساني الواسطي راوي تفسـير وكيع عنه في زياداتـه ، عن أبي معـاوية ، عن يحـيى بن سعـيد ، عن سعـيد بن المسيب ، عن أبـي هريرة قال : كان إبراهيم أول مـن تسرول ، وأول من فرق ، وأول مـن استحـد ،وأول من قرى الـضيف ، وأول مـن شاب ، وذكر مثلما مضى.

في موضع قبره

وقد تواتر أن قبر إبراهيم وإسحاق ويعقوب في المربعة التي بناها سليمان بن داود ببلد حبرون وهو الموضع المعروف بالخليل اليوم ، وأما تعيينه منها ، فليس هو في خبر صحيح .

وروى ابن عساكر ، عن وهب بن منبه قال : وجد عند إبراهيم الخليل على حجر كتابة خَلِقة :

إِلهَى جَهُولاً أَمَلُهْ　　يَمُوتُ مَنْ جَاءَ أَجَلُهْ
وَمَنْ دَنَا مِنْ حَتْفِهِ　　لَمْ تُغْنِ عَنْهُ حِيَلُهْ
وَكَيْفَ يَبْقَى آخِراً　　مَنْ مَاتَ عَنْهُ أَوَّلُهْ
وَالْمَرْءُ لا يَصْحَبُهُ　　فِي الْقَبْرِ إلا عَمَلُهْ

قلت : يحتمل أن يكون هذا ترجمة المكتوب ؛ لأن الأقدمين لم يكونوا يعرفون الشعر العربي . والله أعلم .

(ق٣٢/ب) **فوائد قيدها الحافظ بقلمه على هامش الورقة [٢٦، ٢٧، ٢٨]:**

مجاهد ، عن ابن عباس ، سمعت النبي ﷺ يقول : « أما إبراهيم فانظروا إلى صاحبكم » .

معمر ، عن الزهري ، عن سعيد عن أبي هريرة رفعه : «أما إبراهيم فلم أر رجلا أشبه بصاحبكم منه . أو قال : أنا أشبه خلقه به» .

وعن ابن المنكدر ، عن جابر نحوه .

قال ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن محمد بن سنان ، سمعت عبد الله بن محيريز يقول : كانت تجارة إبراهيم البز .

وعن يعقوب بن محمد بن طحلاء ، عن إسحاق بن يسار مثله .

روى مالك : أول من أضاف ، وأول من اختتن ، وأول من قص شاربه ، وأول من رأى الشيب .

وزاد الشيباني عن عكرمة بن إبراهيم ، وعن يحيى بن سعيد، عن سعيد: وأول من استحد وقلّم أظفاره .

حديث : «اختتن إبراهيم بالقدوم» . . [1] ورقاء، عن أبي الزناد ، عن الأعرج، عن أبي هريرة . أبو يعلى .

وألحق . . [1]: ونقل عن عبد الرزاق أنها اسم القرية[2] .

---

(١) غير واضح تماما .

(٢) قال في البداية : ثم روى ابن حبان عن عبد الرزاق أنه قال : القدوم اسم قرية .

عبد الله بن الفضل ، عن ابن جريج . . .[1].

ابن عجلان ، عن أبيه ، عن أبي هريرة به .

قال : قلت لأبي ما القدوم ؟ ، قال : الفأس . أخرجه السراج ، وأبو يعلى . . .[1].

موسى بن عقبة ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة .

وعن موسى بن عليّ ، عن أبيه مرسلاً وزاد . . .[1].

ومحمد بن عمرو عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة . أبو يعلى .

موسى بن عقبة ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة .

يحيى بن سعيد ، عن سعيد ، عن البراء وزاد : وعاش بعد ذلك ثمانين سنة .

وفي جزء الحسن بن عباد وزاد أول من .

ورواه مالك عنه يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، عن سعد.

إسحاق في المبتدأ : نا جرير ، عن سليمان ، عن ابن عمر ، عن سلمان : جوع لإبراهيم أسدان ، ثم أرسلا عليه فجعلا يلحسانه ويسجدان له».

سعدان بن نصر ، عن فليح ، عن طلحة بن عمرو ، عن عطاء :

---

(١) غير واضح تماما .

كان إبراهيم إذا أراد أن يتغدى ، طلب من يتغدى معه ميلاً في ميل .

وقال عطاء : أحب الطعام إلى الله ما كثرت فيه الأيدي .

الدينوري من طريق وهب بن منبه : وجد على قبر إبراهيم :

إلهَى جَهُولاً أَمَلُهْ   يَمُوتُ مَنْ جَاءَ أَجَلُهْ
وَمَنْ دَنَا مِنْ حَتْفِهِ   لَمْ تُغْنِ عَنْهُ حِيَلُهُ
وَكَيْفَ يَبْقَى آخِراً   قَدْ[1] مَاتَ عَنْهُ أَوَّلُهْ
وَالْمَرْءُ لا يَصْحَبُهُ   فِي الْقَبْرِ إلا عَمَلُهْ



(١) ومثله في تاريخ دمشق (٦/ ٢٥٨) ، وقد تقدم قبل قليل، ومثله في البداية : وكيف يبقى آخر

(٢) في البداية : مَنْ.

قصة قوم لوط
وكان ذلك في زمن الخليل

وهو لوط بن هاران بن تارح ، ويقال : إن لوطًا كان قد نزح[1] عن عمه إبراهيم بأمره له ، فنزل بمدينة سدوم بغور زغر ، وكان لها أرض ومُعْتَملات[2] وقرى مضافة ، وكان بها ناس فجرة كفرة ، أسوأ الناس طوية ، وكانوا يأتون في ناديهم المنكر ، وابتدعوا فاحشة لم يسبقهم إليها أحد من بني آدم ، وهي وطء الذكور ، فدعاهم لوط إلى التوحيد ، ونهاهم عن تعاطي الفواحش ، فاستمروا على فجورهم .

وقد ذكر الله قصتهم في عدّة مواضع في : الأعراف ، وهود ، والحجر ، والشعراء ، والنمل ، والصافات ، والذاريات ، والقمر .

وروى سعيد بن جبير ، والسدي وغيرهما : أن إبراهيم قال للملائكة - لما أخبرته أنهم جاءوا في إهلاك قوم لوط - : أتعذبون قرية فيها ثلثمائة مؤمن ؟ قالوا : لا . قال : فمائتا مؤمن ؟ قالوا : لا . قال : فأربعون ؟ قالوا : لا . قال: فأربعة عشر مؤمنًا ؟ قالوا : لا . قال ابن إسحاق : إلى أن قال: أفرأيتم إن كان فيها مؤمن واحد ؟ قالوا : لا .

﴿ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلا

---

(١) نَزَحَ - كمنع وضرب - نَزْحًا ، ونُزُوحًا : بَعُدَ. (ترتيب القاموس).
(٢) الاعتمال : افتعال من العمل . (النهاية) .

امْرَأَتَهُ ﴾[1].

وعند أهل الكتاب : أنه قال : يا رب ، أتهلكهم وفيهم خمسون صالحون ؟ قال : لا . قال : ثم تنازل إلى عشرة . قال : لا .

قال المفسرون : لما فصلت الملائكة من عند إبراهيم وهم : جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، أقبلوا حتى أتوا أرض سدوم في صور شباب حسان ؛ امتحانًا من الله - تعالى - لقوم لوط ، فاستضافوا لوطًا ، فخشي إن لم يضفهم أن يضيفهم غيره ، وحسبهم آدميين ، وضاق ذرعه؛ خوفًا عليهم ، وكان قومه اشترطوا عليه أن لا يضيف أحدًا ، فقام معهم إلى منزله . وقال - وهو يعتذر إليهم - : والله ، يا هؤلاء ، ما أعلم على وجه الأرض أهل بلد أخبث من هؤلاء ، ثم مشى قليلا ، ثم كرر عليهم أربع مرات . قالوا : وكانوا أمروا أن لا يهلكوهم حتى يشهد عليهم نبيهم أربع مرات .

وعن السدي قال : خرجت الملائكة من عند إبراهيم ، فأتوا قوم لوط نهارًا ، فلما بلغوا نهر سدوم ، لقوا ابنة لوط تستسقي ، فقالوا لها : يا جارية ، هل من منزل ؟ فقالت لهم : مكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم ، فأتت أباها ، فقالت : يا أبتاه ، أدرك فتيانًا على باب المدينة ، ما رأيت وجوه قوم قط هي أحسن منهم ؛ لا يفضحهم قومك . فمضى فجاء بهم

---

(١) العنكبوت : ٣٢ .

فراحت امرأته ، فأخبرت قومها ، فجاءوا يُهْرَعون إليه .

فقال لهم : ﴿ هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾[1] أرشدهم إلى غشيان نسائهم ، وهنَّ بناته شرعًا ؛ لأن النبـي لأمته بمنزلة الوالد ، وهو كقوله : ﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ ﴾[2] وهذا هو القول الصحيح ، وبه جزم مجاهد ، وسعيد بن جبير ، والسدي ، وقتادة ، وابن إسحاق ، وغيرهم .

والقول الآخر خطأ مأخوذ عن أهل الكتاب ، خبطوا فيه كما خبطوا في أن الملائكة تعشوا عنده.

فقال لهم لوط : ﴿ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً ﴾[3] ، ودّ لو كانت له منعة وعشيرة ينصرونه عليهم ؛ ليحل بهم ما يستحقونه من العذاب .

وروى الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة مرفوعًا : «يرحم الله لوطًا ، لقد كان يأوي إلى ركن شديد » .

ورواه أبو الزناد ، عن الأعرج ، ومحمد بن عمرو ، عن أبي سلمة كلاهما عن أبي هريرة .

(ق٣٣/١) قال السهيلي : اسم امرأة لوط والهة ، وامرأة نوح والغة .

---

(١) هود : ٧٨ .
(٢) الشعراء : ١٦٦ .
(٣) هود : ٨٠ .

ويقال : إن لوطًا لم يخرج معه إلا ابنتاه ، ولم يتبعه منهم رجل ، وأن امرأته خرجت معهم ، فلما خلصوا من بلادهم وطلعت الشمس ؛ نزل بقومها العذاب ، فالتفتت ؛ لتنظر ، فقالت : واقوماه . فأدركها العذاب .

وفي التوراة : أن الملائكة أمروه أن يصعد إلى رأس الجبل ، فاستبعده ، وسأل أن يذهب إلى قرية قريبة . فقالوا : اذهب ، فإنا ننتظرك حتى تصير إليها وتستقر فيها ، فذكروا أنه ذهب إلى قرية زغر ، فلما أشرقت الشمس ؛ نزل بأهل سدوم العذاب ، واقتلع جبريل المدائن بطرف جناحه ، وكن سبع مدائن بمن فيهن من الأمم .

فقيل : كانوا أربعة آلاف ، وقيل : كانوا أربعمائة ألف ، ثم قلبها عليهم ، فجعل عاليها سافلها .

قال مجاهد : أول ما سقط منها شرفاتها .

ويقال : إن امرأة لوط لم تخرج معه ، بل مكثت مع قومها ؛ فأصابها ما أصابهم ؛ لأنها كانت على دين قومها ، ولنا قوله تعالى : ﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾[1] فكانت خيانة امرأة نوح أنها تقول لقومه : مجنون . وأما خيانة امرأة لوط ؛ فكانت تدل قومها على الضيفان ، وليس المراد أنهما كانتا على فاحشة ، وقد أخطأ من زعم ذلك خطأ كبيرًا .

---

(١) التحريم : ١٠ .

قال ابن عباس وغيره : ما بغت امرأة نبي قط .

وجعل الله مكان تلك البلاد بحيرة منتنة لا ينتفع بمائها ، ولا بما حولها من الأراضي ، فصارت عِبرة ومُثلة .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾[1] .

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا أزهر بن مروان ، ثنا جعفر بن سليمان، ثنا أبو عمران الجوني ، ولا أعلمه إلا عن عبد الله عن الأعرج[2] عن كعب قال: كان إبراهيم يشرف على سدوم ، فيقول : ويل لك سدوم، يومًا ما.

قال : فجاءت إبراهيم الرسل فما لبث أن جاء بعجل حنيذ[3] نضيج، وهم[4] يحسبهم إنس ، فلما رأى أيديهم لا تصل إليه فساق القرآن إلى ﴿حميد مجيد﴾[5] . فكلمهم إبراهيم في أمر قوم لوط . قالوا: يا إبراهيم أعرض عن هذا . وجاءوا لوطًا ، فذهب بهم إلى منزله، فدخلت امرأته ، فأنذرت قومه ، فجاءوا إليه ، فقال : يا قوم

---

(١) الصافات : ١٣٧ ، ١٣٨ .

(٢) كذا اجتهدت في قراءتها ، وتحتمل أيضا : عن عبد الرحمن الأعرج .

(٣) حَنَذَ الشاة يَحْنِذُها حَنْذًا وتَحْناذًا : شوَاهَا . (ترتيب القاموس).

(٤) كذا ، والأثر عزاه السيوطي في الدر المنثور إلى عبد الله بن أحمد في زوائده على الزهد (٣/ ٣٦٧) ، وفيه : وهو يحسبهم أضيافًا .

(٥) هود : ٧٣ .

هؤلاء بناتي هن أطهر لكم تزوجوهن . فأبوا .

قال أبو عمـران : فجعل لوط الأضياف فـي بيته وقعد علـى البيت وقال : لو أن لي عشيرة تمنعني . قال : فبلـغني أن الله لم يبعث نبيّاً بعد لوط إلا في عز من قومه .

فخرج عليـهم جبريل فضرب وجوهـهم بجناحه ، فطمـس أعينهم واحتمل ترابهم حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم وأصوات ديوكهم ، ثم قلبها عـليهم ، وأمطرت عليهـم حجارة من سجيل ، علـى أهل بواديهم ورعاتهم والمسافرين منهم فلم ينفلت منهم.



قصة مدين قوم شعيب

كان أهل مدين قومًا عربًا يسكنون مدينة مدين ، وهي قريبة من أرض معان من أطراف الشام مما يلي ناحية الحجاز ،قريبًا من بحيرة قوم لوط ، وكانوا بعدهم بمدة ، وهم من بني مدين بن مديان بن إبراهيم .

وشُعيب نبيهم هو ابن ميكيل بن يشجن ، ذكره ابن إسحاق ويقال : ابن يشجن بن لاوي بن يعقوب ،ويقال : ابن عيفا بن مدين بن إبراهيم . ويقال : ابن صيفور بن عيفا بن ثابت بن مدين .

ويقال : أمه بنت لوط ، أو جدته ، وكان ممن آمن بإبراهيم .

وذكر ابن قتيبة في « المعارف » : أن شعيبًا وبلعم كانا ممن آمن بإبراهيم يوم أحرق بالنار(1) ، وهاجرا معه إلى الشام ، فزوجهما بنتي لوط، وهذا لا يثبت .

وفي ترجمة سلمة بن سعد العنزي في الصحابة : أنه قدم على رسول الله ﷺ وانتسب إلى عنزة ، فقال : « نِعم الحي عنزة ، مبغي عليهم منصورون ، رهط شعيب وأختان موسى » . وهذا لا يثبت أيضًا .

لأن شعيبًا صهر موسى من العرب العاربة ، لا من عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ، فإنهم بعد شعيب بدهر طويل .

---

(1) كذا في الأصل ، وفي البداية . وفي المعارف النسخة المطبوعة ص ٤١ : .. كانا من ولد رهط آمنوا لإبراهيم يوم أحرق .

وفي حديث أبي ذر الطويل الذي صححه ابن حبان أنه قال : «أربعة من العرب : هود ، وصالح ، وشعيب ، ونبيك يا أبا ذر» .

(ق٣٣/ب) وفي « المبتدأ » لأبي حذيفة إسحاق بن بشر ، عن جويبر، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : « كان رسول الله ﷺ إذا ذكر شعيبًا قال : ذاك خطيب الأنبياء » .

وكان أهل مدين يعبدون الأيكة ، وهي شجرة من الأيك حولها غَيْضَة[١] ملتفة ، وكانوا يقطعون السبيل ، ويخيفون المارة ، ويأخذون بالزائد ، ويدفعون بالناقص ، فبعث الله شعيبًا منهم ، فدعاهم إلى عبادة الله ، وذكر ما قص الله في كتابه في ذمهم على التطفيف[٢] ، وعنفهم غاية التعنيف .

قال ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾[٣] : أي : مِنْ أخذ أموال الناس .

وقال ابن جرير : ما يفضل لكم من الزرع ، بعد وفاء الكيل والميزان، خير لكم من أخذ أموال الناس .

قال : وقد روي هذا عن ابن عباس .

---

(١) الغَيْضة ، بالفتح : الأجَمَةُ ، ومجتمع الشجر في مغيض ماء . (ترتيب القاموس).
(٢) طَفَّفَ : نَقَصَ في المكيال . (ترتيب القاموس).
(٣) هود : ٨٦ .

وقوله : ﴿ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا ﴾[1] . قال ابن عباس : كان ضرير البصر .

وقد روي : « أنه بكى من حب الله حتى عمي ، فرد الله عليه بصره ، وقال : يا شعيب ، أتبكي من خوفك من النار ، أو من شوقك إلى الجنة ؟ فقال : لمحبتك ، فإذا نظرت إليك ؛ فلا أبالي ، فأوحى إليه: هنيئًا لك يا شعيب ، فلذلك أخدمتك موسى بن عمران » .

رواه الواحدي من طريق محمد بن إسحاق الرملي ، عن هشام بن عمّار ،عن إسماعيل بن عياش ، عن يحيى بن سعيد ، عن شداد بن رزين ، وهو منقطع[2] .

وقد ذكر الله قصته معهم مفصلة في هود ، وفي الأعراف ، وفي الشعراء ، وفي العنكبوت ، وغيرها .

ومن زعم من المفسرين كقتادة : أن أصحاب الأيكة أمة أخرى غير أهل مدين فهو ضعيف ، وعمدتهم أنه قال في أصحاب الأيكة ، أو قال لهم شعيب ، فلم يقل : أخوهم . وقال في مدين: ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾[3] ، وأنه قال في أصحاب الأيكة: ﴿ فَأَخَذَهُم[4] عَذَابُ يَوْمِ

(١) هود : ٩١ .
(٢) وقال الحافظ ابن كثير في البداية: وهو غريب جدا، وقد ضعفه الخطيب البغدادي.
(٣) الأعراف : ٨٥ ، هود : ٨٤ .
(٤) في الأصل : فأخذ .

الظُّلَّة ﴾[1] وقال في مدين : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ ﴾[2] وقال مرة : ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ ﴾[3] .

والجواب عن الأول : أنهم لما كانوا يعبدون الأيكة ، وصدر الكلام بتسميتهم أصحاب الأيكة ؛ ناسب أن لا يذكر الأخوة هاهنا ، ولما نسبهم إلى القبيلة ؛ ساغ ذكر شعيب بأنه أخوهم ، وهذا الفرق لطيف نفيس .

وأما ذكر الظلة ، فإن كان دليلا على أنهم أمة أخرى ؛ فليكن المعذبون بالرجفة غير المعذبين بالصيحة ، ولم يقل به أحد ، والمعنى الدال على أنهم أمة واحدة اشتراك الجميع في التطفيف ، وأهلكوا بأنواع العذاب، وذكر في كل موضع ما يناسب المقام ، وذلك أنهم أصابهم حرّ شديد ، وأسكن الله عنهم هبوب الهواء سبعة أيام، فهربوا من محلتهم إلى البريّة ، فأظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها ؛ ليستظلوا بظلها ، فلما تكاملوا تحتها ؛ [أرسل][4] الله منها شررًا وشهبًا ، ورجفت بهم الأرض ، وجاءتهم صيحة من السماء ، فأصبحوا في ديارهم جاثمين . ونجى الله شعيبًا ومن معه من المؤمنين .



(١) الشعراء :١٨٩ .
(٢) الأعراف : ٩١ .
(٣) هذه الآية في أصحاب الحجر وهم ثمود [الحجر: ٨٣] والمناسب هاهنا ﴿ وأخذت الذين ظلموا الصيحة ﴾ هود : ٩٤ .
(٤) في الأصل : أرسلها ، وما أثبتناه هو الأنسب ويقتضيه السياق.

ذكر إسماعيل (ق٣٤/١)

أثنى الله - تعالى - عليه ووصفه بالصبر والحلم وصدق الوعد والمحافظة على الصلاة .

وقال تعالى : ﴿ واذكر إسماعيل واليسع ويونس ولوطًا وكل من الأخيار ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ [كُلٌّ][٢] مِّنَ الصَّابِرِينَ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾[٣] .

وذكر علماء النسب : أنه أول من ركب الخيل ، وكانت وحوشًا .

وروى يحيى بن سعيد الأموي في « مغازيه » قال : حدثنا شيخ من قريش ، ثنا عبد الملك بن عبد العزيز ، عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: « اتخذوا الخيل واعتقبوها ؛ فإنها ميراث أبيكم إسماعيل» .

وكانت هذه العراب وحشًا ، فدعا لها بدعوته التي كان أعطي ؛

(١) وهم الحافظ - رحمة الله تعالى - في سياق هذه الآية ، وقد اشتبهت عليه بآيتين من كتاب الله عز وجل ؛ الأولى : ﴿ وإسماعيل واليسع ويونس ولوطًا وكلاً فضلنا على العالمين ﴾ . الأنعام : ٨٦ . والثانية : ﴿ واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار ﴾ سورة ص : ٤٨ .

(٢) سقطت من الأصل ، والمثبت من البداية .

(٣) الأنبياء : ٨٥ ، ٨٦ .

فأجابته ، وأنه أول من تكلم بالعربية الفصيحة البليغة، وكان قد تعلمها من العرب العاربة الذين نزلوا عندهم بمكة من جرهم والعماليق وأهل اليمن من الأمم المتقدمين من العرب .

قال الأموي : وحدثني علي بن المغيرة ، ثنا أبو عبيدة - هو معمر ابن المثنى - ثنا مسمع بن مالك ، عن محمد بن علي بن الحسين ، عن آبائه ، عن النبي ﷺ أنه قال : « أول من فتق لسانه بالعربية البينة إسماعيل ، وهو ابن أربع عشرة سنة » .

فقال له يونس : صدقت يا أبا سيار ؛ هكذا حدثني أبو جزى .

قال الأموي : وتزوج إسماعيل أولا عمارة بنت سعد بن أسامة بن أكيل العملاق، وهي الأولى التي أمره أبوه بطلاقها في القصة المتقدمة[1] ،

---

(١) كذا ، ولم تتقدم . والحديث رواه البخاري في صحيحه (٦/ ٣٣٦٤) من حديث ابن عباس الطويل ، وفيه : « فلما أدرك زوجوه امرأة منهم ، وماتت أم إسماعيل ، فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل يطالع تركته ، فلم يجد إسماعيل ، فسأل امرأته عنه فقالت : خرج يبتغي لنا ، ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم ، فقالت : نحن بشرٍّ ؛ نحن في ضيق وشدة ، فشكت إليه . قال : فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام وقولي له يغير عتبة بابه .

فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئًا فقال : هل جاءكم من أحد ؟ قالت : نعم ، جاءنا شيخ كذا وكذا ، فسألنا عنك فأخبرته ، وسألني كيف عيشنا ؟ فأخبرته أنّا في جهد وشدة . قال : فهل أوصاكِ بشيء ؟ قالت : نعم ، أمرني أن أقرئ عليك السلام ، ويقول : غيّر عتبة بابك .

قال : ذاك أبي ، وقد أمرني أن أفارقك ، الحقي بأهلك ، فطلقها .

وتزوج منهم أخرى ، فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله ، ثم أتاهم بعد فلم يجده، =

ثم نكح بعدهـا السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهـمي ، وهي التي أمره أبوه أن يستمر بها .

قال ابن إسحاق : فولدت له اثني عشر ولدًا ذكرًا ، وهم : نابت ، وقيدار ، وإزبل ، وميشا ، ومسمع ، وماش ، ودوما ، وآرر ، ويطور ، ونبش ، وطمسا ، وقيذما .

وكان إسماعيل رسولا إلى تلك النواحـي من قبائل جرهم والعماليق وأهل اليـمن ، ولما حضـرته الوفاة ؛ أوصـى إلى أخيه إسـحاق ، وزوَّج ابنته من ابن أخيه العيص ،فـولدت له الروم واليونان - في أحد الأقوال - ولما مات دفن بالحجر مع أمه ، وله يوم مات مائة وسبعة وثلاثون سنة .

= فدخل على امرأته فسألها عنه ، فقالت : خرج يبتغي لنا ، قال : كيف أنتم ؟ ، وسألها عن عيشهم وهيئتهم .

فقالت : نـحن بخير وسعـة ، وأثنت على اللـه . فقال : ما طعامـكم ؟ قالت : اللحم . قال : فما شرابكم ؟ قالت : الماء .

قال : اللهم بارك لهم في اللحم والماء .

قال النبي ﷺ : ولم يكن لهم يومئذ حـب ، ولو كان لهم لدعا لهم فيه . قال : فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه .

قال فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ، ومريه يثبت عتبة بابه .

فلما جـاء إسماعيل قال : هـل أتاكم من أحد ؟ قالـت : نعم ، أتانا شيـخ حسن الهيئة ، وأثـنت عليه ، فسألنـي عنك فأخبرته ، فسألـني كيف عيشنا ؟ فـأخبرته أنّا بخير .

قال : فأوصاكِ بشيء ؟ قالت : نعم ، هو يُقْـرئ عليك السلام ، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك .

قال : ذاك أبي ، وأنت العتبة ، أمرني أن أمسكك . . . وذكر الحديث .

وروي عن عمر بن عبد العزيز قـال : « شكى إسماعيل إلى ربّه حرّ مكة ، فأوحى الله إليه : إني سأفتح لـك بابًا إلى الجـنة الذي تدفن فيه ، تجري عليك رَوْحَها إلى يوم القيامة .



ذكر إسحاق

أثنى الله - تعالى - عليه بقوله : ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ ﴾[1] ، وقد تقدم حديث : « الكريم ابن الكريم » .

وذكر أهل الكتاب أن إسحاق لما تزوج رفقا بنت سوائيل في حياة أبيه ، كان عمره أربعين سنة ، وأنها كانت عاقراً ، فدعا الله لها ؛ فحملت فولدت غلامين توأمين : أولهما عيص ، وهو والد الروم ، والثاني خرج وهو آخذ بعقب أخيه فسموه يعقوب ، وهو إسرائيل الذي تنتسب إليه بنو إسرائيل .

قالوا : وكان إسحاق يحب العيص أكثر من يعقوب ، وكانت أمهما بخلاف ذلك .



(١) الصافات : ١١٢ ، ١١٣ .

ذكر يعقوب (ق٣٤/ب)

قالوا : فلما كبر إسحاق وضعف بصره ، اشتهى على ابنه العيص طعامًا ، وأمره أن يذهب فيصطاد صيدًا ويذبحه له ؛ ليبارك عليه ويدعو [له](١) ، وكان العيص صاحب صيد ، فذهب يبتغي ذلك ، فأمرت رفقا ابنها يعقوب أن يأخذ جديين من خيار غنمه ويصنع منهما طعامًا كما اشتهاه أبوه ، ويأتي إليه به قبل أخيه ، وقامت فألبسته ثياب أخيه ، وجعلت على ذراعيه وعنقه من جلد الجديين ؛ لأن العيص كان أشعر الجسد ، فلما جاءه به وقربه إليه ، قال : من أنت ؟ قال : ولدك ، فضمه إليه وجسه ، وقال : أما الصوت فصوت يعقوب ، وأما الجس والثياب فالعيص . فلما أكل وفرغ ؛ دعا له أن يكون أكبر إخوته قدرًا ، وكلمته أعلى عليهم ، وعلى الشعوب ، وأن يكثر رزقه وولده .

فلما خرج من عنده ؛ جاء العيص بما أمره به أبوه فقربه إليه . فقال : ما هذا يا بني ؟ قال : هذا الطعام الذي اشتهيته . قال : أما جئتني به الساعة ، وأكلت منه ودعوت لك ؟! قال : لا ، وعرف أن أخاه قد سبقه إلى ذلك ، فوجد في نفسه وتوعد أخاه بالقتل ، وسأل أباه فدعا له دعوة أخرى ، وأن يجعل لذريته غليظ الأرض ، وأن يكثر أرزاقهم وثمارهم ، فلما سمعت أمهما وعيد العيص ؛ أمرت أخاه أن يذهب إلى

---

(١) في الأصل : عليه ، والمثبت من البداية .

أخيها لابان ، فيكون عنده بأرض حران إلى أن يسكن غضب أخيه ، وأن يتزوج من بناته ، فأذن له أبوه بذلك ، وأوصاه ودعا له ، فخرج يعقوب من آخر ذلك اليوم ، فأدركه المساء في موضع فنام ، فرأى في منامه كأن معراجًا منصوبًا من الأرض إلى السماء ،وإذا الملائكة يصعدون فيه وينزلون، فخاطبه الرب فقال له : إني سأبارك عليك وأكثر ذريتك ، فلما هب من نومه ؛ فرح بما رأى ، ونذر أن يبني ذلك الموضع معبدًا ، وأن كل شيء يرزقه الله من شيء لله عُشْره ، ثم عمد إلى ذلك الحجر فجعل عليه دهنا يعرفه به ، وسمى ذلك الموضع بيت إيل ، أي بيت الله ، وهو موضع بيت المقدس اليوم الذي بناه يعقوب .

فلما قدم يعقوب على خاله أرض حران ، خطب إليه ابنته الصغرى راحيل ، وكانت أحسن من أختها الكبرى ليا ، وكانت أحسنهما وأجملهما ، فأجابه بشرط أن يرعى على غنمه سبع سنين ، فلما مضت المدة ، عمل خاله طعامًا وجمع الناس وزوجه ابنته الكبرى ليا ، ولم تكن جميلة ، فلما أصبح يعقوب إذا هي ليا ، فقال لخاله : قد غدرت بي . فقال : إنه ليس من سنتنا أن نزوج الصغرى قبل الكبرى ، فإن أحببت أختها فاعمل سبع سنين أخرى ، فعمل وأدخلها عليه مع أختها . وكان ذلك سائغًا في ملتهم ، ثم نسخ في حكم التوراة .

وهذا دليل كافٍ على وقوع النسخ ؛ لأن فعل يعقوب دال على إباحته .

فكان أول مولود ليعقوب روبيل ، ثم شمعون ، ثم لاوي ، ثم يهوذا ، كلهم من ليا ، فغارت راحيل - وكانت لا تحبل- فوهبت ليعقوب جاريتها بلها فوطئها ، فحملت وولدت له غلامًا سمته دان ، وحملت وولدت غلامًا آخر سمته نفتالي .

فعمدت عند ذلك ليا ، فوهبت له جاريتها زلفى ، فولدت له جاد وأشير .

ثم حملت ليا فولدت إيساخر ، ثم زايلون ، فصار لها من يعقوب ستة ، (ق٣٥/١) وبنتًا اسمها دينا . فدعت راحيل ربّها، فوهب لها يوسف، فولدته جميلا جدا ، فطلب يعقوب من خاله لابان أن يسرحه إلى أهله . فقال له خاله : لقد بورك لي بسببك ، فسلني من مالي ما شئت . فقال : تعطني كل حمل يولد من غنمك هذه السنة أبقع . فقال : نعم . قال : فعمد بنوه فأبرزوا من غنم أبيهم ما كان على هذه الصفة ؛ لئلا يولد { شيئًا من الحلاملات }[1] على تلك الصفات ، فعمد يعقوب إلى قضبان رطبة بيض من لوز ودُلب[2] ، فكان يقشرها بلقا وينصبها في مساقي الغنم ؛ لينظر الغنم إليها ، فتصير ألوان حملانها كذلك ، وهذا عجب ، فصار ليعقوب أغنام كثيرة ، ودواب ، وعبيد ، وانحصر منه أولاد خاله .

---

(١) كذا في الأصل ، وفي البداية : لئلا يولد شيء من الحملان ، وهو الصواب .
(٢) الدلب : هو شجر الصنار . (ترتيب القاموس ٢٠١/٢) .

فتحمل يعقوب بإذن الله بأهله وماله ، وسرقت راحيل أصنام أبيها ، فلما ساروا عن بلدهم لحقهم لابان وقومه عاتبًا على يعقوب بخروجه بغير علمه ، ولما أخذوا أصنامه ، فدخل بيوته ففتشهنّ فلم يجد شيئًا ، وكانت راحيل قد جعلت الأصنام في بردعة[1] الجمل وهي تحتها ولم [تقم][2] ، واعتذرت بأنها طامث ، فعند ذلك توافقوا على رابية هناك على أن لا يهين بنتيه ، ولا يتزوج عليهنّ. وعملا طعامًا[3] وأكل القوم وتودعوا وتفارقوا ، فلما قرب يعقوب من بلده تلقته الملائكة فبشرته بقدومه ، وأرسل إلى العيص بريدًا يترفق له ويتواضع له ، فركب العيص إليه في أربعمائة راكب وراجل ، فدعا يعقوب ربه أن يكف عنه شر أخيه ، وأهدى إليه هدية عظيمة ، وهي مائتا شاة وعشرون تيسًا ، ومائتا نعجة ، وعشرون كبشًا ، وثلاثون حقة ، وأربعون بقرة ، وعشرة من الثيران ، وعشرة من الحمر ، وعشرة من الأتن[4] ، وأمر عبيده أن يسوقوا كلا من هذه الأصناف على حدة ، وليكن بين كل قطيع وقطيع مسافة ، فإذا لقيهم العيص ، فقال للأول : من أنت ؟ ولمن هذه معك ؟ ؛ فليقل : لعبدك يعقوب ، أهداها لسيده العيص ، والثاني كذلك ، والذي بعده كذلك إلى آخرهم ، ويقول الأخير : وهو جاءٍ بعدي ، وتأخر يعقوب بعد الجميع

---

(١) البَرْدَعَة : الحِلْسُ يُلقى تحت الرَّحْل ، وقد تنقط داله . (ترتيب القاموس) .
(٢) في الأصل : ولم تقوم ، وهو خلاف الجادة ، والمثبت في البداية .
(٣) في البداية : تواثقوا .
(٤) وفي البداية : وعشرون أتانًا .

بزوجتيه وأمتيه وبنيه بعد الكل ليلتين.

فلما كان وقت الفجر من الليلة الثانية ؛ تبدا له ملك من الملائكة في صورة رجل فظنه يعقوب رجلا من الناس ، فأتاه ليصارعه ويغالبه ، فظهر عليه يعقوب فيما يرى ، إلا أن الملك أصاب وركه فعرج يعقوب ، فلما أضاء له الفجر ، قال له الملك: ما اسمك ؟ قال : يعقوب . قال : ما ينبغي أن تدعى بعد اليوم إلا إسرائيل . فقال له يعقوب : من أنت ؟ وما اسمك ؟ فذهب عنه . فعلم أنه ملك من الملائكة ، وأصبح يعقوب وهو يعرج من رجله ، فلذلك لا تأكل بنو إسرائيل عرق النساء ، ورفع يعقوب بصره فإذا أخوه ، فتقدم أمام أهله ، فلما رأى أخاه ؛ سجد له سبع مرات - وكانت تحيتهم وكان مشروعًا لهم - فلما رآه العيص ، تقدم إليه واحتضنه وبكى ، ورفع عينيه ، ونظر إلى النساء والصبيان ، فقال : من هؤلاء ؟ فقال : هؤلاء أهلي ، فدنت الأمتان وبنوهما فسجدوا له، ثم دنت ليا وبنوها كذلك، ثم دنت راحيل وابنها كذلك ، وعرض عليه أن يقبل هديته فقبلها ، (ق٣٥/ب) ورجع العيص فتقدم ، ولحقه يعقوب بأهله، فلما مرّ بساحور ابتنى له بيتًا ولدوابه ظلالا .

ثم مرّ على شاليم[1] ، فنزل قبلي القرية ، واشترى مزرعة من جمور أبي شخيم بمائة نعجة ، فضرب هناك فسطاطه ، وابتنى مذبحًا فسماه:

(١) كذا في الأصل ، وفي البداية : أورشليم .

إيل إله إسرائيل ،وأمره [الله][1] ببنائه ليستعلن له فيه ، وهو بيت المقدس الذي جدده بعد ذلك سليمان بن داود ، وهو مكان الصخرة التي علمها بوضع الدهن عليها قبل ذلك .

ثم حملت راحيل ، فولدت بنيامين ، إلا أنها جهدت في طلقها به وماتت عقبه ، فدفنها يعقوب في أفراث ، وهي بيت لحم ، ووضع يعقوب على قبرها حجراً ، وقبرها معروف إلى الآن .

ومرض إسحاق ومات وهو ابن مائة وثمانين سنة ، ودفنه ابناه العيص ويعقوب مع إبراهيم الخليل .



(١) من البداية .

ذكر ما جرى ليوسف عليه السلام

قد أنزل الله في شأنه سورة تامة ، فلتراجع كلام أهل التفسير عليها ، وقد اختلف في إخوة يوسف ، فقيل : لم يكن فيهم نبي غيره . وقيل : بل كانوا أنبياء ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ ﴾[1] ففيه نظر ؛ لأن المراد بالأسباط شعوب بني إسرائيل ، وما كان يوجد فيهم من الأنبياء .

وكانت رؤية يوسف للكواكب قد سجدوا له وهو صغير ، فقصها على أبيه فأمره بكتمانها .

وعند أهل الكتاب أنه قصها على أبيه وإخوته معًا، وهو غلط منهم

وعن جابر قال: «أتى النبي ﷺ رجل من اليهود يقال له: بستاني[2]، فقال: يا محمد، أخبرني عن الكواكب التي رآها يوسف أنها ساجدة له ، ما اسمها ؟ قال: فسكت النبي ﷺ فلم يجبه بشيء ، ونزل جبريل بأسمائها، قال: فبعث إليه رسول الله ﷺ فقال: هل أنت مؤمن إن أخبرتك بأسمائها ؟ قال: نعم. فقال: هي جريان ، والطارق ، والذيال ، وذو الكتفان[3]وقابس ، ووثاب ، وعمودان ، والفيلق[4] ،

(١) البقرة : ١٣٦ .
(٢) في البداية ، وابن جرير (١٢/ ٩٠) : بستانة .
(٣) في ابن جرير : وذو الكتفين.
(٤) كذا في الأصل ، وفي البداية، وابن جرير (١٢/ ٩١) : والفليق.

والمصبح ، والضروح، وذو الفرع، والضياء، والنور. فقال اليهودي: والله، إنها لأسماؤها» .

رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وأبو يعلى ، والبزار كلهم من حديث الحكم بن ظهير[1] ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عنه .

وزاد أبو يعلى : «فلما قصها على أبيه ؛ قال : هذا أمر مشتت يجمعه الله ، والشمس أبوه ، والقمر أمه » .

قوله : ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ ﴾[2] قال مجاهد : هو شمعون .

وقال السدي : هو يهوذا .

وقال قتادة وابن إسحاق : هو روبيل ، وهو أكبرهم .

ومن غلط أهل الكتاب أن عندهم أن يعقوب بعثه وحده وراءهم ؛ ليلحقهم ، فضلّ عن الطريق ، فأرشده [إليهم][3] رجل لقيه .

ولقد كان يعقوب أشد حرصًا عليه من أن يبعثه وحده ، ولقد توقف في إرساله معهم ، فكيف يرسله وحده ؟

فلما ألقوه في الجُب بعد أن أهانوه وشتموه ، فقام على راعوفة

---

(١) قال ابن كثير : الحكم بن ظهير ضعفه الأئمة.
(٢) يوسف : ١٠ .
(٣) من البداية ، وفي الأصل : إليها .

البئر ، وهي الصخرة الـتي تكون في وسطه ، (ق٣٦/١) فأوحى الـله : إنه لابد لك من فرج ومخرج .

قال مجاهد وقتادة : ﴿ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾[(١)] بإيحاء الله إليه ذلك .

وعن ابن عباس : ﴿ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾[(١)] أي : لتخبرنهم بأمرهم هذا في حال لا يعرفونك فيها . رواه ابن جرير .

ثم أخذوا قـميصه ، فـلطخوه بـشيء من دم سَخْـلَة[(٢)] ذبحـوها ، ورجعوا وهم يـبكون عشاءً ؛ ليكـون أخفى لحالهم ، ونسـوا أن يخرقوا القميص ، فـلما ظهرت لأبيهم عـلام الريب ؛ قال : ﴿ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ ﴾[(٣)] .

ذكر أهل الكتاب : أن روبيل أراد أن يخـالفهم ويأخذه من حيث لا يشعرون ويرده إلى أبيه ، فغافلوه وباعوه لتلك القافلة ، فلما جاء روبيل ؛ ليخرجه فلم يجده شق ثيابه ، وحزن حزنًا كبيرًا .

وهذا مخالف لـنص الكتاب ؛ لأن الله - تعالـى - أخبر أن إخوته باعوه .

وقالوا أيضًا : كانت بـضاعة القافلة من الفستق والـصنوبر والبطم[(٤)]

---

(١) يوسف : ١٥ .
(٢) السَّخْلَةُ : ولدُ الشاة ما كان، وجمعها سَخْلٌ وسِخَالٌ وسُخْلان. (ترتيب القاموس)
(٣) يوسف : ١٨ ، ١٩
(٣) البُطْمُ - بالضم ، وبضمتين - : الحَبَّةُ الخَضْراءُ

قاصدين من بـلاد الشام ديار مصر ، فأرسـل بعضهم ليستقوا من ذلك البئر ، فلما رآه ذلك الرجل ؛ قال : يا بشراي ، هَذَا غُلامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً . أي : أوهموا أنه معهم من جملة متجرهم ، ولما استشعر إخوة يوسف بأخذ السيارة له لحقوهم وقالوا : هذا غلام منا أبق ، فاشتروه منهم بثمن قليل .

قال ابن مسعود ، وابن عباس ، ونوف البِكالي ، والسدي، وقتادة: باعوه بعشرين درهمًا ، اقتسموها درهمين درهمين .

وقال مجاهد : اثنان وعشرون .

وقال عكرمة ، ومحمد بن إسحاق : أربعون درهمًا .

وكان الذي اشتراه من القافلة عزيز مصر ، وهو الوزير .

قال ابن إسحاق: اسمه أطفير بن روحيب، وكان ملك مصر: الريان ابن الوليد ، رجل من العماليق ، واسم امرأة العزيز راعيل بنت دعائيل .

وقال غيره : زليخا، وهو لقبها . وقيل : فكا بنت سوس(١).

رواه الثعلبي من طريق ابن هشام الرفاعي .وقال ابن الكلبي : كان اسم رئيس القافلة الذي اشتراه مالك بن ذعر بن نويب بن عفقا بن مدين ابن إبراهيم .

---

(٣) في البداية : ينوس.

وقال أبو إسحاق ، عن أبـي عبيدة بن عبد الله بن مسـعود ، عن أبيه : أفرس الناس ثلاثة : عـزيز مصر حين قال لامرأته : ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا﴾[1] ، وابنة شعيب حيث قالت لأبيها: ﴿ يَاأَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ ﴾[2] ، وأبو بـكر الـصديـق حين استخلف عُمَر .

ثم قيل : اشتراه الـوزير بعشرين دينارًا ؛ وقيل بوزنـه مسكًا وحريرًا وورِقًا ، فاستمر يوسف في تربية العزيز وامرأته حتى بلغ أشده .

قال زيد بـن أسلم والشـعبي : بلغ الحـلم . وبه قال مـالك ، وربيعة. وقال سعيد بن جبير : بلـغ ثماني عشرة سنة . وقال الضحاك : عشرين سنة . وقال عكرمة : خمس وعشرون . وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة: ثلاثًا وثـلاثين . وقال السدي : ثلاثين . وقال الحسن: أربعين ، وكأنه أخذه من قوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾[3]

(ق٣٦/ب) قوله تعالى : ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ ﴾[4] .

قال ابن إسحاق : هي امرأة العزيز الوزير ، وبنت أخت الملك الريان ابن الوليد صاحب مصر .

فقال : ﴿ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي ﴾[4] أي : صـاحب المنـزل سـيدي .

---

(١) يوسف : ٢١ .
(٢) القصص : ٢٦ .
(٣) الأحقاف : ١٥ .
(٤) يوسف : ٢٣ .

﴿أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾

وأكثر أقوال المفسرين في مسألة الهم متلقاة من أهل الكتاب ، والإعراض عنه أولى ، ونعتقد أن الله عصمه وبرأه من الفحشاء وصانه عنها ، ولما عرضت لزوجها براءة ساحتها واتهمته ؛ احتاج أن يبرئ عرضه ويقول الحق عند الحاجة .

قوله : ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾[1] .

قال ابن عباس : كان صغيراً في المهد .

وروي عن أبي هريرة ، وهلال بن يساف ، والحسن ، وسعيد بن جبير ، واختاره الطبري ، وروى فيه حديثًا مرفوعًا عن ابن عباس ،ووقفه بعضهم .

وقيل كان قريبًا إلى بعلها . وقيل : إليها . وقيل : كان رجلا . حكاه عكرمة ، ومجاهد ، والحسن ، وقتادة ،والسدي .

قوله : ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ﴾[2] .

قال أهل التفسير : اسم أحدهما : نبو ، وهو ساقي الملك ، واسم الآخر : مجلث ، وكان خبازاً فأعجبهما سمت يوسف وطريقته ، فرأى كل واحد منهما رؤيا في ليلة واحدة ؛ أما الساقي ؛ فثلاث قضبان قد

(١) يوسف : ٢٦ .
(٢) يوسف : ٣٦ .

أورقت فأينعت عناقيد العنب ، فـأخذها فعصرها في كأس الملك وسقاه .
وأما الخباز ، فرأى كأن على رأسه ثلاث سلال من خبز، وضواري الطيور تأكل من السل الأعلى ، فقصاها عليـه ، فأخبرهما بعد أن عرض عليهما الإسلام ، ثم قال للسـاقي أما أحدكما فيسقي ربه خـمرًا وهو الساقي ، وأما الآخر ، وهو الخباز ، فيصلب ، فلـما سمعا ذلك ؛ قال الخباز : ما رأينا شيئًا . فقال : ﴿ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾[1] .

روي ذلك عن ابن مسعود ،ومجاهد .

قوله : ﴿ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ﴾[2] .

قال مجاهد ، وابن إسحاق ، وغير واحد : الذي أنساه الشيطان هو الذي نجا منهما ، وهو الساقي ، وهذا منصوص أهل الكتاب .

وروي عن ابن عباس ، وعكرمة : أن المراد يوسف .

ورواه ابن جريـر مرفوعًا ، وفي إسنـاده إبراهيم بن يـزيد الخوزي- وهو ضعيف - ومن طريق الحسن ، وقتادة مرسلا .

وقال ابن حبان فـي « صحيحه » : ذكر السبب الذي مـن أجله لبث يوسف في السجن ، ثم ساق عن أبي خـليفة ، عن مسدد ، عن خالد ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سـلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول

(١) يوسف : ٤١ .
(٢) يوسف : ٤٢ .

الله ﷺ : « رحم الله يوسف ، لولا الكلمة التي قالها : اذكرني عند ربك ؛ ما لبث في السجن ما لبث ، ورحم الله لوطًا . . . » الحديث[1] .

وقال أهل التفسير : اسم الملك الذي رأى الرؤيا الريان بن الوليد بن ثروان بن أراشة بن فاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح .

قال أهل الكتاب : رأى كأنه على حافة نهر ، وكأنه قد خرج منه سبع بقرات سمان ، فجعلن يرتعن في روضة هناك ، فخرجت سبع هزال ضعاف من ذلك النهر يرتعن معهن ، ثم ملن عليهن يأكلهنّ ، فاستيقظ مذعوراً ، (ق٣٧/١) ثم نام فرأى سبع سنبلات خضر في قصبة واحدة ، وإذا سبع أخر يابسات يأكلهن ، فاستيقظ مذعوراً ، فقصها ،فلم يكن في قومه من يحسن قصها ، حتى تذكر الناجي منهما وصية يوسف .

وقرأ ابن عباس وعكرمة ﴿ وَادَّكَرَ بَعْدَ أَمَةٍ ﴾[2] أي : نسيان .

وعند أهل الكتاب أن الملك لما ذكره له الساقي ، استدعاه إلى حضرته ، وقص عليه رؤياه .

والصواب ما قصه الله في كتابه ، أنه بادر إلى تعبير الرؤيا ولم يتأخر ، ولما أحاط الملك علمًا بكمال يوسف ؛ أمر بإحضاره ؛ ليكون من جملة خاصته، فلما جاءه الرسول ؛ أحب أن لا يخرج حتى يعلم كل

(١) قال الحافظ ابن كثير في البداية : حديث منكر من هذا الوجه ، ومحمد بن عمرو بن علقمة له أشياء ينفرد بها وفيها نكارة .
(٢) يوسف : ٤٥ .

أحد أنه حبس ظلمًا وعدوانًا ،وأنه بريء الساحة .

فقال : ﴿ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ ﴾[1] يعني : الملك .

وقوله : ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ﴾[2] قيل : إنه من تمام كلام امرأة العزيز . وقيل : من كلام يوسف . والأول نصره المتأخرون ، ولم يحك ابن أبي حاتم ، وابن جرير سوى الأول .

وقوله : ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ﴾[3] قيل : إنه من كلام يوسف . وقيل : من كلام زليخا ، وكونها من كلامها أظهر ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ ﴾[4] إنما طلب ذلك ؛ لينظر فيها بما يرضي الله في خلقه ، من الاحتياط لهم ، والرفق بهم .

وعند أهل الكتاب : أن الملك عظم يوسف جدا ،وسلطه على جميع أرض مصر ، وألبسه خاتمه ، وطوقه الذهب ، ونودي بين يديه : أنت رب مسلط . وقال له : لست أعظم منك إلا بالكرسي .

وحكي أنه عزل قطفير . وولى يوسف . وقيل : إن قطفير مات فتزوج زليخا فوجدها عذراء ؛ لأن زوجها كان عنينًا ، وأنها ولدت له أفرايم ، ومنشا ، وعمل يوسف بالعدل .

---

(١) يوسف : ٥٠ .
(٢) يوسف : ٥٢ .
(٣) يوسف : ٥٣ .
(٤) يوسف : ٥٥ .

وذكر ابن إسحاق : أن الملك أسلم على يديه .

وكان قدوم إخوة يوسف إلى مصر ؛ لطلب الميرة بعد أن عم البلاد الغلاء ، فلما دخلوا ؛ عرفهم ، ولم يعرفوه ؛ لأنه لم يخطر ببالهم ما صار إليه .

وعند أهل الكتاب : أنهم سجدوا له فأغلظ لهم في القول ؛ لئلا يعرفوه . فقال : إنكم جواسيس جئتم لتأخذوا بلادي . فقالوا : معاذ الله ، بل نحن بنو أبٍ واحد من كنعان ، وقصوا قصتهم . ويقال : إنه احتبس شمعون عنده ؛ ليأتوه بأخيه بنيامين ، ثم دس بضاعتهم في رحالهم[1] .

وقال أهل الكتاب : إن بضاعتهم كانت صرراً من ورِق . وكان يعقوب أضن شيء بولده بنيامين ؛ لأنه كان يشم فيه رائحة يوسف ، ويتسلى به عنه ، وأمرهم يعقوب أن يدخلوا من أبواب متفرقة ؛ لأنهم كانوا أشكالاً حسنة ، قاله ابن عباس ، وجماعة .

وقيل : أراد أن يتفرقوا ؛ لعلهم يجدون خبراً ليوسف ، أو يحدِّثون عنه بأمر . قاله إبراهيم النخعي . وهذا قاله في قوله : ﴿ **إِلا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا** ﴾[2] .

---

(١) في بعض هذا نظر .

(٢) يوسف : ٦٨ .

وعند أهل الكتاب : أنه بعث معهم هـدية للعزيز من الفستق واللوز والصنوبر والبطم والعسل وأخذوا الدراهم الأولى وعوضًا آخر .

ويقال : إنه أخـبر أخاه(ق٣٧/ب) سرا ، ثم احـتال عليهم بـجعل الصواع في رحل أخيه ، وكل ما فعلـه من أمر الله في ذلك ؛ لأنه يترتب على ذلك مصلحة ، من قدوم أبيه وقومه .

وقوله : ﴿ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ ﴾(١) قيـل : كان يوسف سرق صنم جده أبي أمه فكسره .

وقيل : كانت عـمته علقت عليـه بين ثيابه منطقـة ، وهو صغير ، كانت لإسـحاق ، ثم استخـرجوها من بين ثـيابه وهو لا يشـعر ، وإنما أرادت أن يكون عندها ؛ لمحبتها له .

وقيل : كان يأخذ الطعام من البيت فيطعمه الفقراء .

وقيل : إنه أجابـهم بقوله : ﴿ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ﴾(١) سرا لا جهرًا ، فترقڤوا له ، فصمم .

فقال كبيرهم ، وهو روبيـل : لم يبق لي وجه أقابل أبي ، ولا أزال مقيمًا حتـى يأذن لي ، أو يقدر الله بردّ أخي . فلما رجـعوا إلى أبيهم ؛ قال : ﴿ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ﴾(٢) ، يعني : يوسف وبنيامين.

---

(١) يوسف : ٧٧ .

(٢) يوسف : ٨٣ .

وقال عبد الرزاق ، أنا إسرائيل ، عن أبي سنان ، عن عبد الله بن أبي الهذيل ، سمعت ابن عباس يقول : « ولما فصلت العير ، هاجت ريح، فجاءت يعقوب بريح قميص يوسف ، فوجد ريحه من مسيرة ثمانية أيام» . وكذا رواه الثوري وشعبة ، عن أبي سنان به .

وقال الحسن وابن جريج : كان بينهما مسيرة ثمانين فرسخًا ، وكان له [عنه][1] منذ فارقه ثمانون سنة ، وقوله : ﴿ لَوْلا أَن تُفَنِّدُونِ ﴾[2] أي تقولون : إنما قلت هذا من الفند ، وهو الخرف وكبر السِّن .

قال ابن عباس وجماعة : تفندون أي : تسفهون .

﴿ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً ﴾[3] أي: بمجرد ما جاء، ألقى القميص على وجه يعقوب ، فرجع من فوره بصيراً.

و﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾[3] . أي : أعلم أن سيجتمع شملي بيوسف ،وستقر عيني به ، وسيريني فيه ما يسرني .

وقال ابن مسعود وجماعة : أرجأهم بالاستغفار إلى السحر .

وقال ابن جرير : حدثني أبو السائب ، ثنا ابن إدريس ، سمعت

(١) كذا في الأصل .
(٢) يوسف : ٩٤ .
(٣) يوسف : ٩٦ .

عبد الرحمن بن إسحاق يذكر عن محارب بن دثار ، قال : « كان عمر يأتي المسجد فسمع إنسانًا يقول : اللهم ، دعوتني فأجبت ،وأمرتني فأطعت ، وهذا السحَر ، فاغفر لي . قال : فاستمع الصوت ، فإذا هو من دار عبد الله بن مسعود . فسئل عبد الله عن ذلك فقال : إن يعقوب أخر بنيه إلى السحَر » .

رجاله موثقون ، إلا أن فيه انقطاعًا .

وقيل : إنه أرجأ بنيه إلى ليلة الجمعة .

رواه ابن جرير من طريق الوليد بن مسلم ، عن ابن جريج ، أنه أخبره ، عن عطاء وعكرمة ، عن ابن عباس ،عن رسول الله ﷺ ﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ﴾[1] « يقول : حتى تأتي ليلة الجمعة ، وهو قول يعقوب لبنيه »[2] .

قلت : هو طرف من حديث دعاء الحفظ ، وهو طويل .

أخرجه الترمذي ، ورجاله ثقات ، لكنه من عنعنة ابن جريج ،وفيه ألفاظ غريبة جدا .

وقيل : كانت مدة غيبة يوسف ثمانين سنة ، عن الحسن . وقيل :

---

(١) يوسف : ٩٨ .

(٢) قال الحافظ في البداية : وهذا غريب من هذا الوجه ، وفي رفعه نظر، والأشبه أن يكون موقوفًا على ابن عباس رضي الله عنهما .

خمسًا وثلاثين ، عن قتادة . وقيل : ثماني عشرة ، عن ابن إسحاق . وقيل : أربعين ، كذا يقول أهل الكتاب . والتقريب يقتضي أنها كذلك ؛ لأنه ألقي في البئر وهو شاب دون العشرة ، وراودته المرأة(ق٣٨/١) وهو ابن سبع عشرة سنة ، قاله غير واحد . وقيل : أكثر ، كما تقدم ، ولبث في السجن سبع سنين، ثم جاءت سني الخصب ، وهي سبع ثم جاءت سني الجدب ، ففي الأولى جاء إخوته أو في الثانية ، وفي التي تليها جاءوا مرة ثانية . وفي الثالثة تعرف إليهم وأمرهم بإحضار أهلهم ، فجاءوا كلهم .

وقيل : تلقاهم وآواهم في الخيام ، فلما اقتربوا من مصر ، قال : ﴿ادْخُلُوا﴾[1] أي : اسكنوا أو أقيموا .

وعند أهل الكتاب : أن يعقوب لما وصل إلى أرض جاشر - وهي بلبيس - خرج يوسف لتلقيه في أمر كان بعث قبله ابنه يهوذا مبشرًا بقدومه ، وأن ملك مصر أطلق أرض جاشر يقيمون بها .

وذكر المفسرون : أن الملك ركب ؛ خدمة ليوسف ، وتعظيمًا لنبي الله يعقوب والتقى بهم ، وأن يعقوب دعا للملك .

وكان جملة من قدم مع يعقوب ثلاثة وستين نفسًا ، ذكره أبو إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن أبيه .

وقال موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب ، عن عبد الله بن

---

(١) يوسف : ٩٩ .

شداد : ثلاثة وثمانين . وفي التوراة : سبعين .

وعن مسروق : دخلوا وهم ثلثمائة وتسعون .

ولكن الجمع بأن الأول أولاده وأبناؤهم ، والثاني : مع بناتهم ، والثالث : مع النساء والأتباع .

قوله : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ ﴾[1] يقتضي بقاء أمه إلى ذلك الوقت ، وقيل: المراد خالته ،وهي بمنزلة أمه ، هذا قول أهل الكتاب .

وقال بعض المفسرين : أحياها الله بعد موتها ، والأول أظهر ؛ لأنه المناسب لقوله في أول أمره في رؤياه: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾[2] فإن المراد بالشمس أبوه ، والقمر أمه . وهذا يقتضي الحقيقة من كل جهة ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾[1] أي : السرير . ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾[1] لتأويل رؤياه . وكان ذلك معمولا به في الشرائع ، حتى نسخ في هذه الشريعة .

وعند أهل الكتاب : أن يوسف باع لأهل مصر من الطعام الذي كان تحت يده بأموالهم كلها ، بالذهب ، والفضة ، والعقار ، والأثاث وما يملكونه ، حتى باعهم بأنفسهم ، فصاروا أرقاء ، ثم أطلق لهم أرضهم وأعتق رقابهم ، على أن يعملوا ويكون خمس ما يشتغلون من زرعهم

---

(١) يوسف : ١٠٠ .
(٢) يوسف : ٤ .

وثمارهم للملك ، فصار ذلك سُنة في مصر .

وحكى الثعلبي : أنه كان لا يشبع في تلك السنين ؛ حتى لا ينسى الجيعان . وأنه إنما كان يأكل أكلة واحدة نصف النهار ، ولما رأى يوسف أن شمله قد اجتمع ، ونعمته قد تمت ، عرف أن هذه الدار لا يستقر بها قرار ، وأن كل شيء فيها أو عليها فان ، وما بعد التمام إلا النقصان ، فأثنى على ربِّه ، واعترف بنعمته وفضله ، وسأله أن يتوفاه على الإسلام ، ويلحقه بعباده الصالحين .

ويروى عن ابن عباس : « ما تمنى نبي الموت قط قبل يوسف » . وفي هذه الشريعة نهي عن تمني الموت إلا عند الفتنة ، فأما في حال الرفاهية فلا .

وذكر ابن إسحاق : أن يعقوب أقام بديار مصر سبع عشرة سنة ثم توفي ، وأوصى إلى يوسف أن يدفنه عند إبراهيم ، فسيره إلى الشام فدفنه عند المغارة .

وذكر أهل الكتاب : أنه أوصى بنيه واحدًا واحدًا ، وأخبرهم بما يكون من أمرهم ، وبشر يهوذا بخروج نبي عظيم من نسله تطيعه الشعوب ، وقيل : إن أهل مصر بكوا عليه سبعين يومًا .

(ق٣٨/ب) ولما حضرت يوسف الوفاة ، أوصى أن يُحْمَل معهم إذا خرجوا من مصر ، فيدفن عند آبائه ، فحنطوه ووضعوه في تابوت ،

فكان بمصر حتى أخرجه موسى معه ، كما سيأتي .

ويقال : إنه مات وهو ابن مائة وعشر سنين .

وقيل : وعشرين .



قصة أيوب

قال ابن إسحاق : هو أيوب بن موص بن رزاح بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم ، وقيل : إن موص هو ابن رغويل . وقيل غير ذلك في نسبه كما سيأتي بعد للكلبي .

وحكى ابن عساكر : أن أمه بنت لوط ، وقيل كان أبوه ممن آمن بإبراهيم ، والصحيح الأول ؛ لقوله في سورة الأنعام : ﴿ **وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ** - إلى قوله - **وَلُوطًا** ﴾[1] والضمير يعود على إبراهيم دون نوح ، على الصحيح . وامرأته قيل : ليا بنت أفرايم بن يوسف ، وقيل : بنت ميشا ابن يوسف . وقيل : هي ليا بنت يعقوب .

وروى ابن عساكر من طريق ابن الكلبي أنه قال :« أول نبي بعث إدريس ، ثم نوح ، ثم إبراهيم ، ثم إسماعيل ، ثم إسحاق ، ثم يعقوب، ثم يوسف ، ثم لوط ، ثم هود ، ثم صالح ، ثم شعيب ، ثم موسى وهارون ، ثم إلياس ، ثم اليسع ، ثم عرني بن سويلخ ، ثم أفرايم بن يوسف ، ثم يونس بن متى ، ثم أيوب بن زراح بن موص بن ليفور بن العيص بن إسحاق . ثم ذكر من بعدهم .

ولا يصح ما قال ، ولا سيما في هود وصالح .

---

(١) الأنعام : ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ .

وذكر أهل التفسير : أن أيوب كان كثير المال بأرض الثنية من أرض حوران ، وكان له أولاد ، وأهل كثير فسلب ذلك كله وابتلي في جسده كله سوى قلبه ولسانه بأنواع من البلاء ، وهو في ذلك صابر محتسب ذاكرًا لله ، وطال به ذلك حتى عافه الجليس والأنيس ، وأخرج فألقي على مزبلة ، ولم يبق أحد يقوم به سوى زوجته ، وبلغ من أمرها أن كانت تخدم بالأجرة لتطعمه ، وهي صابرة على ذلك ، حتى ضرب المثل بصبر أيوب ، ثم تجنبها الناس ؛ خشية العدوى ، فباعت لبعض بنات الأشراف إحدى ضفيرتيها بطعام طيب ، فأحضرته له فأكل ، ثم باعت الأخرى من الغد بطعام أطيب منه ، وأحضرته له ، فحلف أن لا يأكله حتى تخبره من أين لها ذلك الطعام ، فكشفت عن رأسها ، فلما رأى رأسها محلوقًا ، قال : رَبِّ مسَّنِيَ الضُّرُّ [1] الآية .

وقد ذكر وهب بن منبه قصة مطولة ومحصلتها ما ذكر.

وعن مجاهد : أن أيوب كان أول من أصابه الجدري .

واختلف في مدة بلائه ، فقيل : ثلاث سنين ،عن وهب بن منبه . وقيل : سبع ، عن الحسن وقتادة ، وقيل : ثماني عشرة سنة ، عن حميد .

قلت : وسيأتي مرفوعًا عن أنس .

(١) الآية في سورة الأنبياء : ٨٣ وفيها : ﴿ وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين ﴾ .

قيل : أن امرأته قالت له : ألا تدعو الـله ليفرج عنك ؟ فقال : قد عشت سبعين سنة صحيحًا ، فهل قليل لله أن أصبر سبع سنين ؟ .

وروى ابن أبي حاتم من طـريق جرير بن حازم ، عن عبـد الله بن عبيـد بن عمير قال : كـان لأيوب أخوان ، فجاءا يومًـا فلم يستطـيعا أن يدنوا منه من ريحه ، فقاما من بعيد .

فقال أحدهما لصاحبه : لو علم الله من أيوب خيرًا ما ابتلاه بهذا ، فسمعهما أيوب ، فجزع من قوله ، ثم قال : اللهم إن كنت تعلم أني لم أبت قط شبـعان وأنا أعلم مكان جائـع ؛ فصدقني ، فصُدِّق مـن السماء وهما يسمعان ، ثم قال : اللهم إن كنت تعلم أني لم يكن لي قميصًا قط وأنا أعلم مكان عارٍ ؛ فصدقني . فصُـدِّق من السماء وهما يسمعان ، ثم قال : اللهم ، بعزتك لا أرفع رأسي حتـى تكشف عني . فما رفع رأسه حتى كُشِفَ عنه .

وروى ابن أبـي حاتم ، وابـن جرير ، وابـن حبان مـن طريـق ابن وهب، عن نـافع بن يزيد ، عن عـقيل ، عن الزهـري ، عن أنس ، أن نبي الله ﷺ [قـال : إن نبي الله][(١)] لبث في بلائه ثمان عشرة سنة، فرفضه الـقريب والبعيد إلا رجـلين من إخوانه ، وكانا مـن أخص إخوانه به، كانا يغدوان إليه ويروحان .

فقال أحدهما لـصاحبه : والله ، لقد أذنب أيوب ذنـبًا ما أذنبه أحد

---

(١) من البداية .

من العالمين .

فقال له صاحبه : وما ذاك ؟

قال : منذ ثماني عشرة سنة (ق ١/٣٩) لم يرحمه ربه فيكشف ما به.

فلما راحا إليه لم يصبر الرجل ، حتى ذكر ذلك له .

فقال أيوب : لا أدري ما تقول ، غير أن الله - عز وجل - يعلم أني كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله ، فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما ؛ كراهة أن يذكر الله إلا في حق .

قال : وكان يخرج في حاجته ، فإذا قضاها ؛ أمسكت امرأته بيده حتى يرجع ، فلما كان ذات يوم ، أبطأت عليه ، فأوحي إلى أيوب : ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ [١] الآية ، فاستبطأته فلقيته تنظر ، فأقبل عليها أذهب الله ما به من البلاء ، وهو على أحسن ما كان ، فلما رأته ؛ قالت : أي بارك الله فيك ، هل رأيت نبي الله هذا المبتلى ؟ فوالله ، على ذلك ما رأيت رجلا أشبه به منك إذ كان صحيحًا ، قال : فإني أنا هو .

قال : وكان له أندران [٢] ، أندر القمح ، وأندر الشعير ، فبعث الله سحابتين ، فلما كانت إحداهما على أندر القمح ؛ أفرغت فيه الذهب حتى فاض ، وأفرغت الأخرى في أندر الشعير الورِق ، حتى فاض» [٣] .

---

(٢) سورة ص : ٤٢ .

(١) الأندر : كدس القمح ، يعني الحب المحصود المجموع (ترتيب القاموس : ندر).

(٢) قال الحافظ ابن كثير في البداية : وهنا غريب رفعه جدا ، والأشبه أن يكون موقوفا.

وروى ابن أبي حاتم من طريق حماد ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس قال : ألبسه الله حُلَّةً من حلي الجنة، فتنحى أيوب وجلس في ناحية ، وجاءت امرأته فلم تعرفه .

فقالت : يا عبد الله ، هذا المبتلى الذي كان هنا ، لعل الكلاب ذهبت به أو الذئاب ، وجعلت تكلمه ساعة . فقال : ويحك أنا أيوب ، قد رد الله علي جسدي .

قال ابن عباس : ورد الله عليه ماله وولده بأعيناهم ومثلهم معهم ، وقال وهب بن منبه : أوحي إليه : قرب قربانًا ، واستغفر لأصحابك ؛ فإنهم قد عصوني فيك .

وروى أحمد والبخاري من نسخة همام ، عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ : « بينما أيوب يغتسل عريانًا خرَّ عليه جراد من ذهب ، فجعل أيوب يحثي في ثوبه ، فناداه ربه : ألم أكن أغنيتك عما ترى ؟ قال : بلى يا رب ، ولكن لا غنى لي عن بركتك » .

وقال ابن أبي حاتم ، ثنا أبو زرعة ، ثنا عمرو بن مرزوق ، ثنا همام ، عن قتادة ، عن النضر بن أنس ، عن بشير بن نهيك ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « لَمَّا عَافَى اللَّهُ أَيُّوبَ ؛ أُمْطِرَ عليهِ جرادًا من ذهبٍ فجعلَ يقبضُهَا في ثَوبِهِ ، فقِيلَ : يَا أَيُّوبُ أَلَمْ يكفِكَ مَا أعطيناكَ ؟ قالَ : أَيْ ربِّ ، ومن يستَغْنِي عن رحْمَتِكَ » .

وروى الضحاك ، عن ابـن عباس : رد الله شبابهـا إليها ، وزادها حتى ولدت ستة وعشرين ذكرًا .

وعاش بعد ذلـك سبعين سنة بأرض الـروم على دين الحنيـفية ، ثم غيَّروا بعده دين إبراهيم .

وقوله تـعالى : ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلا تَحْنَثْ ﴾ (١) قيل: لأنه حلف ليضربنها مائة ؛ لبيعها ضفائرها ، وقيل : لأن الشيطان، وصف لها دواءً لأيوب فأخبرته ، فعرف أنه الشيطان ، فحلف [ليضربنها مائة سوط] (٢) ، فلما عافـاه الله ؛ أفتاه أن يأخذ عثكالا ، يـجمع مائة شمراخ فيضربها به ضربة واحدة ، ويـكون هذا برا لحنثه ، وهذا فيه فرج ومخرج ، ولا سيما في حق الصابرة الصديقة امرأته .

وقد استعمل كثير من الفقهـاء هذه الرخصة ، وتوسع بسببها آخرون فوضعوا كتبًا في الحيل في الأيمان ، وأتوا فيه بالغرائب والعجائب .

وروي عن لـيث ، عـن مجاهـد : أن اللـه يحـتج علـى الأغنـياء بسليـمان، وعلى الأرقاء بيـوسف ، وعلى أهل البـلاء بأيوب . رواه ابن عساكر ،وقيل : عاش أيوب ثلاثًا وتسعين سنة . وقيل : أكثر من ذلك .



(١) ص : ٤٤ .

(٢) غير واضح في الأصل ، والمثبت في البداية .

(ق ٣٩/ب) قصة ذي الكفل

ذكر جماعة أنه بشر بن أيوب ، وقد ذكره الله تعالى في سورة «ص» وفي « الأنبياء ».

وروى ابن أبي حاتم ، وابن جرير من طريق داود بن أبي هند ، عن مجاهد أنه قال : « لما كبر اليسع ؛ قال :لو أني استخلفت رجلاً يعمل في حياتي حتى أنظر كيف يعمل ، فجمع الناس .

فقال : من يقبل لي بثلاث ؛ أستخلفه : يصوم النهار ، ويقوم الليل، ولا يغضب ؟ فقام رجل تزدريه العين ، فقال : أنا . فقال : أنت؟! قال: نعم . قال : فردهم ذلك اليوم ، وقال مثلها في اليوم الآخر، فسكت الناس ، فاستخلفه .

قال : فجعل إبليس يقول لشياطينه : عليكم بفلان ، فأعياهم ذلك، فقال : دعوني وإياه ، فأتاه في صورة شيخ كبير ، وأتاه حين أخذ مضجعه للقائلة ، وكان لا ينام إلا تلك القائلة ، فدق الباب . فقال : من هذا ؟

قال : شيخ كبير مظلوم ، ففتح الباب فجعل ، يقص عليه ويشغله بقصته حتى حضر الرواح ، وذهبت القائلة ، فانطلق الشيخ وراح أيوب[1] إلى مجلسه ، فجعل ينظر هل يراه ، فلا يراه ، إلى أن رجع إلى القائلة، فدق عليه الباب .

---

(١) كذا في الأصل ! وهو سبق قلم ، والقصة لذي الكفل .

فقال له : ألم أقل : إذا قعدت ؛ فائتني ؟

فقال : إنهم قالوا : نحن نعطيك حقك ، فلما غبت وجئت أتقاضاهم ؛ جحدوني .

قال : فانطلق ، فإذا رحت ؛ فائتني .

قال : ففاتته القائلة أيضًا ، فجعل ينتظره ويشق عليه النعاس ، في القائلة الأخرى .

فقال لبعض أهله : لا تدعن أحدًا يضرب هذا الباب حتى أنام ، فجاء إبليس فلم يجد مكانًا يدخل منه ، فتسور من كوة فدخل إليه ، فقام إلى الرجل ، فقال : ألم آمرك أن لا تدع أحدًا يدخل ؟

قال : أما من قبلي فلم تؤت .

قال : فقام إلى الباب ، فإذا هو مغلق ، فعرف أنه إبليس ، فقال : يا عدو الله .

قال : نعم ، أعييتني في كل شيء ، ففعلت ما ترى لأغضبك . فسماه الله ذا الكفل .

وروى ابن أبي حاتم من طريق ابن عباس ، نحو هذا ، وكذا روي عن عبد الله بن الحارث ، ومحمد بن قيس ، وابن حجيرة الأكبر ،

وغيرهم .

وروى ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن كنانة بن الأخنس، أنه سمع أبا موسى الأشعري على المنبر يقول: «ما كان ذو الكفل بنبي ، ولكن كان رجلاً صالحًا ، يصلي كل يوم مائة صلاة، فكفل له ذا الكفل من بعده كل يوم مائة صلاة، فسمي ذا الكفل».

ورواه عبد الرزاق عن معمر ، عن قتادة قال : قال أبو موسى : فذكره منقطعًا ، أخرجه ابن جرير .

وروى أحمد من طريق أبي جعفر الرازي عبد الله بن عبد الله ، عن سعد - غير منسوب - عن ابن عمر سمعت من رسول الله ﷺ حديثًا لو لم أسمعه مرة أو مرتين حتى عد سبع مرات ، ولكني سمعته أكثر من ذلك قال : « [كَانَ] [(١)] الكفل من بني إسرائيل ، لا يتورع من ذنب عمله، فأتته امرأة فأعطاها ستين دينارًا على أن يطأها ، فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته ارتعدت وبكت . فقال : ما يبكيك ، أكرهتك ؟

قالت : لا ، ولكن هذا عمل لم أعمله قط ، وإنما حملني عليه الحاجة .

(ق ٤٠/١) قال : : فتفعلين هذا ولم تفعليه قط ، ثم نزل .

فقال : اذهبي بالدنانير لك .

---

(١) في الأصل : ذا ، والمثبت من البداية .

ثم قال : والـله ، لا يعصـي اللهَ الكـفلُ أبدًا ، فمـات من ليلـته فأصبح مكتوبًا على بابه : قد غفر اللهُ للكفل » .

ورواه الترمـذي أيضًا ، وقال : حـسن ، ووقفه بـعضهم عـلى ابن عمر[1] .

قال أبو حاتم : لا أعـرف سعدًا إلا بحديث واحـد . وهذا إن كان محفوظًا ، فهو غير ذي الكفل النبي المذكور في القرآن . والله أعلم .



(١) وقال ابن كثير في البداية: حديث غريب جدا ، وفي إسناده نظر ، فإن سعدًا هذا قال أبو حاتم: لا أعرفه إلا بحديث واحد، ووثقه ابن حبان، ولم يرو عنه سوى عبد الله ابن عبد الله الرازي هذا .

قلت : وكأن ابن كثير يغمز الحديث بسـعد هذا ، وسعد فيه جهالة ، وقد قال الحافظ في التقريب : مجهول .

قصة أصحاب الرس

قال الله تعالى : ﴿ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴾ [1] .

وقال في « ق » : ﴿ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ وَعَادٌ ﴾ [2] .

روى ابن جريج ، عن ابن عباس قال : « أصحاب الرس أهل قرية من قرى ثمود » .

وروى ابن عساكر في ذكر بناء دمشق أنهم كانوا قبل عاد ، وكان لهم نبي يقال له : حنظلة بن صفوان فكذبوه وقتلوه ، فسار عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح بولده من الرس ، فنزل الأحقاف ، وأهلك الله أصحاب الرس .

وروى ابن أبي حاتم من طريق شبيب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : الرس بئر بأذربيجان .

وعن عكرمة قال : الرس بئر رسوا فيها نبيهم ،أي :دفنوه .

وقال ابن جريج ، عن عكرمة : هم أصحاب ياسين والظاهر ، خلافه ،واختار ابن جرير : أنهم أصحاب الأخدود ، وفيه نظر أيضًا .

وذكر النقاش في « تفسيره » ، أن أصحاب الرس كانت لهم بئر ترويهم وتكفي أرضهم ، وكان لهم ملك عادل السيرة ، فلما مات وجدوا

---

(1) الفرقان : ٣٨ .

(2) ق : ١٢ ، ١٣ .

عليـه ، فتصور لهـم الشيطان في صـورته ، وقال : إني لم أمـت ولكن تغيبت عنكم ، ففرحوا أشد الفرح ، فـضرب بينه وبينهم حجاب ،فبعث الله لهـم نبيًّا منهـم ، فأخبرهـم أن هذا شـيطان ، ونهاهم عـن عبادته ، وأخبرهم أنـه لا يموت أبدًا ، فصدق به أكـثرهم ، وافتتنـوا به وعبدوه ، فبعث الله لهم نبيًا منهم ، فأخبرهم أن هذا شيطان ، ونهاهم عن عبادته، وكان اسمه حنظلة بن سفيان ، فعدَوْا علـيه فقتلوه وألقوه في البئر ، فغار ماؤه وعـطشوا ، وانقـطعت ثمـارهم ، وخربت ديـارهم ، وهلكـوا عن آخرهم ، وسكن في مساكنهم الجن والوحوش .



قصة نبي لم يسم مع قومه ومنهم العبد الأسود

روى ابن جرير من طريق ابن إسحاق ، عن محمد بن كعب القرظي، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ أولَ النَّاسِ رجلاً يدخل الجنة يوم القيامَةِ العبد الأسودُ ، وذلِكَ أن اللَّهَ بعثَ نبيا إلى أهل قرية ، فلم يؤمن به من أهلها إلا عبد أسود ، ثم إن أَهلَ القَريةِ غدوا على ذلِكَ النَّبي فحفروا لَه بئرًا وأَلْقوه فيها ، ثم أطبقُوا عليه ، بِحَجرٍ فكانَ ذلِكَ العبد يذهب فيحتطب على ظهرِه ، ثم يبيعُه ويشْتَري بِهِ طعَامًا وشرابًا ، ثم يأتي إلى البئر فيرفع الصخرة ، ويعينهُ اللَّهُ عليها ، فيدلي له طعامَهُ وشَرَابَهُ ، ثم إنَّهُ ذَهبَ يومًا يحتطب ، فَلَمَّا أرادَ أن يحمل حزْمتهُ وجد سِنة فاضطجع فنام ، فضرب الله على أذنه سبع سِنينَ نائمًا ، ثم إنه هب فتمطى وتحول لشقه الأيمن ، فَضَرَبَ اللَّهُ على أذُنه سبْعًا أخرى ، ثم إنه هب واحتمل حزمته ولا يحسب إلا أَنَّهُ نَامَ ساعةً مِنْ نَهارٍ ، فجاءَ إِلَى القَرْيَة ، فبَاعَ حزْمَتَهُ ، ثم اشْتَرى طعَامًا وشَرابًا كما كان يصنع ، ثم ذَهَبَ (ق ٤٠/ب) إلى الحفرةِ فالتمَسَ النَّبيَّ فَلَمْ يَجِدهُ ، وَقَدْ كَانَ بدا لِقَوْمِهِ فاستَخْرَجوهُ وآمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوه » .

قال : «وكان نبيهم يسأل عن ذلك الأسود ، ما فعل ؟ فلا يدرون ،

حتى قبض الله ذلك النبي ، وأهب الأسود من نومه بعد ذلك» .

قال : فقال رسول الله ﷺ : « إِنَّ ذَلِكَ الأسود لأول مَن يدخُل الجَنَّة» .

وهذا مرسل .

قال ابن جرير : لا يجوز أن يحمل هذا على أنهم أصحاب الرس ؛ لأن الله أخبر أنه أهلك أهل الرس ، وهؤلاء قد بدا لهم فآمنوا .



قصة أصحاب القرية

أنزل الله فيها أوائل سورة « يس » واشتهر عند جمع من الناس أنها إنطاكـية ، وروي ذلك عن ابن عبـاس ، وبريدة ، وعكرمـة والزهري ، وكعب الأحبار ، ووهب بن منبه .

قال ابن إســحاق فيما بلـغه عن ابن عباس ، وكـعب ، ووهب : إنهم قالوا : كان لهـا ملك يسمى أنخيس ، وكان يعبـد الأصنام ، فبعث الله إليهم ثلاثة من الرسل : صادق ، وصدوق ، وشلوم ، فكذبوهم .

وزعم قتادة : أنهم كانوا رسلاً مـن المسيح ، وكذا رواه ابن جريج، عن وهب بن سليمان ، عن شعيب الجبائي [(١)] ولكنه قال : اسم الرسولين الأولين شمعون ويوحنا ، واسم الثالث بولص ، والقرية إنطاكية.

وكان أهل إنطاكيـة أول مدينة آمنوا بالمسيح ، بعث إلـيهم ثلاثة من الحواريين، فالظـاهر أنها قصة غير هـذه ، ويحتمل أن أهل إنطاكـية كانوا قديمًا كذبـوا الرسل فأهلكـهم الله ثم عمـرت بعد ذلك ، فلمـا كان زمن المسيح آمنوا برسله .

وظـاهر الـقرآن أن الـرسل الـثلاثـة كـانوا مـن عنـد اللـه ،قولـه

---

(١) ذكره ابن حـبان في الثقات ، وقـال : كان قد قرأ الكـتب ، وترجم له الذهـبي في الميزان ، وقال : إخباري متروك .

تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾ (١) قال الثوري ، عن عاصم الأحول ، عن أبي مجلز ، اسم هذا الرجل : حبيب بن مري ، قيل : كان تاجرًا ، وقيل : حبالاً ، وقيل : إسكافًا ، وقيل : قصارًا ، وقيل : كان يتعبد في غار هناك .

وعن ابن عباس : كان حبيب نجارًا ، وكان قد أسرع فيه الجذام ، وذكر أنه قتله قومه .

وروى ابن أبي حاتم ، عن ابن عباس قال : نصح حبيب قومه في حياته فقال : ﴿ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾(٢) وبعد مماته فقال : ﴿ يَالَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴾ (٣) .

وروى ابن إسحاق قصته عن بعض أصحابه ، عن ابن مسعود في قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ (٤) .

قال : ما احتجنا في الانتقام منهم إلى إنزال جند من السماء .

وقال قتادة : ما عاتب الله قومه بعد قتله ، إن كانت إلا صيحة .

وقال مجاهد : وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ ، أي : رسالة أخرى .

---

(١) يس : ٢٨ .وجاء في الأصل ما نصه : ﴿ وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى﴾ والمثبت من البداية .
(٢) يس : ٢٨ .وجاء في الأصل ما نصه : ﴿ وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى﴾ والمثبت من البداية .
(٣) يس : ٢٦ .
(٤) يس : ٢٨ .

قال المفسرون : بعث الله إليهم جبريل ، فأخذ بعضادتي الباب [1] الذي لبلدهم ، ثم صاح بهم صيحة ، فإذا هم خامدون ، خمدت أصواتهم وسكنت حركاتهم ، ولم يبق منهم عين تطرف .

وروى الطبراني من طريق حسين الأشقر ، عن ابن عيينة، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ قال : «السبقُ ثَلاثَة : السابِقُ إِلَى مُوسَى : يوشع ، والسَّابِقُ إِلى عِيسى : صاحب يس، والسَّابِقُ إِلَى مُحَمد : عَلي » .

تفرد به حسين - وهو شيعي - والحديث لا يثبت [2] .



(١) عضَادَتَا الباب : الخشبتان المنصوبتان عن يمين الداخل منه وشماله . (اللسان : عضد).

(٢) قال الحافظ ابن كثير في البداية : الحديث لا يثبت لأن حسين هذا متروك شيعي من الغلاة ، وتفرده بهذا يدل على ضعفه بالكلية والله أعلم .

قصة يونس عليه السلام

(ق ١/٤١)(١) ورواه ابن أبي حاتم من طريق أبي خالد ، عن كثير بن زيد، عن المطلب بن حنطب ، قال أبو خالد : أحسبه عن مصعب يعني: ابن سعد ، عن سعد ، قال : قال رسول الله ﷺ : « من دعا بدعاء يونس استجيب له » .

وروى أحمد من طريق إبراهيم بن محمد بن سعد ، حدثني أبي ، عن أبيه ، وهو ابن أبي وقاص قال: مررت بعثمان بن عفان في المسجد ، فسلمت عليه ، فملأ عينيه مني ، ثم لم يردد علي السلام ، فأتيت عمر ابن الخطاب ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، هل حدث في الإسلام شيء ؟ قال : لا ، وماذاك ؟ قلت : إني مررت بعثمان ، آنفًا في المسجد ، فسلمت عليه ، فملأ عينيه مني ، ثم لم يرد علي السلام . قال : فأرسل إلى عثمان فدعاه . فقال : ما منعك أن لا تكون رددت على أخيك السلام ؟ قال : ما فعلت . قال سعد : بلى حتى حلف وحلفت . قال : ثم إن عثمان ذكر ، فقال : بلى أستغفر الله وأتوب إليه ، إنك مررت بي آنفًا ، وأنا أحدث نفسي كلمة سمعتها من رسول الله ﷺ ، والله ما ذكرتها قط إلا تغشى بصري وقلبي غشاوة .

قال سعد : فأنا أنبئك بها ، إن رسول الله ﷺ ذكر لنا أول

---

(١) كذا ! وقد سقط في الأصل أوله .

دعوة، ثم جاء أعرابي ، فشغل حتى قام برسول الله ﷺ فاتبعته ، فلما أشفقت أن يسبقني إلى منزله ؛ ضربت بقدمي الأرض ، فالتفت إلي رسول الله .

فقال : من هذا ، أبو إسحاق ؟ قلت : نعم ، يا رسول الله . قال: فمه ؟ قلت : لا والله ، إلا أنك ذكرت لنا أول دعوة ، ثم جاء هذا الأعرابي فشغلك . قال : « نعم ، دعوة ذي النون إذ هو في بطن الحوت : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، فإنه لم يدع بها مسلم بشيء قط إلا استجاب له » .

رواه عن إسماعيل بن عمر ، عن يونس بن أبي إسحاق ، عنه بتمامه ، ورجاله ثقات ، وأخرج الترمذي والنسائي من حديث إبراهيم أصله .

وعن أبي وائل ، عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يَنبغي لعبد أن يقول : أنا خير من يُونُسَ بن مَتَّى » .

رواه أحمد والبخاري .

وعن أبي العالية ، عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ قال : « ما ينبَغِي لَعبد أن يَقُول : أنا خَير من يُونسَ بن مَتَّى » ونسبه إلى أبيه .

رواه أحمد والشيخان وأبو داود من حديث شعبة ، عن قتادة عنه .

ورواه أحمد من طريق يوسف بن مهران ، عن ابن عباس دون

قوله: ونسبه إلى أبيه .

ورواه الطبراني من طريق أبي يحيى القتات ، عن مجاهد ، عن ابن عباس به .

ورواه الشيخان من طريق سعد بن إبراهيم ، سمعت حميد بن عبدالرحمن ، عن أبي هريرة مثله مرفوعًا .

وروى البخاري من طريق الأعرج ، عن أبي هريرة في قصة المسلم الذي لطم اليهودي حين قال : لا ، والذي اصطفى موسى على العالمين. وفي آخره : ولا أقول : إن أحدًا خير من يونس بن متى.

وروي عن [ ] [1] : « لا تفضلوني على الأنبياء ، ولا على يونس بن متى » .

وهذا كله من باب التواضع من نبينا ﷺ . والله أعلم .



(١) بياض في الأصل .

(ق ٤١ /ب) قصة موسى وهارون عليهما السلام

موسى بـن عمران بن لاهـث بن عازر بن لاوي بـن يعقوب عـليه السلام .

قص الله - تعالى - قصة بني إسـرائيل مع فرعون ، وأنه كان يذبح أبناءهم ويستحـي نساءهم ، فقيل : كان السبب في ذلـك أن بني إسرائيل كانوا يتدارسـون بينهم فيما يأثـرونه عن إبراهيم الخليل ، أنـه سيخرج من ذريته غلام يكـون هلاك [ملك] [1] مصر على يـديه ، وكان ذلك حين جرى على سارة من الجبار بمصر من إرادته إياهـا على نفسها وعصمها الله منه ، وكانت هـذه البشارة مشهورة بمصـر ، فبلغت فرعون ، فأمـر بقتل صبيان بني إسرائيل ؛ حذرًا من وجود هذا الغلام .

وروى السدي بأسانيده المعروفة : أن فرعون مصر رأى في منامه كأن نارًا أقبلت من بيت المقدس ، فـأحرقت دور مصر وجميع القبط ولم تضر بني إسرائيل ، فلما استيقظ هالـه ذلك ، وجمع الكهنة والسحرة وسألهم عن ذلك ؟

فقالوا : هذا غـلام يولد من هؤلاء ، يكون سبب هـلاك مصر على يديه .

---

(١) من البداية .

قال : فلهذا أمر بقتل الغلمان وترك النسوان .

وذكر غير واحد من المفسرين : أن القبط شكوا إلى فرعون قلة بني إسرائيل بسبب قتل ولدانهم الذكور ، وخشي أن تتفانى الكبار مع قتل الصغار ، فيرجع الكد والتعب عليهم ، فأذن لهم أن يقتلوا الأبناء عامًا ، وأن يتركوا عامًا ، فولد هارون في عام المسامحة ، وولد موسى في عام قتلهم ، فضاقت أمه ذرعًا بذلك ، فأوحي إليها لما وضعته ، أن اتخذت تابوتًا فربطته في حبل ، فكانت دارها متاخمة للنيل ، وكانت ترضعه ، فإذا خشيت من أحد ؛ وضعته في التابوت ، وأرسلته في البحر ، وأمسكت ،طرف الحبل عندها ، فإذا ذهبوا استرجعته إليها به .

قال السهيلي : اسم أم موسى : أيارخا . وقيل : أنارخت .

فأرسلته ذات يوم وذهلت أن تربط الحبل عندها ، فذهب مع النيل، فمر على دار فرعون .

فذكر المفسرون : أن جواري القصر التقطنه من البحر فلم يتجاسرن على فتح التابوت حتى وضعته بين يدي امرأة فرعون، وهي آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان .

وقيل : كانت من بني إسرائيل من سبط موسى .

وحكى السهيلي : أنه كانت عمة موسى حقيقة ، وسيأتي في قصة مريم أنهما سيكونان من أزواج رسول الله ﷺ في الجنة .

قالوا : ففتحت الباب وكشفت الحجاب ، فرأت وجهه يتلألأ بتلك الأنوار ، فلما وقع نظرها عليه ؛ أحبته حبًا شديدًا ، فلما جاء فرعون ، قال : ما هذا ؟ واستدعى بالذابحين ، فاستوهبته منه ودفعت عنه وقالت: ﴿ قُرَّةُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ﴾ [1] .

فقال فرعون : أما لك فنعم ، وأما لي فلا .

قالوا : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا ﴾ [2] من أمور الدنيا إلا من ذكر موسى ، وأرسلت أخته تتحسس عن خبره (ق ٤٢/أ) فجعلت تنظر إليه عن جُنبٍ .

قال مجاهد : أي عن بعد ، وتريهم أنها لا تعرفه ، وذلك أنه لما استقر موسى بدار فرعون ، لم يقبل ثدي أحد ، واجتهدوا على تغذيته بكل ممكن ؛ فلم يفعل ، فأرسلوا إلى القوابل والنساء ، ثم أرسلوه إلى السوق ، لعل أن يجدوا من توافق رضاعته ، فبصرت به أخته إذ ذاك ، فقالت لهم : ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾ [3] .

فقالوا لها : وما يدريك بنصيحتهم ؟

قالت : رجاء منفعه الملك . فذهبوا معها إلى منزلها ، فأخذته أمه،

---

(١) القصص : ٩ .
(٢) القصص : ١٠ .
(٣) القصص : ١٢ .

فلما وضعت ثديها في فمه التقمه وأخذ يمتص ، ففرحوا بذلك ، وذهب البشير إلى آسية ، فاستدعتها إلى منزلها ، فأتت فأرسلته معها ، وأجرت عليه النفقات ، فجمع الله شمله بها .

ولما كبر موسى ؛ كان في غاية العزة ، وكان بنو إسرائيل بسببه في غاية العزة ، فدخل المدينة يومًا ، فوجد رجلين يقتتلان ، أحدهما قبطي، والآخر إسرائيلي ، فاستغاث به الإسرائيلي ، فوكز موسى القبطي فقتله.

قال مجاهد : طعنه بجميع كفه .

وقال قتادة : بعصا كانت معه فمات .

قال ابن عباس وسعيد بن جبير ، وعكرمة : كان ذلك نصف النهار. وقيل : بين العشاءين ، وكان ذلك القبطي مشركًا ، ولم يرد موسى قتله ، وإنما أراد زجره وردعه ، وندم موسى على ما وقع ، فقال: ﴿ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ [1] ، ﴿فَأَصْبَحَ﴾ في اليوم الثاني ، ﴿ خَائِفًا ﴾ ، ﴿ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ ﴾ ، ﴿ يَسْتَصْرِخُهُ ﴾ أيضًا .أي يستغيثه على آخر قد قاتله ، فعنفه موسى ولامه على كثرة شره.

فقال له موسى : ﴿ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴾[2] ، ثم أراد أن يبطش بذلك القبطي الذي هو عدو موسى فيردعه عنه ،فلما عزم على ذلك وأقبل على

---

(١) القصص : ١٧ .
(٢) القصص : ١٨ .

القبطي، قال له: ﴿ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ ﴾[1] .
وإنما قال ذلك ؛ ظنا منه ، لقيام القرائن عنده بذلك .

وقيل : إنما هذا كلام الإسرائيلي ، أنه لما رأى موسى مقبلاً إلى القبطي ؛ ظن أنه جاء إليه ، فقال له ذلك ، فذهب القبطي فاستعدى على موسى إلى فرعون ، فأرسل في طلبه ، فسبق إليه رجل من طريق أقرب، وجاءه من أقصى المدينة ساعيا ، فقال : ﴿ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾[2] .

فخرج من مصر من فوره على وجهه ، لا يهتدي إلى ما يسلكه ، إلى أن وفقه الله إلى طريق مدين ، ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ ﴾[3] وكانت بئرًا يستقون منها .

ومدين هي المدينة التي أهلك الله فيها قوم شعيب ، وكان هلاكهم قبل موسى ، في أحد القولين ، فوجد امرأتين تذودان غنمهما ، حتى لا تختلط بغنم الناس ، وكان الرِّعَاء إذا فرغوا من وردهم ؛ وضعوا على فم البئر صخرة عظيمة ، فتجيء المرأتان فتسقيان غنمهما في فضلة أغنام الناس ، فجاء موسى ، لما رآهما ، فرفع تلك الصخرة وحده ، ثم استقى لهما ، وسقى غنمهما ، ثم رده كما كان .

---

(١) القصص : ١٩ .
(٢) القصص : ٢٠ .
(٣) القصص : ٢٣ .

قال عُـمر : كان لا يـرفعه إلا عشـرة ، ثم توجـه إلى ظل شـجرة خضراء ترف[1]، قاله ابن مسعود .

قال ابن عباس : سار من مصر إلـى مدين لم يأكل إلا البقل وورق الشجر ، وكان حافيًا ، فسقطـت نعلا قدميه من الحفاء ، وجلس (ق٤٢/ب) في الظـل ، وهو صفوة الـله من خلـقه ، وإن بطنـه للاصق بظـهره من الجوع، فذهبت المرأتان إلى أبيهما ، فاستبطأ رجوعهما ، فأخبرتاه ، فأمر إحداهما أن تذهب إليه ، فجاءته تمـشي على استحياء، فقالت : ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾[2] .

قيل : صرحـت بذلك : لئلا يتوهـم في كلامها ريبة ، فـلما جاده وأخبره خبـره ، وما كان من أمره ؛ قال لـه الشيخ : ﴿ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [3] أي : خرجت من سلطانهم .

والمشهـور عن أكثر أهـل العلم : أن هـذا الشيخ شـعيب نبـي الله ﷺ ونص عليه الحسن البصري ، ومالك ، وورد فيه حديث مرفوع .

وصرح طائفة بأنه عاش عمرًا طـويلاً بعد هلاك قومه ، حتى أدركه موسى وتزوج بابنته .

---

(١) رَفَّ لَوْنُه يَـرِفُّ - بالكسر - رَفـا ورَفيفًا : بَرَقَ وتـلألأ . ورَفَّ النباتُ يَرِفُّ رَفِـيفًا إذا اهْتَزَّ وتَنَعَّمَ. قال أبو حنيفة: هو أن يتلألأ ويُشْرِقَ ماؤه. (اللسان : رفف).

(٢) القصص : ٢٥ .

(٣) القصص : ٢٥ .

وقيل : هو ابن أخي شعيب .

وقيل : ابن عمه .

وقيل : رجل مؤمن من قوم شعيب ، قيل : اسمه ينزون ، وكذا في كتب أهل الكتاب ، وأنه كان كاهن مدين وعالمها .

وعن ابن عباس ، وأبي عبيدة بن عبد الله : هو ابن أخي شعيب صاحب مدين .

فلما استقر موسى عنده، قالت إحدى الابنتين لأبيها : ﴿ يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ﴾ [1] الآية .

فقال لها أبوها : وما علمك بأنه قوي أمين ؟

قالت : إنه رفع صخرة لا يطيق رفعها إلا عشرة ، وإنه لما جئت معه تقدمت أمامه ؛ فقال : كوني من ورائي ، فإذا اختلفت الطريق فاحذفي بحصاة .

روي ذلك عن عمر ، وابن عباس ، وشريح القاضي ، وقتادة ، وغيرهم .

وقال ابن مسعود : أفرس الناس ثلاثة : صاحب يوسف ، حين قال لامرأته : ﴿ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ ﴾ ، وصاحبة موسى حين قالت : ﴿ يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ﴾ وأبو بكر حين استخلف عمر .

---

(١) القصص: ٢٦ .

وروى ابن ماجة عن عتبة بن الندر يقول : كنا عند رسول الله ﷺ فقرأ ﴿ طسم ﴾ ، حتى إذا بلغ قصة موسى ، آجر نفسه ثماني سنين أو عشرة ، على عفة فرجه ، وطعام بطنه » .

في إسناده مسلمة بن علي الخشني ، رواه عن سعيد بن أبي أيوب، عن الحارث بن يزيد ، عن علي بن رباح ، عنه . ومسلمة ضعيف . ولكن رواه ابن أبي حاتم من وجه آخر عن ابن لهيعة ، عن الحارث بن يزيد كما سيأتي (١) .

وعن سعيد بن جبير قال :سألني يهودي من أهل الحيرة : أي الأجلين قضى موسى ؟

قلت : لا أدري ، حتى أقدم على حبر العرب فأسأله ، فقدمت فسألت ابن عباس ؛ فقال : قضى أكثرهما وأطيبهما ، إن رسول الله إذا قال فعل.

رواه البخاري .

وعن عكرمة ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : «سألت جبريل : أي الأجلين قضى موسى ؟ قال : أتمهما وأكملهما » .

رواه ابن أبي حاتم ، وابن جرير من طريق الحميدي ، عن ابن عيينة، حدثني إبراهيم بن أبي يحيى بن أبي يعقوب ، عن الحكم بن أبان، عنه.

---

(١) وفيه ابن لهيعة ، وهو ضعيف أيضًا .

ورواه البزار عن أحمد بن أبان ، عن ابن عيينة، عن إبراهيم بن أعين ، عن الحكم .

ورواه سنيد بن داود في « تفسيره » عن حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد أن رسول الله سأل عن ذلك جبريل ، فسأل إسرافيل ، فسأل إسرافيل الرب ، فقال : أوفاهما وأبرهما .

ورواه ابن أبي حاتم من طريق يوسف بن سرح مرسلاً .

وابن جرير من طريق محمد بن كعب ، أن رسول الله ﷺ سئل: أي الأجلين قضى موسى ؟ قال : « أوفاهما وأتمهما » .

وعن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال : « إن سئلت : أي الأجلين قضى موسى ؟ فقل : أوفاهما وأبرهما . قال : وإن سئلت : أي المرأتين تزوج ؟ (ق٤٣٤/١) فقيل [(١)] : الصغرى منهما » .

رواه البزار ، وابن أبي حاتم من حديث عويد بن أبي عمران الجوني- وهو ضعيف - عن أبيه .

وروى البزار ، وابن أبي حاتم أيضًا من حديث عتبة بن الندر أن رسول الله ﷺ قال : « إن موسى آجر نفسه بعفة فرجه وطعام بطنه ، فلما وفى الأجل ؛ قيل : يا رسول الله ، أي الأجلين ؟ قال : أبرهما وأوفاهما ، فلما أراد فراق شعيب ؛ أمر امرأته تسأل أباها أن يعطيها من

(١) كذا في الأصل ، والصواب : فقل ، كما في البداية ، وكما سبق في أول الحديث .

غنمه ما يعيشون به ، فأعطاها ما ولدت من ولد ذلك العام ، وكان غنمه سودًا حسانًا ، فانطلق موسى إلى عصاه ، فقسمها من طرفها ، ثم وضعها في أدنى الحوض ، ثم أوردها فسقاها ، ووقف موسى بإزاء الحوض، فلم تشرب منها شاة إلا ضرب جنبها .

قال : فوضعت كلها قوالب ألوان إلا واحدة أو ثنتين ليس فيها فشوش[(١)] ولا ضبوب[(٢)] ولا عزوز[(٣)] ولا سعول ، ولا كمشة تغوث الكف .

قال النبي ﷺ : « لو افتتحتم الشام ؛ وجدتم بقايا تلك الغنم، وهي السامرية » .

قال ابن لهيعة : الفشوش : السخب ، والضبوب : طويلة الضرع تجره، والعزوز : ضيقة السخب ، والسعول : الصغيرة الضرع كالحلمتين، والكمشة : التي لا يحكم الكف عنها ؛ لصغره[(٤)] .

وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن المثنى ، ثنا معاذ بن هشام ، ثنا أبي ، عن قتادة ، ثنا أنس بن مالك قال : لما دعا نبي الله موسى صاحبه إلى الأجل الذي كان بينهما ،قال له صاحبه : كل شاة ولدت على غير

---

(١) هي التي يَنْفَشُّ لَبَنُها من غير حَلْبٍ؛ أي يجري وذلك لسعة الإحليل. (النهاية : فشش).

(٢) الضَّبُوبُ : الضيِّقَة ثَقْب الإحليل . (النهاية : ضبب).

(٣) العَزُوزُ : الشاةُ البَكِيئَةُ القليلة اللبن الضيقة الإحليل . (النهاية : عزز).

(٤) قال الحافظ ابن كثير في البداية : في صحة هذا الحديث نظر ، وقد يكون موقوفًا كما قال ابن جرير ، ثم ساق الحديث .

لونها ، فـلك ولدها ، فعمد فوضـع حبالاً على الماء ، فلـما رأت الحبال فزعت ، فـجالت جولة فـولدت كلهـن بلقًا ، إلا شاة واحـدة ، فذهب بأولادهن ذلك العام .

رجاله ثقات [١] وقد تقدم نحوه عن يعقوب مع خاله .

وعن مجاهد : أن موسى أكمل عشرًا وعشرًا بعدها وسار بأهله .

قال غير واحد : إنه قصد زيارة أهله بمصر .

قال : واتفق أنه كان مسافرًا بأهله وماله في ليلة مظلمة ، فتاهوا عن الطريق فاشتد عليهم ، فرأى نارًا تأجج في جانب الطور الغربي عن يمينه.

فقال ﴿ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ﴾ [٢] وكأنه رآها دونهم ؛ لأنها نور في الحقيقة .

قال المفسرون : فلما قصد موسى إلى تلك النار ، وجدها تأجج في شجرة خضراء من العوسج [٣] ، فوقف متعجبًـا ؛ لاضطرام النار وازدياد خضرة الشجرة ، وكانت في لحف [٤] جبل غربي ، وكان موسـى مستقبل القبلة ، وهو عن يمينه ، فناداه ربه . بخلع نعليه تعظيمًا لتلك البقعة ، ثم كلمه الله تـعالى بما ذكر في القرآن في سورة طـه ، وفي القصص ، وفي

---

(١) كتب في الهامش : قلت : وأخرجه أبو يعلى عن عبيد الله بن معاذ. . . وعن موسى بن محمد بن حبان . . . عن معاذ بن هشام .

(٢) القصص : ٢٩ .

(٣) العَوْسَج : الشَّوْك . (ترتيب القاموس : عوج).

(٤) اللِّحْف - بالكسر - : أَصْلُ الجَبَل . (ترتيب القاموس).

النمل ، وفي النازعات ، وذكر قصة عصاه .

وعند أهل الكتاب : أنه سأل برهانًا عـلى صدقه عند من يكذبه من أهل مـصر ، فذكـر عصاه ويـده ، وأن عصاه صارت حـية عظـيمة لـها ضخامـة وأنياب وسرعـة كحركة الجان ، وهـو ضرب من الحيـات سريع الاضطراب، فولى موسي هاربًا .

فقال له ربه : ﴿ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ﴾ (١) وقيل : إنه وضع يده في كم مدرعته، ثم وضعها في وسط فمها ، وقيل : أخذ بذنبها ، فلما استمكن منها ، عادت كمـا كانت عصا ذات شعبتين ، ثم أدخل يـده في جيبه ثم أُمر بنـزعها ، فإذا هي تتـلألأ ضياء ﴿ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ أي : بـرص ولا بهق، وباقي الآيات التسـع هي المذكورة في « سُبْحَانَ » ووقع سياقها على الترتيب في الأعراف ، وهي غير العشر كلمات (ق٤٣/ب) ثم ذكر موسى قصة قتله للقبطي ، وسأل إرسال أخيه هارون معه ؛ معينًا له .

وقيل : إنـه كان أصابه في لسـانه لثغة بسـبب جمرة وضعهـا على لسانه، كما سيأتي في حديث الفتون ، فلذلك قال : ﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴾(٢) ، ولهذا قال فرعون عنه : ﴿ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ (٣) أي : يفصح عن مراده .

---

(١) القصص : ٣١ .

(٢) طه : ٢٧ .

(٣) الزخرف : ٥٢ .

وكان من وجاهة موسى عند ربه أن شفع لأخيه أن يوحى إليه فأوحي إليه . قال الله تعالى : ﴿ وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ (١) .

وعن عائشة أنها سمعت في هودجها رجلاً يقول لأناس وهم سائرون في طريق الحج : أي أخ أمن على أخيه ؟ فسكت القوم ، فقالت عائشة : هو موسى حين شفع في هارون ، فأوحى الله إليه ، قال الله تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيا ﴾ (٢) .

ثم توجه موسى إلى مصر واجتمع بأخيه هارون، ثم توجها إلى فرعون، فكان ما قص الله من خبرهما معه في الشعراء، والأعراف وطه.

وأقام موسى على فرعون من الحجج العقلية المعنوية ، ثم الحسية، وتضمن قوله تعالى على لسان فرعون : ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا ﴾ (٣) مخالفة ما عند أهل الكتاب : أن فرعون الذي بعث إليه غير فرعون الذي فر منه ، ولما قامت الحجة على فرعون وغُلب عن المناظرة عدل إلى استعمال القهر والغلبة .

فقال : ﴿ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ (٤) فأظهر موسى عند ذلك البرهانين ، فلما ألقى عصاه ، صارت ثعبانًا عظيم الشكل .

---

(١) الأحزاب : ٦٩ .

(٢) مريم : ٥٣ .

(٣) الشعراء : ١٨.

(٤) الشعراء : ٢٩.

قيل : إن فرعون لما شاهده مقبلاً نحوه ؛ أحدث أكثر من أربعين مرة في يوم ، وكان قبل ذلك لا يظهر منه ذلك ، فعدل فرعون لما أراد الله به من الشقاء عن الإيمان إلى أن قال : هذا سحر ، وأمر من جمع في مملكته من السحرة .

وذكر السدي : أنه لما قدم من مدين دخل على أمه وأخيه هارون وهما يتعشيان من طعام الطفشيل - وهو اللفت - فأكل معهم .

ثم قال : يا هارون ، إن الله أمرني وأمرك أن ندعو فرعون إلى عبادته ، فقم معي ، فقاما فأتيا باب فرعون ، فإذا هو مغلق .فقال موسى للبوابين والحجبة : أعلموه أن رسول الله بالباب .

فقيل : لم يأذن لهما إلا بعد زمان .

قال ابن إسحاق : بعد سنتين .

ويقال : إن موسى طرق الباب بعصاه فانزعج فرعون وأمر بإحضارهما.

وعند أهل الكتاب : أن الله أوحى إلى هارون أن يخرج إلى أخيه يتلقاه بالبرية عند جبل حوريب ، فلما تلقاه ؛ أخبره موسى بالأمر ، فدخلا مصر ، وجمعا شيوخ بني إسرائيل ، وذهبا إلى فرعون .

فقال : من هو الله ، لا أعرفه ، ولا أرسل بني إسرائيل . فأنكر الصانع ، فأقام عليه موسى الحجة ، فاحتج هو بأن القرون الأولى أشركوا

أيضًا .

فقال له موسى : علمهم عند الله ، ولا قدوة في الجهل .

ثم ذكر عظمة الرب ، كما قص في سورة « طه » ، ثم طلب فرعون من موسى أن يواعده في وقت معلوم ، ومكان معلوم ، فأجاب موسى لذلك ؛ لإظهار حجة الله بحضرة الناس ، (ق٤٤/١) فتواعدوا يوم الزينة - وهو يوم عيد من أعيادهم - فجمع فرعون من في مملكته من السحرة ، وكانوا في مصر لا يعدون كثرة ، فاجتمع منهم نحو ثلاثين ألفًا ، قاله محمد بن كعب ، وقيل : بضعة وثلاثين ، قاله السدي ، وقيل : سبعين ألفًا ، قاله أبو القاسم بن أبي بردة ، وقيل : تسعة عشر ألفًا، قاله أبو أمامة . وقيل : خمسة عشر ألفًا ، قاله ابن إسحاق ، وقيل: اثني عشر ألفًا ، قاله كعب الأحبار .

وعن ابن عباس : كانوا سبعين رجلاً ، رواه ابن أبي حاتم ، وقيل عنه أيضًا : كانوا أربعين غلامًا من بني إسرائيل أمرهم فرعون أن يذهبوا فيتعلموا السحر ، ولهذا قالوا : ﴿ وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ﴾(١) .

فخرج فرعون وجميع أهل مملكته ، وتقدم موسى إلى السحرة فوعظهم وزجرهم عن تعاطي السحر ، فتمادوا على غيهم ، وحضوا بعضهم بعضًا على التقدم في المقام ، لأن فرعون كان وعدهم ومنّاهم ، فلما توافقوا ؛ قال لهم : ألقوا أولاً ؛ فألقوا حبالهم وعصيّهم ، وكانوا

---

(١) طه : ٧٣ .

قد عمدوا إليها فأودعوها الزئبق وغيره من الآلات التي تضطرب بسببها تلك الحبال والعصي ، بحيث يتخيل الرائي أنها تسعى باختيارها ، فعند ذلك سحروا أعين الناس واسترهبوهم ، فأوجس موسى في نفسه خيفة . أي على الناس أن يفتنوا بسحرهم ومحالهم فلا يؤمنوا ، فأوحى الله في تلك الساعة : لا تَخَفْ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ فألقى عصاه ، فإذا هي قد صارت حية عظيمة الشكل ذات قوام وعنق عظيم وشكل مزعج ، بحيث أن الناس انحازوا عنها وهربوا عن مكانها ، فأقبلت هي على جميع ما ألقوه من الحبال والعصي فجعلت تلقفه واحدًا واحدًا في أسرع [ما][1] يكون ، والناس يتعجبون والسحرة باهتون قد تحققوا أن هذا الأمر لا يستطيعه السحرة ، وكشف الله عن قلوبهم الغفلة ؛ فخروا ساجدين .

فقالوا جهارًا : آمنا برب العالمين .

قال سعيد بن جبير ، وعكرمة ، وغيرهما : لما سجدوا ؛ رأوا منازلهم وقصورهم في الجنة تهيأ لهم وتزخرف لقدومهم .

فلما رأى فرعون أنهم قد أسلموا؛أفزعه ذلك،ثم عدل إلى كيده ومكره ، فقال : ﴿ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾[2] ثم توعدهم بالصلب والقطع ، فلم يردهم ذلك عن دينهم ، كما قص الله تعالى في « طه » وغيرها .

وذكر ابن عباس وغيره : أنه عذبهم وصلبهم . قال : فأصبحوا في

(١) في الأصل : من ، والمثبت من البداية .
(٢) طه : ٧١ .

أول النهار سحرة ، وباتوا في آخره شهداء بررة .

ولما وقع هـذا الأمر ؛ انقلب مـوسى بقومه بـني إسرائيل ، وامـتنع فرعون أن يـؤمن وأن يرسل مـعه بني إسـرائيل ، ثم حـرضه قومه عـلى موسى وقومه حـيث قالوا : ﴿ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ﴾ [1] الآيات في الأعراف . وقوله - تعـالى - حكاية عن فرعون : ﴿ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ﴾[1] إشارة إلى أن ذلك كان لإذلال بني إسرائيل ، وتقليلهم ؛ لئلا يكون لهم شوكة ، ثم بدا لفرعون فقال لقومه : ﴿ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى ﴾ [2] كما قص الله في سورة غافر ، فعند ذلك قام الرجل المؤمن الذي كان يكتم إيمانه .

قيل : كان ابن عم فرعون ، وكان آمن ولا يظهر ذلك .

وزعم بعض المفسرين : أنه كان إسرائيليا ، وفيه بُعد .

(ق٤٤/ب) وروى ابن جريج ، عن ابن عباس : لـم يؤمن من القبط بموسى إلا هذا والذي جاء من أقصى المدينة ، وامرأة فرعون .

وقال الدارقطني : اسم مؤمن آل فرعون : شمعان .

وفي تاريخ الطبري : اسمه حسن [3] .

ولما هم فرعون بقتل موسى ؛ تـلطف هذا المؤمن ، ورد فرعون عن

---

(١) الأعراف : ١٢٧ .

(٢) غافر : ٢٦ .

(٣) في البداية : خير .

ذلك ، وجمع في كلامه بين الترغيب والترهيب ، ثم تمادى فرعون على غيه وقال لهامان : ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى .

وذكر بعض المفسرين : أن هذا الصرح هو القصر الذي بناه وزيره هامان ، وأنه لم ير بناء أعلى منه ، وأنه كان مبنيا من الآجر المشوي بالنار.

وعند أهل الكتاب أن بني إسرائيل كانوا يُسَخَّرُون في ضرب اللَّبِن ، وكانوا مما حملوا من التكاليف الفرعونية أنهم لا يساعدون على شيء ، مما يحتاجون إليه ، بل كانوا هم الذين يجمعون ترابه ، وآلاته ، ويطلبون منهم في كل يوم قسط معين ، فإن لم يفعلوه ضربوا وأهينوا وأوذوا ، ولهذا قالوا لموسى : ﴿ **أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِينَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا** ﴾ (١) فوعدهم بأن العاقبة لهم .

والمقصود أن الله لم يهلكهم إلا بعد إقامة الحجة عليهم ، كما قال الله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ** ﴾ (٢) .

فأما الطوفان : فقال ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ، والسدي ، وغيرهم : هو كثرة الأمطار المتلفة للزرع والثمر .

وعن ابن عباس أيضًا وعطاء : كثرة الموت .

---

(١) الأعراف : ١٢٩ .
(٢) الأعراف : ١٣٠ .

وعن مجاهد : الماء .

وعن ابن عباس : أنه الطاعون طاف بهم .

وعن عائشة ، عن النبي ﷺ : « الطوفان الموت » .

رواه ابن جرير وإسناده ضعيف .

وأما الجراد : فلم يترك لهم زرعًا ، ولا ثمرًا ، ولا شيئًا .

وأما القمَّل : فعن ابن عباس : هو السوس الذي يخرج من الحنطة، وعنه : الجراد الذي لا أجنحة له .

وعن سعيد بن جبير : دواب صغار .

وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : هي البراغيث ، وقيل : صغار القردان . وقيل : هو القمل المعروف ، وهي قراءة الحسن البصري .

وأما الضفادع : فلابستهم حتى كانت تسقط في أطعمتهم وأوانيهم .

أخرج ابن أبي الدنيا من طريق زمعة بن صالح ، عن سلمة بن وهرام ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لم يكن شيء أشد على آل فرعون من الضفادع ، كانت تجيء إلى القدور وهي تفور وتغلي من اللحمان فتلقي نفسها فيها ، فأورثها الله - عز وجل - برد الماء والثرى إلى يوم القيامة .

وأما الدم : فخرج ماءهم ، فلا يستقون ماء إلا وجدوه دمًا ، ولم

ينل بني إسرائيل من ذلك كله شيئًا .

وقال ابن إسحاق : رجع عدو الله فرعون حين آمنت السحرة مغلوبًا ، فتمادى على الكفر ، فأرسل الله عليه الآيات ، فأرسل الطوفان - وهو الماء - ففاض على وجه الأرض ، ثم ركد حتى لم يقدروا على حرث ، فجهدوا جوعًا ، فلما اشتد بهم الخطب ؛ طلبوا من موسى أن يكشفه عنهم ويسلموا ، ففعل فلم يفوا .

فأرسل الله عليهم الجراد ، فأكل الشجر حتى كان يأكل مسامير الأبواب حتى تقع دورهم ومساكنهم ، فقالوا مثلما قالوا ، فكشفه الله عنهم ، فلم يفوا له . فأرسل الله عليهم القمل ، فبلغني أن موسى جاء إلى كثيب عظيم ، فضربه بعصاه ، فانثال عليهم قمّلاً ، حتى غلب على البيوت والأطعمة ، ومنعهم النوم والقرار فقالوا كالأول ، فكشف فلم يفوا ، فأرسل الله عليهم الضفادع (ق ٤٥ / ا) فملأت البيوت والأطعمة والآنية ، فلم يكشف أحد ثوبًا ولا طعامًا إلا وجد فيه الضفادع قد علت عليهم ، فلما جهدهم ذلك ؛ قالوا كذلك ، ثم لم يفوا ؛ فأرسل الله عليهم الدم .

وقال زيد بن أسلم : المراد بالدم ، الرعاف .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ ﴾ (١) أي : العذاب ، دعوا ليكشف فيؤمنوا ، فلم يفوا بذلك ، وعادوا إلى جهلهم وكفرهم .

---

(١) الأعراف : ١٣٤ .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ﴾ [1] وقال تعالى حكـاية عن فرعون : ﴿ فاستَـخَفَّ قَوْمَهُ فَـأَطَاعُوهُ ﴾ [2] . ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا ﴾ [3] أي : أغضبونا : ﴿ انتقَمْنَا مِنهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [3] .

وقيل : لم يؤمن من قوم فـرعون سوى ثلاثة : امرأة فرعون ، ولا علـم لأهل الـكتـاب بأمرهـا أصلاً ، ومـؤمن آل فـرعون ، وهـو الذي وعظهم، والرجل الناصح الذي قال : إن الملأ يأتمرون بك .

رواه ابن أبي حاتم ، عن ابن عباس .

ومراده غير السحرة ، إن كانوا من القبط ، وكان إيمان الثلاثة خفية؛ لخوفهم من فرعون .

وذكر الـله تعالـى في سورة يـونس : أن موسـى دعا على فـرعون فقال: ﴿ رَبَّنَا إِنَّـكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِيـنَةً وَأَمْوَالاً فِي الحَيَاةِ الـدُّنْيَا ﴾ [4] وقوله: ﴿ رَبَّنا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ ﴾ [4]

قال ابن عباس : أي أهلكها .

وقال أبو العالية : اجعلها حجارة منقوشة .

وقال قتادة : بلغنا أن زرعهم صار حجارة .

---

(١) الزخرف : ٤٨ .
(٢) الزخرف ٥٤ .
(٣) الزخرف : ٥٥ .
(٤) يونس : ٨٨ .

وروى ابن أبي حاتم ، عن محمد بن كعب قال : ذكرت لعمر بن عبد العزيز ذلك ، فقال لغلام له : ائتني بكيس ، فأتاه بكيس ، فإذا فيه حمَّصٌ قد حول حجارة .

قوله : ﴿ واشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ (١) أي : اطبع عليها . وهذه دعوة غضب .

وقال المفسرون وأهل الكتاب : استأذن بنو إسرائيل فرعون في الخروج إلى عيد لهم فأذن لهم وكان ذلك مكيدة منهم له ، وأمرهم الله أن يستعيروا من آل فرعون حليا ، فأعاروهم شيئًا كثيرًا فخرجوا بليل فساروا مشمرين من فورهم طالبين بلاد الشام فلما علم بذهابهم ؛ حنق(٢) عليهم واشتد غضبه ، وشرع في جمع جيوشه .

وقد ذكر الله ذلك في الشعراء ، وفي غيرها ، فلما ركب فرعون بجنوده طالبًا بني إسرائيل في جيوشه ، حتى قيل : إنها كانت ألف ألف وستمائة ، وقيل : كان في خيوله مائة ألف فحل أدهم .

وقيل : كان بنو إسرائيل نحوًا من ستمائة ألف غير الذرية ، وكان بين خروجهم من مصر صحبة موسى ودخولهم إليها صحبة أبيهم أربعمائة سنة وست وعشرون سنة شمسية ، فلحقهم فرعون بجنوده عند شروق الشمس وتراءى الجمعان ولم يبق إلا القتال ، ونظر بنو إسرائيل إلى جنود

---

(١) يونس : ٨٨ .
(٢) الحَنَقِ - محركة - : الغيظ ، أو شدته . (ترتيب القاموس).

فرعون من ورائهم ، والبحر أمامهم والجبال عن يسرتهم وأيمانهم، فشكوا إلى نبي الله موسى ، وكان في الساقة[1] ، فنظر إلى البحر وهو يتلاطم بأمواجه وتبعه أخوه هارون ، ويوشع ، وهو يومئذ من عباد بني إسرائيل.

ويقال : إن مؤمن آل فرعون كان معهم ، فاقتحم البحر بفرسه مراراً فلم يمكنه سلوكه .

فيقول لموسى : يا نبي الله ، أهاهنا أمرت ؟

فيقول : نعم ، فلما تفاقم الأمر وتعاظم الخطب ؛ أوحى الله إلى موسى : ﴿ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾[2] فضربه فانفلق اثني عشر طريقًا، لكل سبط طريق يسيرون فيه ، وطاقات كالشبابيك ليرى بعضهم بعضًا ، وأمر الله الريح الدبور فلحقت أرض البحر حتى صار يابسًا لا يعلق في سنابك الخيل والدواب (ق٤٥ /ب) فانحدر بنو إسرائيل مسرعين مستبشرين ، فلما جاوزوه ، وخرج آخرهم ؛ كان ذلك عند ابتداء قدوم جيش فرعون ، فأراد موسى أن يضرب بعصاه البحر ؛ ليرجع كما كان ؛ لئلا يكون لفرعون إليه وصول ، فأمر أن يترك البحر على حاله : ﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا ﴾[3] أي : يابسًا أو ساكنًا على هيئته ، فلما عاين فرعون ذلك الأمر العظيم ؛ أحجم ولم يتقدم ، وندم على الخروج بنفسه في

(١) سَاقَةُ الجيش : مُؤَخَّرَه . (ترتيب القاموس) .
(٢) الشعراء : ٦٣ .
(٣) الدخان : ٢٤ .

طلبهم ، ثم تجلد وتقدم . فقيل : إن جبريل تبدى في صورة فارس راكب على رمكـة حائل [1] ، فمر بـين يدي فحل فرعون فـحمحم إليهـا وأقبل عليها، وأسرع جبـريل بين يديه ، فاقتحم البحر ، واسـتبق الجواد، فبادر مسرعًا ، وفرعون لا يملك لنفسه شيئًـا ، فلما رأته الجنود قد سلك البحر اقتحموا وراءه فحصدوا في البحر أجمعين ، حتى إذا هم أولهم بالخروج، أمر الله موسى أن يضرب بعصاه البحر ، فضرب فارتطم عليهم كما كان، فلم يـنج منهم إنـسان ، ولما رأى فرعـون العذاب قد حق بـه ، فصارت الأمواج تـرفعه تارة ، وتـخفضه أخـرى وعاين الهـلكة ، وأشرف عـلى الموت؛ قال : آمنت .

قال الله تعالى: ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾ [2] وروى أبو داود الطيالسي ، عن شعبة ، عن عدي بن ثابت ، وعطاء بن السائب عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « قال جبريل : لو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر فأدسه في فم فرعون ؛ مخافة أن تدركه الرحمة » .

رواه التـرمذي وصحـحه مع الغـرابة ، وابن جـرير وأشار إلـى أنه موقوف .

ورواه أحمد والـترمذي وحسنـه ، وابن أبي حاتم من طـريق أخرى

(١) رمكة حائل : فرس متغير اللون . (ترتيب القاموس : رمك ، حول) .
(٢) غافر : ٨٥

عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس .

وروى ابن أبي حاتم ، وابن جرير أيضًا من طـريق عمر بن عبد الله الثقفي ، عن سعيد بن جبيـر ، عن ابن عباس قال : لما أغرق الله فرعون أشار بأصبـعه ورفع صوته يقول : آمـنت أنه لا إله إلا الذي آمنـت به بنو إسرائيل .

قال : فخاف جبريـل أن تسبق رحمة الله فيه غضبـه ، فجعل يأخذ الحال - أي الطين - بجناحيه فيضرب به وجهه فيرمسه[1] .

ورواه ابن جرير من طريق كثير بن زاذان ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة مرفوعًا : « قال لي جبريل : يا محمد ، لو رأيتني وأنا أغطه وأدس من الحال في فيه ؛ مخافة أن تدركه رحمة الله فيغفر له » يعني : فرعون.

ورواه إبراهيم التيمي ، وقتادة ، وميمون بن مهران مرفوعًا ، لكنهم أرسلوه . وفي رواية :« قال جبريل : ما أبـغضت أحدًا بغضي لفرعون ، حين قال : ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى ﴾ [2] ، ولقد جعلت أدس فـي فيه الطين حين قال ما قال » .

وقوله تعالى : ﴿ آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبلُ ﴾ [3] استفهام إنكار ، ونص على عدم قبـوله - تعالى - ذلك منه ، وقـوله تعالى :﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ

---

(١) الرمس : أصله الستر والتغطية . (النهاية : رمس) .
(٢) النازعات : ٢٤ .
(٣) يونس : ٩١ .

بَبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ﴾[١] .

قال ابن عباس وغـيره : شك بعض بني إسرائيـل في موت فرعون فأمر الله البـحر ، فرفعه على مرتفع. قيـل : وجه الماء ، وقيل : نجوة[٢] من الأرض ، وعـليه درعه الـتي يعرفـونها من مـلابسه فتـحققوا هـلاكه وعلموا قدرة الله عليه ، ولهذا قال : ﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾[٣] أي : مصاحبًا درعك المعروفة بك : ﴿ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ﴾[٣] .

وكان هلاكه يوم عـاشوراء ، ففي البخاري من طريـق شعبة ، عن أبي بشـر ، عن سعيد ، عـن ابن عباس قـال : قدم النبي ﷺ المـدنية واليهود تصوم عاشوراء .

فقالوا : هذا يوم ظهر فيه موسى على فرعون .

قال النبي ﷺ : « أنتم أحق بموسى فصوموا » (ق ٤٦/١) .

ولما أهلك الله فرعون وجنوده ؛ لم يبق بمصر سوى العامة والنساء. فذكر ابـن عبد الحكـم في فتوح مـصر : أن النسـاء اللواتي كـن للأمراء والكبراء تزوجن بالأتباع ، وكان لهن السطـوة عليهم فاستمرت هذه السنة في نساء مصر إلى اليوم .

وعند أهل الكـتاب : أن بني إسرائيل لما أمروا بـالخروج من مصر ،

---

(١) يونس : ٩٢ .
(٢) النجوة : ما ارتفع من الأرض.
(٣) يونس : ٩٢ .

جعل الله ذلك الشهر الأول أول سنتهم ، وأمروا أن يذبح أهل كل بيت حملاً من الغنم ، وإذا ذبحوا فلينضحوا من دمه على أعتاب أبوابهم ليكون علامة لهم على بيوتهم ، ولا يأكلوه مطبوخًا ولكن مشويا برأسه ، ولا يكسروا له عظمًا ولا يخرجوا منه شيئًا إلى خارج بيوتهم ، وليكن خبزهم فطيرًا سبعة أيام ، ابتداؤها الرابع عشر من الشهر الأول ، وكان ذلك في فصل الربيع ، إلى غير ذلك مما كان مشروعًا لهم، ثم نسخته الشريعة المحمدية .

قالوا : وقتل الله في تلك الليلة أبكار القبط وأبكار دوابهم ؛ ليشتغلوا عن بني إسرائيل ، وخرج بنو إسرائيل حين انتصف الليل ، وأهل مصر مشغولين بحزنهم وعويلهم ، فخرجوا من مصر وقد استعاروا من القبط حُليا كثيرًا ، فخرجوا وهم ستمائة ألف سوى الذراري بما معهم من الأنعام وكانت مدة مقامهم بمصر أربعمائة سنة وثلاثين سنة .

ولما خرجوا من مصر ؛ أخرجوا معهم تابوت يوسف ، وخرجوا على طريق بحر يوسف ، فانتهى بهم الطريق إلى ساحل البحر فنزلوا هناك ، وأدركهم فرعون فقلقوا حتى قال قائلهم : كان مقامنا بمصر أحب إلينا من الموت بهذه البرية .

فقال لهم موسى : لا تخشوا ؛ فإن فرعون وجنوده لا يرجعون إلى بلادهم بعد هذا ، فأمر الله موسى أن يضرب بعصاه البحر ، فجاء بنو

إسرائيل وأتاهم فرعون يتبعهم ، فلما توسط البحر ضرب موسى بعصاه ، فرجع الماء كما كان عليهم .

لكن عند أهل الكتاب أن ذلك كان بالليل ، وهو غلط ، ولما أغرق الله فرعون سبح موسى وقومه هذا التسبيح : نسبح للرب الذي قهر الجنود ، ونبذ فرسانها في البحر المحمود ، وهو تسبيح طويل .

قالوا : وكان لهارون أخت نبية(١) اسمها مريم ، فأخذت دفا بيدها وتبعها النساء ، في إثرها بدفوف وطبول ، وجعلت مريم تقول : سبحان الرب القهار ، الذي قهر الخيول وركابها ، كذا في كتبهم .

وكان هذا هو الذي حمل محمد بن كعب القرظي على أن يدعي أن مريم أم عيسى هي أخت هارون النبي أخي موسى ، وهو غلط بيّن .

والحق : أن هذا - إن صح - فهي مريم بنت عمران ، غير مريم بنت عمران تلك ، وافقتها في الاسم واسم الأب والأخ ، كما قال ﷺ للمغيرة بن شعبة : « أما علمت أنهم كانوا يسمون بأسماء آبائهم وأنبيائهم » (٢) .

وضربها بالدف في ذلك اليوم دليل على أنه كان مشروعًا لهم ضرب الدف في الأعياد ، وكذا هو ثابت في شرعنا ، كما في حديث عائشة في

---

(١) يعني أنها من بيت نبوة ، لا أنها نبية على الحقيقة ، كما يقال للمرأة من بيت الملك : ملكة ، ومن بيت الإمرة : أميرة .

(٢) رواه مسلم .

الصحيح .

وذكروا أنهم لما جازوا البحر وذهبوا قاصدين إلى بلاد الشام ؛ مكثوا ثلاثة أيام لا يجدون ماء ، ثم وجدوا ماءً زعاقًا[1] أُجَاجًا لم يستطيعوا شربه ، فأمر الله موسى فأخذ خشبة فوضعها فيه ؛ فحلا وساغ شربه ، وعلمه الرب هنالك فرائض وسنن[2] ، ووصاه وصايا كثيرة .

ثم توجه موسى بقومه طالبًا بيت المقدس لسكناه ، فمروا على قوم يعكفون (ق٤٦/ب) على أصنام لهم ، قيل : إنها كانت على صور البقر ، فسألهم بعضهم لم يعكفون حولها ؟

فقالوا : إنها تنفعهم وتضرهم ، فصدقهم بعض الجهال منهم في ذلك . فقالوا لموسى : ﴿ اجْعَل لَّنَا إِلَـهًا كَمَا لَـهُمْ آلِهَـةٌ قَالَ إِنَّكُـمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾[3] وبيَّن لهم أن العبادة لا تصلح إلا لله الواحد القهار ، وليس كل بني إسرائيل سأل هذا السؤال ، بل الضمير عائد على الجنس .

وروى النسائي ، والترمذي[4] ، وأحمد ، وغيرهم من طرق عن الزهري ، عن سنان بن أبي سنان الديلي ، عن أبي واقد الليثي : أنهم خرجوا من مكة مع رسول الله ﷺ إلى حنين .

---

(١) الزعاق كغراب : الماء المر الغليظ لا يطاق شربه . (ترتيب القاموس : زعق) .
(٢) كذا والجادة : سننًا ، كما في البداية .
(٣) الأعراف : ١٣٨ .
(٤) وقال الترمذي : حسن صحيح .

قال : وكان للكفار سدرة يعكفون عندها ، ويعلقون بها أسلحتهم ، يقال لها : ذات أنواط .

قال : فمررنا بسدرة خضراء عظيمة . قال : فقلنا : يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط ، كما لهم ذات أنواط . قال : قلتم والذي نفسي بيده ، كما قال قوم موسى لموسى : ﴿ اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾[1].

ثم توجه موسى وقومه إلى بيت المقدس ، فساروا فلما دخلوا مكان التيه ؛ نكلوا عن الجهاد ، وامتنعوا من التوجه وقالوا : ﴿ يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا ﴾[2] - أي: الأرض المقدسة - ﴿ قَوْمًا جَبَّارِينَ ﴾[2] الآية .

وقد ذكر كثير من المفسرين هاهنا آثارًا فيها مجازفات كثيرة باطلة من أن الجبارين كانوا أشكالاً ضخامًا جدا ، حتى قال بعضهم : إن رسل بني إسرائيل لما قدموا عليهم ؛ تلقاهم رجل من رسل الجبارين ، فجعل يأخذهم واحدًا واحدًا ، ويجعلهم في أكمامه ، حتى جاء بهم إلى ملك الجبارين فنثرهم بين يديه . فقال : ما هؤلاء ؟ ولم يعرف أنهم من بني آدم حتى عرفوه بأنفسهم، وأنه بعث معهم عنبًا ، كل عنبة تكفي الرجل.

وأن عوج بن عناق خرج من عند الجبارين ؛ ليهلك بني إسرائيل ، وكان طوله ثلاث آلاف وثلثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعًا وثلث ، كذا ذكر

---

(١) الأعراف : ١٣٨ .

(٢) المائدة : ٢٢ .

البغوي في : « تفسيره » نقلاً عن غيره ، وليس بصحيح .

قالوا : فعمد عوج إلى قمة جبل فاقتلعها ، ثم أخذها بيده ليقلبها على جيش موسى ، فجاء طائر فنقر تلك الصخرة فخرقها ، فصارت طوقًا في عنق عوج ، ثم عمد موسى إليه فوثب في الهواء عشرة أذرع ، وطوله عشرة أذرع ، وعصاه عشرة أذرع فوصل إلى كعب قدمه فقتله .

روى ذلك ابن جرير عن ابن عباس ، وفي الإسناد إليه نظر .

وعن نوف البكالي نحوه ، وكله من الإسرائيليات ، ولو كان ما ذكروه صحيحًا ؛ لكانوا معذورين في النكال عنهم ، وقد ذمهم الله على نكولهم ، وأشار عليهم رجلان صالحان منهم بالإقدام ، ونهياهم عن الإحجام وهما : يوشع وكالب ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وعطاء ، والسدي ، وغيرهم .

وقالا لهم : ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ﴾ [1] فصمموا على النكول . فقالوا لموسى : ﴿ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا ﴾ [2] الآيات .

فيقال : إن الصالحين شقا ثيابهما ، وأن موسى وهارون سجدا لله؛ شفقة عليهم من قبيل هذا المقال ، فعاقبهم الله تعالى بوقوعهم في التيه أربعين سنة ، فساروا يرتحلون غدوة ، وينزلون عشية فيصبحون حيث

---

(١) المائدة : ٢٣ .

(٢) المائدة : ٢٤ .

أمسوا .

ويقال : لم يخرج أحد ممن دخل إليه منه أصلاً ، بل مات الجميع في التيه في مدة أربعين سنة ، ولم يدخل إلا ذراريهم والرجلان الصالحان، وقد قال قوم محمد ﷺ ، لما استشارهم في الخروج إلى بدر: « إنا لا نقول كما قال بنو إسرائيل : اذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا . بل نقول لك : إنا معكما مُقَاتِلونَ » .

رواه البخاري من حديث المقداد ، ومن حديث عبد الله بن مسعود. ورواه أحمد والنسائي ، وابن حبان ، من حديث حميد ، عن أنس نحوه.

(ق ٤٧ /أ) وفي التوراة : أن يثرون صاحب مدين لما بلغه خبر موسى ،وكيف أظفره الله بعدوه فرعون ؛ قدم عليه مسلمًا ، ومعه ابنته صفورا زوج موسى وابناها منه جرشون وعاروا فتلقاه موسى وأكرمه ، واجتمع به شيوخ بني إسرائيل وعظموه ، وذكروا أنه رأى كثرة اجتماعهم على موسى في الخصومات ، فأشار عليه أن يجعل للناس رجالاً أمناء لا يرتشون ولا يخونون ، فيجعلهم على الناس يقضون بينهم ، فإذا أشكل عليهم أمر ؛ جاءوك ففصلت بينهم ما أشكل عليهم ففعل موسى ذلك .

وذكروا أن موسى أرسل يوشع في جيش إلى الجبارين ، وأن موسى وهارون جلسوا على رأس أكمة ، فكلما رفع موسى عصاه ؛ انتصر

يوشع، وكلما مالت يده من تعب ونحوه ؛ غلب أولئك ، فلم يزل كذلك إلى غروب الشمس ، فانتصر حزب يوشع . وأنبع الله لموسى في التيه الماء من حجر أمر موسى أن يضربه فنبع منه اثنتا عشرة عينًا ، لكل سبط عين يتفجر ماء ؛ فيرتوون ويشربون ويسقون دوابهم ، وظلل عليهم الغمام في الحر ، وأنزل عليهم المن والسلوى طعامين شهيين بلا كلفة ولا سعي، بل ينزل الله المن باكرًا ، ويرسل لهم الطير السلوى عشيا ، فلم يرعوا هذه النعمة حق رعايتها ، بل ضجر كثير منهم وتبرموا ، وسألوا أن يستبدلوا منها مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها.

فقال : ﴿ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ﴾ (1) .

ثم توجه موسى لميقات ربه ، كما قال تعالى : ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ ﴾(2) .

قال ابن عباس ، ومسروق ، ومجاهد : الثلاثون هي شهر ذي القعدة بكماله وأتممت أربعين ليلة بعشر ذي الحجة .

ويقال : إنه لما استكمل الشهر كان صائمًا ، فأخذ لحاء شجرة فمصه؛ ليطيب ريح فمه ، فأمره الله أن يصوم عشرة أخرى واستخلف موسى أخاه هارون على شعب بني إسرائيل ، ثم جاء موسى فكلمه ربه بجبل الطور ، وناجاه وقربه ، فسأل رفع الحجاب ، فقال : ﴿ رَبِّ أَرِنِي

---

(1) البقرة : ٦١ .

(2) الأعراف : ١٤٢ .

أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي ﴾[1] .

وفي الكتب المتقدمة : أن الله قال له : يا موسى ، إنه لا يراني حي إلا مات .

وفي الصحيحين ، عن أبي موسى مرفوعًا : « حجابه النور ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى بصره إليه » .

وقد ثبت في الصحيحين حديث أبي سعيد وغيره مرفوعًا : « أكون أول من يفيق فأجد موسى آخذًا بقائمة من قوائم العرش ، فلا أدري أفاق قبلي أو جوزي بصعقة الطور ؟ » .

وفي التوراة : أن الله أوحى إلى موسى :أن ذكر بني إسرائيل بأيامي، ومرهم أن يتطهروا ، وليتنظفوا إلى اليوم الثالث ، ويجتمعوا حول الجبل ، ولا يقربوه ما داموا يسمعون صوت القرن ، فإذا سكن فليرقوه ، فسمعوا وأطاعوا ، فلما كان الثالث ؛ ركب الجبل غمامة عظيمة ، وفيها أصوات وبروق وصوت القرن شديد جدا ، ففزع بنو إسرائيل (ق٤٧ /ب) إلى سفح الجبل ، وغشي الجبل دخان عظيم ، في وسطه عمود من نور ، ثم استقر صوت الصور ، فصعد موسى فوق الجبل ، فكلمه الله وناجاه ، وأمر بني إسرائيل ، فاقتربوا من الجبل ، ليسمعوا وصية الله ، وأمرهم أن يدنوا ، فيصعدوا الجبل بالقرب .

---

(١) الأعراف : ١٤٢ .

(٢) الأعراف : ١٤٣ .

وهذا نص في كتابهم على وقوع النسخ لا محالة .

فقال : يا رب ، إنهم يستطيعون أن يصعدوه ، وقد نهيتهم عن ذلك، فأمره الله أن يأتي بهارون ومعه العلماء والشعب غير بعيد ، وصعد موسى ، وأمره ربه حينئذ بالعشر كلمات .

وعندهم أن بني إسرائيل سمعوا كلام الله ولكن لم يفهموه حتى فهمهم موسى ، وجعلوا يقولون لموسى : بلغنا أنت عن الرب ، فإنا نخاف أن نموت .

والعشر كلمات هي : الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له ، والنهي عن الحلف كاذبًا ، والأمر بالمحافظة على السَّبت - ومعناه تفرغ يوم من الأسبوع للعبادة - وإكرام الأب والأم ، ليطول العمر ، ولا تزن ، ولا تسرق ، ولا تشهد على صاحبك بزور ، ولا تمد عينيك إلى بيت صاحبك، ولا تشته امرأة صاحبك ، ولا عبده ، ولا أمته ، ولا ثوره ، ولا حماره ، ولا شيئًا من الذي لصاحبك - ومعناه : النهي عن الحسد .

وقد قال كثير من علماء السلف : إن مضمون هذا في آيتين من القرآن ، وهي قوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ... ﴾ [1] وذكروا بعد العشر كلمات وصايا كثيرة ، وأحكام[2] متفرقة كانت توالت

---

(١) الأعراف : ١٤٣ .

(٢) الأنعام : ١٥١ ، ١٥٢ .

(٣) كذا في الأصل ، وفي البداية : وأحكامًا ، وهو الصواب .

وعملوا بها حينًا من الدهر ثم طرأ عصيان المكلفين بهـا ، ثم عمدوا إليها فبدلوها وحرفوها وأوّلوها ، ثم بعد ذلك كله سُلبوها .

وقول الله تـعالى : ﴿ **وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ** ﴾ (1) قيل كانـت الألواح من جوهر نفيـس ، وفيها مواعظ عن الآثام ، وتفصيل لما يحتاجون إليه من الحلال والحرام .



(1) الأعراف : ١٤٥ .

ذكر عبادة بني إسرائيل العجل لما فارقهم موسى

قال الله تعالى : ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ ... ﴾ [1] الآيات .

قالوا: عمد رجل يقال [له][2]: السامري ، فأخذ ما كانوا استعاروه من الحلي فصاغ منه عجلاً ، وألقى فيه قبضة من تراب كان أخذها من أثر فرس جبريل ،حين رآه يوم أغرق الله فرعون على يديه ، فلما ألقاها فيه، خار كما يخور العجل . ويقال : إنه استحال عجلاً جسداً ، أي لحمًا ودمًا حيا يخور . قاله قتادة وغيره .

وقيل : بل كانت الريح إذا دخلت من دبره خرجت من فيه ، فيخور كما تخور البقرة : ﴿ فَقَالُوا هَـذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴾ [3] موسى ربه عندنا ، وذهب يتطلبه وهو هنا .

قال الله تعالى ردا عليهم : أولا يَرَوْنَ ألا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً (ق٤٨/أ) وذكر بعضهم أن السامري رأى جبريل ، وكلما وطئت حافره فرسه موضعًا اخضَرَّ وأعشب ، فأخذ من أثر حافرها ، فلما ألقاه في هذا العجل المصوغ من الذهب ، فكان ما كان .

---

(١) الأعراف : ١٤٨ .
(٢) من البداية ، وفي الأصل : لهم
(٣) طه : ٨٨ .

قالوا : فعمد موسى إلى هذا العجل فحرَّقه بالنار ، وقيل : بالمبارد، قاله علي وابن عباس ، وهو نص ابن عباس ، ثم ذرّاه في البحر، وأمرهم فشربوا منه ، فمن كان من عابديه ، علق على شفاهم من ذلك الرماد منه ما يدل عليه .

وقيل : بل اصفرت ألوانهم .

وقيل : إنهم لما أمروا بقتل أنفسهم بسبب عبادة العجل قتلوا في أول يوم ثلاثة آلاف ، ثم ذهب يستغفر لهم ، فغفر لهم بشرط أن يدخلوا الأرض المقدسة .

ويقال : إنهم أصبحوا يومًا وقد أخذ من لم يعبد العجل في أيديهم السيوف ، وألقى الله ضبابًا حتى لا يعرف القرين قرينه ولا النسيب نسيبه، ثم مالوا عليهم فقتلوهم وحصدوهم .

فيقال : إنه قتل في صبيحة واحدة سبعون ألفًا .

وذكر السدي وابن عباس أن موسى اختار من قومه سبعين رجلاً كانوا علماء بني إسرائيل ، وتوجهوا ليعتذروا عن بني إسرائيل في عبادة من عبد منهم العجل . وكانوا أمروا أن يتطهروا ويتطيبوا ويغتسلوا ، فلما ذهبوا معه واقتربوا من الجبل وعليه الغمام والنور ساطع ، فصعد موسى الجبل . فذكر جمع من أهل الكتاب ، ومثلهم جمع من أهل التفسير أنهم سمعوا كلام الله ، وحملوا عليه قوله تعالى : ﴿ **وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ**

﴿يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾[1] .

وهذا ليس بمقيد في المسألة ؛ لأنه كقوله : ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ﴾[2] .

أي مُبَلَّغًا ، وهكذا هؤلاء .

وزعموا أن السبعين رأوا الله، وهو غلط ؛ لأنهم لما سألوا الرؤية ؛ أخذتهم الرجفة بنص القرآن .

وقال ابن إسحاق : اختار موسى سبعين رجلاً من بني إسرائيل الخَيرٌ فالخَيرٌ . وقال : انطلقوا إلى الله فتوبوا إليه مما صنعتم ، واسألوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم ، وصوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم . فخرج بهم إلى طور سيناء لميقات وقته له ربه ، وكان لا يأتيه إلا بإذن منه . فقال له - وطلب السبعون أن يسمعوا كلام الله - فقال : افعل .

فلما دنا موسى من الجبل ؛ وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ، ودنا موسى فدخل في الغمام وقال للقوم : ادنوا . وكان موسى إذا كلمه الله وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه ، فضرب دونه الحجاب ، ودنا القوم ، حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجدًا ، فسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه، وافعل، لا تفعل .

---

(١) البقرة : ٧٥ .

(٢) التوبة : ٦ .

فلما فرغ الله من أمره ، وانكشف عن موسى الغمام وأقبل عليهم ، قالوا لموسى : ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ [١] فأخذتهم الرجفة وهي الصاعقة فالتقمت [٢] أرواحهم ، فماتوا جميعًا .

فقام موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب إليه ويقول : رب ، أتهلكنا بما فعل السفهاء منا (ق٤٨ /ب) أي لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء الذين عبدوا العجل منا ، فإنا برآء مما عملوا .

وقال ابن عباس ومجاهد وغيرهما : إنما أخذتهم الرجفة ، لأنهم لم ينهوا قومهم عن عبادة العجل .

وقوله : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ ﴾[٣] .

فيه تنويه بذكر محمد ﷺ .

وقال قتادة : قال موسى : يارب ، أجد في الألواح أن خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، رب اجعلهم أمتي. قال : تلك أمة أحمد .

قال : رب ، إني أجد أمة هم الآخرون في الخلق ، السابقون في دخول الجنة ، رب اجعلهم أمتي . قال : تلك أمة أحمد .

قال : رب ، إني أجد في الألواح أمة أناجيلهم في صدورهم

---

(١) البقرة : ٥٥ .
(٢) في البداية : فأتلفت .
(٣) الأعراف : ١٥٧ .

يقرءونهـا ، وكان مَنْ قبلهـم يقرءون كتابهـم نظرًا ، حتى إذا رفعـوها لم يحفظوا شيئًا ، ولم يعرفوه وإن الله أعطاكم أيتها الأمة من الحفظ شيئًا لم يعطه أحدًا من الأمم . قال: رب، اجعلهم أمتي. قال : تلك أمة أحمد.

قال : رب ، إنـي أجد فـي الألواح أمـة يؤمـنون بـالكـتاب الأول والكتـاب الآخر ، ويقاتلون عـلى الضلالة حـتى يقاتلوا الأعـور الكذاب فاجعلهم أمتي . قال : تلك أمة أحمد .

قال : رب ، إني أجد في الألواح أمة صدقاتـهم يأكلونها ويؤجرون عليها ، وكان من قبـلهم إذا تصدق بصدقة فقبلت منه ، بـعث الله عليها نارًا فأكلتها ، وإن ردت عـليه ، تركت فتأكلها السبـاع والطير ، وإن الله أخذ صدقاتهم من غنيهم لفقيـرهم ، يارب، فاجعلهم أمتي . قال : تلك أمة أحمد .

قال : يا رب ، فإني أجد في الألواح أمة إذا هـم أحدهم بحسنة ثم لم يعـملها ، كتبـت له حسنة ، فإن عـملها كتبـت له عشر أمثالـها إلى سبعمائة ضعف ،قال : رب ، اجعلهم أمتي .

قال : تلك أمة أحمد .

قال : رب ، أجـد في الألواح أمة هـم المشفعـون المشفوع لـهم ، فاجعلهم أمتي . قال : تلك أمة أحمد .

قال قتادة : ذكر لنا أن موسى نبـذ الألواح ، وقال : اللهم اجعلني

من أمة أحمد .

وروى مسلم والترمذي وابن حبان من طريق الشعبي : سمعت المغيرة بن شعبة يقول على المنبر ، عن النبي ﷺ : « إن موسى سأل ربه ، أي أهل الجنة أدنى منزلة ؟

فقال : رجل يجيء بعدما يدخل أهل الجنة الجنة ، فيقال : ادخل الجنة. فيقول: كيف أدخل وقد نزلت الناس منازلهم ؟ فيقال : أترضى أن يكون لك في الجنة مثلما كان لملك من ملوك الدنيا : فيقول : نعم، أي رب . فيقال: لك هذا ومثله . فيقول : أي رب رضيت ، فيقال : لك مع هذا ما اشتهت نفسك ولذت عينك . قال : وسأل ربه عن أرفع أهل الجنة منزلة . فقال : سأحدثك عنهم ، غرست كرامتهم بيدي ، وختمت عليها ، فلا عين رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » .

ومصداق ذلك في كتاب الله : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ (١) .

قال الترمذي : حسن صحيح، ورواه بعضهم عن المغيرة فلم يرفعه. والمرفوع أصح .

وروى ابن حبان من طريق ابن حجيرة ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ ، أنه قال : «سأل موسى ربه عن ست خصال (ق٤٩ /أ) قال : يظن

---

(١) السجدة : ١٩ .

أنها لـه خالصة ، والسابعة لـم يكن موسى يحبها قال : أي رب، أي عبادك أتقى ؟ قال : الذي يذكرني ولا ينسى . قال : فأي عبادك أهدى ؟ قال : الذي يتبع الهدى . قال : فأي عبادك أحكم ؟ قال : الذي يحكم للناس كما يحكم لنفسه . قال : فأي عبادك أعلم ؟ قال : عالم لا يشبع من العلم ، يجمع علم الناس إلى علمه . قال : فأي عبادك أعز ؟ قال : الذي إذا قدر ، غفر . قال : فأي عبادك أغنى ؟ قال : الذي يقنع بما يؤتى . قال : فأي عبادك أفقر ؟ قال : صاحب منقوص».

قال رسول الله ﷺ : « ليس الغنى عن ظهر ، إنما الغنى غنى النفس ، وإذا أراد الله بعبد خيراً ؛ جعل غناه في نفسه ، وتقاه في قلبه ، وإذا أراد بعبد شرا ؛ جعل فقره بين عينيه » .

قال ابن حبان : قوله : « منقوص » أي منقوص حالته، يستقل ما أوتي ، ويطلب الفضل .

وروى ابن جرير من طريق هارون بن هبيرة ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : سأل موسى ربه . . فذكر نحوه ، وفيه : قال : أي رب، أي عبادك أعلم ؟ قال : الذي يبتغي علم الناس إلى علمه ، عسى أن يصيب كلمة تهديه إلى هدى ، أو ترده عن ردى. قال : أي رب ، فهل في الأرض واحداً [1] أعلم مني ؟ قال : نعم ، الخضر . فسأل السبيل إلى لقيِّه .

---

(١) كذا في الأصل ، وهو خلاف الجادة ، وفي البداية : « واحد» وهو الصواب .

وعن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد ، عن النبي ﷺ : « إن موسى قال : أي رب، عبدك المؤمن مقتّر عليه في الدنيا . قال : ففتح له باب من الجنة ، فنظر إليها فقال : يا موسى ، هذا ما أعددت له .

فقال موسى : يارب ، وعزتك وجلالك، لو كان أقطع اليدين والرجلين ، يسحب على وجهه منذ يوم خلقته إلى يوم القيامة ، وكان هذا مصيره ، لم ير بؤسًا قط » .

قال : ثم قال : أي رب، عبدك الكافر موسعٌ عليه في الدنيا. قال : ففتح له باب من النار . فقال : يا موسى، هذا ما أعددت له. قال : أي رب ، وعزتك وجلالك ، لو كانت له الدنيا منذ يوم خلقته إلى يوم القيامة ، وكان هذا مصيره ؛ لم ير خيرًا قط » .

رواه أحمد من طريق ابن لهيعة (١) .

وعن أبي الهيثم، عن أبي سعيد ، عن النبي ﷺ أنه قال : « قال موسى: يا رب ، علمني شيئًا أذكرك به وأدعوك به. قال : قل يا موسى: لا إله إلا الله . قال : يا رب ، كل عبادك يقول هذا . قال : قل : لا إله إلا الله : قال : إنما أريد شيئًا يخصني . قال : يا موسى ، لو أن السموات السبع والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة ، مالت

---

(١) قال ابن كثير في البداية : تفرد به أحمد من هذا الوجه ، وفي صحته نظر .
قلت : هو من رواية ابن لهيعة ، عن دراج ، عن أبي الهيثم به ، وأحاديث دراج ، عن أبي الهيثم فيها مناكير ، نص على ذلك الإمام أحمد ، وأبو داود وغيرهما ، وابن لهيعة ، ضعيف الحديث أيضًا .

بهم لا إله إلا الله » .

رواه ابن حبان في صحيحه من طريق ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، عن دراج عنه (١) .

وعن ابن عباس : أن بني إسرائيل قالوا لموسى : هل ينام ربك ؟ قال : اتقوا الله ، فناداه عز وجل : يا موسى، سألوك هل ينام ربك ؟ قال: نعم . قال: فخذ زجاجتين في يدك ، فقم الليل ففعل موسى ، فلما ذهب من الليل ثلثه نعس فوقع لركبتيه ، ثم انتعش فضبطهما ، حتى إذا كان آخر الليل نعس ؛ فسقطت الزجاجتان ، فانكسرتا ، فقال : يا موسى ، (ق٤٩ /ب) لو كنت أنام ؛ لسقطت السموات والأرض ، فهلكن كما هلكت الزجاجتان في يدك (٢) . قال : وأنزل الله - تعالى - آية الكرسي .

وقال ابن جرير : حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل ، نا هشام بن يوسف ، عن أمية [ابن] (٣) شبل عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن أبي هريرة : سمعت رسول الله ﷺ يحكي عن موسى - عليه السلام- على المنبر قال : « وقع في نفس موسى هل ينام الله - عز وجل -

---

(١) إسناده ضعيف لضعف دراج ، عن أبي الهيثم كما سبق ، وقال الحافظ ابن كثير في البداية : ويشهد لهذا الحديث حديث البطاقة .

(٢) في البداية : يديك .

(٣) في الأصل: عن ، سبق قلم ، والمثبت من البداية وأمية بن شبل هو اليماني يروي عن الحكم بن أبان ، وعن هشام بن يوسف كما في ترجمته من الميزان ، وغيره ، وقال الذهبي : له حديث منكر ، وذكر له الحديث الذي هنا .

فأرسل الله إليه ملكًا ، فأرقه ثلاثًا ، ثم أعطاه قارورتين ، في كل يد قارورة ، وأمره أن يحتفظ بهما . قال : فجعل ينام ، وكادت يداه تلتقيان، فيستيقظ ، فيحبس إحداهما على الأخرى حتى نام نومة فاصطفقت يداه ، فانكسرت القارورتان . قال : ضرب الله له مثلاً ، لو كان ينام ؛ لم تستمسك السموات والأرض » .

غريب ، والأشبه أن يكون موقوفًا من الإسرائيليات [١] .

وقال ابن عباس وغير واحد من السلف : لما جاءهم موسى بالألواح؛ أمرهم بقبولها والأخذ بما فيها بعزم . فقالوا : انشرها علينا ، فإن كانت سهلة ؛ قبلناها ، فراجعوه مرارًا ، فأمر الله تعالى الملائكة، فرفعوا الجبل على رءوسهم ، حتى صار ظلة، أي غمامة . وقيل لهم : إن لم تقبلوها بما فيها ؛ وإلا سقط هذا الجبل عليكم ، فقبلوا ذلك ، وأمروا بالسجود فسجدوا ، وجعلوا ينظرون إلى الجبل بشق وجوههم، فصارت سنة لليهود إلى اليوم فيقولون : لا سجدة أعظم من سجدة رفعت عنا العذاب .

---

(١) وقال الذهبي في الميزان : وخالفه معمر - فرواه - عن الحكم عن عكرمة قوله وهو أقرب ، ولا يسوغ أن يكون هذا وقع في نفس موسى وإنما روي أن بني إسرائيل سألوا موسى عن ذلك . .

قلت: ونقل ابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٤٠ ، ٤١) عن الخطيب مخالفة معمر لأمية بمثل ما سبق ، ونقل عن الدارقطني تفرد أمية عن الحكم به مرفوعًا . ثم قال: ولا يثبت هذا الحديث عن رسول الله ﷺ والظاهر أن عكرمة رأى هذا في كتب اليهود فرواه ، فما يزال عكرمة يذكر عنهم أشياء . . . إلخ .

وقال سنيد عن حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله قال : فلما نشروها ؛ لم يبق على وجه الأرض جبل ولا شجر ولا حجر إلا اهتز ، فليس على وجه الأرض يهودي صغير ولا كبير تقرأ عليه التوراة إلا اهتز ونفض لها رأسه .



قصة البقرة

قال ابن عباس وعبيدة السلماني وأبو العالية والسدي وغيرهم : كان رجل من بني إسرائيل كثير المال ، وكان شيخًا كبيرًا وله بنو أخ وكانوا يتمنون موته ليرثوه، فعمد أحدهم فقتله في الليل ، وطرحه في مجمع الطريق ، ويقال : على باب رجل منهم .

فلما أصبح الناس اختصموا فيه ، فجاء ابن أخيه فجعل يصرخ ويتظلم ، فقالوا : مالكم تختصمون ولا تأتون نبي الله ؟ فجاء ابن أخيه، فشكا أمر عمه إلى نبي الله موسى . فقال موسى : أنشد الله رجلاً عنده أمر من هذا القتيل إلا أعلمنا به . فلم يكن عند أحد منهم علم منه . وسألوه أن يسأل في هذه القضية ربه . فسأل ربه - عز وجل - فأخبره الله أن يأمرهم بذبح بقرة وقال لهم : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا** ﴾ (١) يعنون : نحن نسألك عن أمر هذا القتيل ، وأنت تقول : اذبحوا بقرة .

قالوا : فلو أنهم عمدوا إلى أي بقرة كانت فذبحوها ؛ لحصل المقصود ، ولكنهم شددوا ؛ فشدد عليهم .

فسألوا عن صفاتها ، ثم عن لونها ، ثم عن سنها ، فأجيبوا بما عز عليهم ، والعوان : الوسط بين الفارض الكبيرة ، وبين البكر الصغيرة، والفاقع: الأصفر المشرَّب حمرة .

---

(١) البقرة : ٦٧ .

وروى ابن أبي حاتم وابـن مردويه مرفوعًا: « لولا أن بنـي إسرائيل استثنوا - أي قالوا : إنا إن شاء الله لمهتدون - لما أعطوا » [1] .

ويقال : إنهم لم يجدوا البقرة بالصفات المذكورة إلا عند رجل منهم كان بارا بأمه ، فطـلبوها منه ، فأبى أن يعطـيهم إياها [2] ، فأرغبوه في ثمنها حتى أعطوه - فيما ذكره الـسدي - بوزنها ذهبًا فأبى ، حتى أعطوه عشر مـرات فباعهـا منهم ، فـأمرهم نبـي الله موسـى فذبحوهـا ، وهم يترددون في أمرها ، ثم أمرهم نجي الله أن يضـربوا ذلك القتيل ببعضها ، قيل : بلحـم فخذها (ق ٥٠ / ا) وقيل : بالـعظم الذي يلي الـغضروف . وقيل: بالبضعة [3] التي بين الكتفين .

فلما ضربـوه ببعضها ؛ أحياه الـله تعالى فقام وهو تـشخب أوداجه دما، فسأله نـبي الله: من قتلك ؟ قـال : قتلني ابن أخي ، ثم عـاد ميتًا كما كان .

قال الله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ ﴾[4] .



(١) قال الحافظ ابن كثير في البداية : وفي صحته نظر .
(٢) في الأصل : إياه .
(٣) في الأصل : بالبعضة ، والمثبت من البداية .
(٤) البقرة : ٧٣ .

قصة موسى والخضر

كان بعض أهل الكتاب يدعى أن موسى الذي رحل إلى الخضر هو موسى بن منسا بن يوسف بن يعقوب ، وتابعهم غير واحد ممن يأخذ عن صحفهم ، وينقل عن كتبهم ، منهم نوف بن فضالة الحميري الشامي البكالي ، وكانت أمه زوج كعب الأحبار .

والذي دل عليه ظاهر القرآن والحديث الصحيح الصريح المتفق عليه أنه موسى بن عمران - عليه السلام - .

وأتم الحديث سياقة ؛ ما رواه البخاري من طريق ابن جريج : أخبرني يعلى بن مسلم ، وعمرو بن دينار ، عن سعيد بن جبير - يزيد أحدهما على الآخر - عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب .



ذكر حديث الفتون
المتضمن قصة موسى كلها

قال النسائي في تفسيره : أخبرنا عبد الله بن محمد ، أنا يزيد بن هارون ، أنا أصبغ بن زيد ، أنا القاسم بن أبي أيوب ، أخبرني سعيد بن جبير ، قال : سألت عبد الله بن عباس عن قول الله تعالى لموسى : ﴿وَقَتَلْتَ نفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ (١) فسألته عن الفتون ، ما هو ؟

قال : استأنف النهار يا ابن جبير ، فإن لها حديثًا طويلاً .

فلما أصبحت ؛ غدوت إلى ابن عباس لأتنجز منه ما وعدني من حديث الفتون . فقال : تذاكر فرعون وجلساؤه ما كان الله وعد إبراهيم - عليه السلام - أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكًا ، فقال بعضهم : إن بني إسرائيل ينتظرون ذلك ما يشكون فيه . وكانوا يظنون أنه يوسف بن يعقوب، فلما هلك ؛ قالوا : ليس هكذا كان وعد إبراهيم .

فقال فرعون : فكيف ترون ؟ فائتمروا وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجالاً معهم الشفار يطوفون في بني إسرائيل ، فلا يجدون مولودًا ذكرًا إلا ذبحوه، ففعلوا ذلك .

فلما رأوا أن الكبار يموتون والصغار يذبحون ، قالوا : يوشك أن تفنوا بني إسرائيل فتصيروا إلى أن تباشروا من الأعمال والخدمة الذي كانوا

---

(١) طه : ٤٠ .

يكفونكم ، فاقتلوا عامًا كل مـولود ذكر فيقل أبناؤهم ، ودعوا عامًا ، فلا تقتلوا مـنهم أحدًا ، فيشب الصغـار مكان الكبار ، فإنهم لـن يكثروا بمن تستـحيون منـهم ، فتخـافوا مكاثـرتهم إياكـم ، ولن يفنـوا بمن تقتـلون وتحتاجون إليهم . فأجمعوا أمرهم على ذلك .

فحملت أم موسى بهارون في العام الذي لا يذبح فيه الغلمان فولدته علانية آمنة . فلما كان من قابل ؛ حمـلت بموسى ، فوقع في قلبها الهم والحزن وذلك من الفتون يا ابن جبير ، مـا دخل عليه في بطن أمه مما يراد به ، فـأوحى اللـه إليـها أن : ﴿ لا تَخَـافِي وَلا تَـحْزَنـي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَـيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [١] ، فأمرها إذا ولدت أن تجعله في تابوت وتلقيه في اليم.

فلما ولـدت ؛ فعلت ذلك ، فلمـا توارى عنها ؛ أتاها الـشيطان ، فقالت في نفسها : ما فعلت بابـني ، لو ذبح عندي فواريته وكفنته ؛ كان أحب إلي من أن ألقيه إلى دواب البحر وحيتانه . .

وانتهى الماء به حتى أوفى به عند فرضة[٢] تستقي منها جواري امرأة فرعون . فلما رأينه ؛ أخذنه فهممن أن يفتحن التابوت ، فقال بعضهم : إن في هذا مالاً ، وإنا إن فتحناه ؛ لم تصـدقنا امرأة الملك بما وجدنا فيه. فحملنه كهيئته ولم يخرجن منه شيئًا حتى رفعنه إليها (ق٥٠/ب) فلما فتحته

---

(١) القصص : ٧ .

(٢) الفرضة : بالضم - من النهر : ثُلْمَة يستقى منها . (ترتيب القاموس : فرض) .

رأت فيه غلامًا ، فألقي عليه منها محبة ، لم يلق منها على أحد قط ﴿وأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا﴾ [1] من ذكر كل شيء إلا من ذكر موسى.

فلما سمع الذباحون بأمره ؛ أقبلوا بشافرهم إلى امرأة فرعون ؛ ليذبحوه . وذلك من الفتون يا ابن جبير . فقالت لهم : أقروه ، فإن هذا الواحد لا يزيد في بني إسرائيل حتى آتي فرعون ، فأستوهبه منه ، فإن وهبه مني ؛ كنتم قد أحسنتم وأكملتم [2] وإن أمر بذبحه ؛ لم ألمكم .

فأتت فرعون ، فقالت : ﴿ قُرَّةُ عَيْنٍ لِّي ولَكَ ﴾ [3] . فقال فرعون: يكون لك ، فأما لي ، فلا حاجة لي فيه .

فقال رسول الله ﷺ : «والذي يُحلَفُ بِهِ، لو أقر فرعون أن يكون قرة عين كما أقرت امرأته ؛ لهداه الله كما هداها ، ولكن حرمه ذلك» .

فأرسلت إلى من حولها إلى كل امرأة لها لأن تختار له ظِئرًا [4]، فجعل كلما أخذته امرأة منهن؛ لترضعه ؛ لم يقبل على ثديها، حتى أشفقت امرأة فرعون أن يمتنع من اللبن فيموت فأحزنها ذلك . فأمرت به، فأخرج إلى السوق ومجمع الناس ، ترجو أن تجد له ظِئرًا تأخذه منها،

---

(١) القصص : ١٠ .
(٢) في البداية : وأجملتم .
(٣) القصص : ٩ .
(٤) الظئر : بالكسر : العاطفة على ولد غيرها المرضعة له ، في الناس وغيرهم ، للذكر والأنثى (ترتيب القاموس : ظئر) .

فلم يقبل .

وأصبحت أم موسى والهًا ، فقالت لأخته : قصي أثره واطلبيه ، هل تسمعين له ذكرًا ؟ أحَيٌّ ابني أم أكلته الدواب ؟ ونسيت ما كان الله وعدها فيه . ﴿ فَبَصُرَتْ بِهِ ﴾[1] أخته ﴿ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾[1] .

والجنب : أن يسمو نظر الإنسان إلى شيء من بعيد وهو إلى جنبه لا يشعر به .

فقالت من الفرح حين أعياهم الظئرات[2] : أنا ﴿ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾[3] فأخذوها ، فقالوا : ما يدريك ما نصيحته ؟ هل تعرفونه ؟ حتى شكّوا في ذلك ، وذلك من الفتون يا ابن جبير .

فقالت : نصحهم له وشفقتهم عليه هي رغبتهم في صهر الملك ، ورجاء منفعة الملك . فأرسلوها ، فانطلقت إلى أمه ، فأخبرتها ، فجاءت إليه ، فلما وضعته في حجرها ؛ نزا إلى ثديها فمصه ، حتى امتلأ جنباه ريا .

وانطلق البشير إلى امرأة فرعون يبشرها أن قد وجدنا لابنك ظِئرًا . فأرسلت إليها ، فأتت بها وبه ، فلما رأت ما يصنع بها ؛ قالت : إنك

(١) القصص : ١١ .
(٢) في الأصل : الظئرورات ، كذا والمثبت من البداية .
(٣) القصص : ١٢ .

ترضعين ابني هذا ، فإني لم أحب شـيئًا قط حبه . قالت أم موسى : لا أستطيع أن أتـرك بيتي وولدي فيضيـع ، فإن طابت نفسك أن تعـطينيه ، فأذهب به إلى بيتـي فيكون معي لا آلوه خيراً ، فعلت ، فـإني غير تاركة بيتي وولدي ، وذكرت أم موسى ما كان الله وعدها ،فتعاسرت على امرأة فرعون، وأيقنت أن اللـه منجزٌ لها موعده ، فرجعت إلى بيـتها من يومها وأنبته الله نباتًا حسنًا وأحفظ لما قـد قضى فيه ، فلم يزل بنو إسرائيل وهم في ناحية القرية ممتنعين من السخرة والظلم ، ما كان فيهم .

فلما ترعرع ؛ قالت امرأة فرعون لأم موسى : أريد أن تريني ابني ، فوعـدتها يومًـا تريهـا إياه فيه ، فـقالت امـرأة فرعون لخـزانها وظئـورها وقهارمتـها : لا يبقين أحد مـنكم إلا استقبـل ابني اليوم بهـدية وكرامة ؛ لأرى ذلك فيه ، وأنا باعثة أمينًا يحصـي ما يصنع كل إنسان منكم . فلم تزل الهدايا والكرامـة والنِّحَل تستقبله من حين خـرج من بيت أمه إلى أن دخل على امرأة فرعون ، فلما دخل عليها كلمته ، وأكرمته وفرحت به ، ونحلـت أمه لحسن أثرهـا عليه . ثم قـالت : لآتين به فـرعون فلينـحله وليكرمـه ، فلما دخلت عـليه ؛ جعله فـي حجره ، فتناول مـوسى لحية فرعون فمـدها إلى الأرض ، فقالت الـغواة من أعداء الله لـفرعون : ألا ترى مـا وعد الـله إبـراهيـم نبـيه ؟ إنـه زعم { أنـه }[1] يرثك ويـعلوك ويصرعك، فأرسلَ إلى الذباحين ليذبـحوه ، وذلك من الفتون يا ابن جبير بعد كل بلاء ابتُلي به وأريد به فتونًا .

(١) من البداية .

فجاءت امرأة فرعون (ق ٥١/أ) تسعى إلى فرعـون ، فقالت: ما بدا لك في هذا الغلام الـذي وهبته لي ؟ فقال : ألا ترينه يزعـم أنه يصرعني ويعـلوني . فقـالت : اجعل بـيني وبـينك أمرًا تـعرف فيه الحـق ، ائت بجمرتين ولؤلؤتين فقربهن إليه ، فـإن بطش باللؤلؤتين واجتنب الجمرتين؛ عرفت أنه يعقـل ، وإن تناول الجمرتين ، ولم يرد اللؤلـؤتين ؛ علمت أن أحد لايؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل .

فقرب إليه ؛ فتناول الجمرتين ، فانتزعهما منه مخافة أن تحرقا يده.

فقالـت امرأته : ألا ترى ؟ فصـرفه الله عـنه بعد ما كـان هم به . وكان الله بالغًا فيه أمره .

فلمـا بلغ أشده ، وكان من الـرجال ؛ لم يكن من آل فـرعون أحد يخلص إلى أحد من بني إسرائيل معه بظلم ولا سخرة ، حتى امتنعوا أشد الامتناع . فبينـا موسى يمشي في ناحية المدينة ، إذا هو بـرجلين يقتتلان، أحدهـما فرعـوني ، والآخـر إسرائيـلي . فاسـتغاثـه الإسرائـيلي عـلى الفرعوني، فغضب موسى غضبًا شديدًا ؛ لأنه تناوله وهو يعلم منزلته من بني إسـرائيل وبحـفظه لهـم - لا يعلم الـناس إلا أنه من الـرضاع إلا أم موسى ، إلا أن يكـون الله أطلع موسى من ذلـك على ما لم يطلـع عليه غيـره - فوكز مـوسى الـفرعونـي فقتـله ، وليـس يراهـما أحد إلا الـله والإسرائيلي ، فقال مـوسى حين قتل الرجل : ﴿ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ

﴿إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [١] ، ﴿فَأَصْبَحَ فِي المَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [٢] .الأخبار

فأتي فرعون فقيل له : إن بني إسرائيل قتلوا رجلاً من آل فرعون فخذ لينا بحقنا ولا ترخص لهم . فقال : من قاتله ؟ من يشهد عليه ؟ فإن الملك وإن كان صفوة مع قومه ، لا يستقيم له أن يقتل بغير بينة ، فاطلبوا لي علم ذلك ؛ آخذ لكم بحقكم .

فبينما هم يطوفون لا يجدون بينة ، إذا موسى من الغد قد رأى الإسرائيلي يقاتل رجلاً من آل فرعون آخر، فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني ، فصادف موسى قد ندم على ما كان منه وكَرِهَ الذي رأى ، فغضب الإسرائيلي ، وهو يريد أن يبطش بالفرعوني . فقال للإسرائيلي لما فعل بالأمس واليوم : ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ [٢] فنظر الإسرائيلي إلى موسى بعد ما قال له ما قال ، فإذا هو غضبان كغضبه بالأمس الذي قتل فيه الفرعوني ، فخاف أن يكون بعد [ما] [٣] قال له : ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾[٢] أن يكون أراده ، ولم يكن أراده ، إنما أراد الفرعوني . فخاف الإسرائيلي فقال : ﴿يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ﴾[٤] وإنما قال له ؛ مخافة أن يكون إياه أراد موسى ليقتله فتتاركا .

---

(١) القصص : ١٦ .

(٢) القصص : ١٨ .

(٣) من البداية .

(٤) القصص : ١٩ .

وانطلق الفرعوني فأخبرهم بما سمع من الإسرائيلي من الخبر يقول : ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ﴾[1] فأرسل فرعون الذباحين ليقتلوا موسى ، فأخذ رسل فرعون الطريق الأعظم يمشون على هينتهم يطلبون موسى ، وهم لا يخافون أن يفوتهم ، فجاء رجل من شيعة موسى من أقصى المدينة يسعى ، فاختصر طريقًا ، حتى سبقهم إلى موسى فأخبره ، وذلك من الفتون يا ابن جبير .

فخرج موسى موجهًا [2] نحو مدين ، لم يلق بلاء قبل ذلك، وليس له بالطريق علم إلا حسن ظنه بربه - عز وجل - فإنه قال : ﴿عسى أن يهديني ربِّي سَواءَ السَّبيل . وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ [3] يعني بذلك حابستهن[4] غنمهما ، فقال لهما : ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ معتزلتين لا تسقيان مع الناس؟ قالتا : ليس لنا قوة نزاحم القوم ، وإنا ننتظر فضول حياضهم. فسقى لهما ، فجعل يغرف من الدلو ماءً كثيرًا ، حتى كان أول الرِّعاء وانصرفتا بغنمهما (ق ٥١ /ب) إلى أبيهما، وانصرف موسى فاستظل بشجرة، وقال : ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِن خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [5] واستنكر أبوهما سرعة صدورهما بغنمهما حُفَّلاً [6] بِطَانًا ، فقال : إن لكما اليوم لشأنا .

---

(١) القصص : ١٩ .

(٢) في البداية : متوجهًا .

(٣) القصص : ٢٢ - ٢٣ .

(٤) في البداية : حابستين .

(٥) القصص : ٢٤ .

(٦) ضرع حافل : كثير لبنه ، والجمع: حُفَّل كرُكَّع (ترتيب القاموس : حفل) .

فأخبراه بما صنع موسى ، فأمر إحداهما أن تدعوه . فأتت موسى فدعته، فلما كلمه ﴿ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [(١)] ليس لفرعون ولا لقومه علينا سلطان ، ولسنا في مملكته .

فقالت إحداهما : ﴿ يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ ﴾ [(٢)] .

فاحتملته الغيرة على أن قال لها : ما يدريك ما قوته وما أمانته ؟ فقالت : أما قوته ، فما رأيت منه في الدلو حين سقى لنا ، لم أر رجلاً أقوى في ذلك السقي منه ، وأما الأمانة ، فإنه نظر إلى حين أقبلت إليه وشخصت له ، فلما علم أني امرأة صوب رأسه ، فلم يرفعه حتى بلغته رسالتك ، ثم قال لي : امشي خلفي وانعتي لي الطريق ، فلم يفعل هذا إلا وهو أمين .

فسري عن أبيها ، وصدقها ، فظن به التي قالت ؛ فقال له : هل لك ﴿ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [(٣)] .

ففعل ، فكانت على نبي الله موسى ثماني سنين واجبة ، وكانت السنتان عدة منه . فقضى الله عنه عدته فأتمها عشراً .

---

(١) القصص : ٢٥ .
(٢) القصص ٢٦ .
(٣) القصص : ٢٧ .

قال سعيد بن جبير : فلقيني رجل من أهل الحيرة نصراني من علمائهم ، فقال : هل تدري أي الأجلين قضى موسى ؟

فقلت : لا ، وأنا يومئذ لا أدري . فلقيت ابن عباس فذكرت ذلك له .

فقال : أما علمت أن ثمانية كانت على نبي الله واجبة ، لم يكن نبي الله لينقص منها شيئًا ، وتعلم أن الله كان قاضيا عن موسى عدته التي وعده ، فإنه قضى عشر سنين .

فلقيت النصراني ، فأخبرته بذلك فقال : الذي سألته فأخبرك أعلم منك بذلك ؟ قلت : أجل وأولى .

فلما سار موسى بأهله كان من أمر النار والعصا ويده ما قص الله عليك في القرآن .

فشكا إلى الله - تعالى - ما يتخوف من آل فرعون في القتيل وعقدة لسانه - وإنه كان في لسانه عقدة تمنعه من كثير الكلام - وسأل ربه أن يعينه بأخيه هارون ، يكون له ردءًا ، ويتكلم عنه بكثير لا يفصح به لسانه. فآتاه الله ،وأوحى الله إلى هارون ، فأمره أن يلقاه ، فاندفع موسى بعصاه حتى لقي هارون ، فانطلقا جميعًا إلى فرعون ، فأقاما على بابه حينًا لا يؤذن لهما ، ثم أذن لهما بعد حجاب شديد ، فقالا : ﴿إِنَّا رَسُولاَ رَبِّكَ﴾[1] .

---

(١) طه : ٤٧ .

قال : فمن ربكما ؟

فأخبره بالذي قص الله عليك في القرآن .

قال : فما تريدان ؟ وذكَّره القتيل . فاعتذر بما قد سمعت .

قال : أريد أن تؤمن بالله ، وترسل معي بني إسرائيل . فأبى عليه وقال : ائت بآية إن كنت من الصادقين .

فألقى عصاه ، فإذا هي حية عظيمة فاغرة فاها مسرعة إلى فرعون ، فلما رآها فرعون قاصدة إليه خافها ، واقتحم عن سريره واستغاث بموسى أن يكفها عنه ففعل .

ثم أخرج يده من جيبه ، فرآها بيضاء من غير سوء ، يعني من غير برص ، ثم ردها فعادت إلى لونها الأول .

فاستشار الملأ حوله فيما رأى فقالوا له : هَذَانِ سَاحِرَانِ ﴿يُرِيدَانِ أن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾[1] .

يعني : ملكهم الذي هم فيه والعيش، وأبَوْا على موسى أن يعطوه شيئًا مما طلب ، وقالوا له : اجمع لهما السحرة ، فإنهم بأرضك كثير؛ حتى يغلب سحرك سحرهما . فأرسل إلى المدائن ، فحشر له كل ساحر متعالم[2] فلما (ق ٥٢/١) أتوا فرعون ؛ قالوا : بم يعمل هذا الساحر ؟ قالوا: يعمل بالحيات . قالوا : فلا والله ، ما أحد من الأرض يعمل بالسحر

---

(١) طه : ٦٣ .

(٢) في البداية : متعلم .

بالحيات ، والحبال ، والعِصي الذي نعمل ، وما أجرنا إن نحن عملنا ؟ قال لهم : أنتم أقاربي وخاصتي ، وأنا صانع إليكم كل شيء أحببتم .

فتواعدوا يوم الزينة ، وأن يحشر الناس ضحى .

قال سعيد : فحدثني ابن عباس أن يوم الزينة، اليوم الذي أظهر الله فيه موسى على فرعون والسحرة ، هو يوم عاشوراء .

فلما اجتمعوا في صعيد ، قال الناس بعضهم لبعض : انطلقوا فلنحضر هذا الأمر ﴿ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمُ الغَالِبِينَ ﴾ [(١)] يعني : موسى وهارون ، استهزاء بهما، فقالوا : يا موسى - بعددهم وسحرهم - ﴿ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾[(٢)] ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا ﴾ [(٣)] ﴿فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الغَالِبُونَ ﴾ [(٤)] . فرأى موسى سحرهم ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً ﴾ [(٥)] فأوحى الله إليه ﴿أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾ [(٦)] فلما ألقاها صارت ثعبانًا عظيمًا فاغرة فاها ، فجعلت العصا تلتبس بالحبال ، حتى صارت [حرزًا للثعابين][(٧)] تدخل فيه، حتى ما أبقت عصًا ولا حبلاً إلا ابتلعته ، فلما عرف السحرة ذلك ؛ قالوا : لو

---

(١) الشعراء : ٤٠ .
(٢) الأعراف : ١١٥ .
(٣) طه : ٦٦ .
(٤) الشعراء : ٤٤ .
(٥) طه : ٦٧ .
(٦) الأعراف : ١١٧ .
(٧) من البداية ، وفي الأصل : على الثعبان .

كان هذا سحرًا لم يبلغ من سحرها كل هذا ، ولكنه أمر من أمر الله - تعالى - آمنا بالله وبما جاء به موسى ، ونتوب إلى الله مما كنا عليه ، فكسر الله ظهر فرعون في ذلك الموطن وأشياعه ، وظهر ﴿ الحَقُّ وبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴾ [1] .

وامرأة فرعون بارزة مبتذلة [2] تدعوا الله بالنصر لموسى على فرعون وأشياعه ، فمن رآها من آل فرعون ظن أنها إنما بتذلت للشفقة على فرعون وأشياعه ، وإنما كان حزنها وهمها لموسى .

فلما طال مكث موسى بمواعيد فرعون الكاذبة ، كلما جاء بآية ؛ وعده عندها أن يرسل معه بني إسرائيل ، فإذا مضت أخلف موعده ، وقال : هل يستطيع ربك أن يصنع غير هذا ؟ فأرسل على قومه الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات ، كل ذلك يشكو إلى موسى ويطلب إليه أن يكفها عنه ، ويوافقه على أن يرسل معه بني إسرائيل فإذا كف ذلك ؛ أخلف موعده ونكث عهده حتى أُمر موسى بالخروج بقومه ، فخرج بهم ليلاً ، فلما أصبح فرعون ورأى أنهم قد مضوا أرسل في المدائن حاشرين ، فتبعه بجنود عظيمة كثيرة ، وأوحى الله إلى البحر : إذا ضربك موسى عبدي بعصاه فانفلق [اثنتي عشرة][3]

---

(١) الأعراف : ١١٨، ١١٩ .

(٢) التَّبَذُّلُ : تَرْكُ التَّزَيُّنِ والتَّهَيُّؤ بالهَيْئَة الحَسَنَة الجَميلَة علي جهَة التواضع . ومنه حديث سلمان : «فرأى أم الدرداء مُتَبَذِّلَةً»، وفي رواية : «مُبْتَذِلَةً». لسان العرب (مادة : بذل).

(٣) من البداية ، وفي الأصل : اثنا عشر ، وهو خلاف الجادة .

فرقة، حتى يجوز موسى ومن معه ، ثم التق على من بقي بعد من فرعون وأشياعه .

فنسي موسى أن يضرب البحر بالعصا ، وانتهى إلى البحر وله قصيف[1] ؛ مخافة أن يضربه موسى بعصاه - وهو غافل - فيصير عاصيًا لله عز وجل ! .

فلما تراءى الجمعان وتقاربا، قال أصحاب موسى: إنا لمدركون، افعل ما أمرك به ربك ، فإنه لم يكذب ولم تكذب .

قال : وعدني ربي إذا أتيت البحر ؛ ينفرق اثنتي عشرة فرقة ، حتى أجاوزه ، ثم بعد ذلك ذكر العصا فضرب البحر بعصاه حين دنا أوائل جند فرعون من أواخر جند موسى فانفرق البحر { كما أمره ربه وكما وعد موسى ، فلما جاوز موسى وأصحابه كلهم البحر }[2] ودخل فرعون وأصحابه التقى عليهم البحر كما أمر ، فلما جاوز موسى ؛ قال أصحابه: إنا نخاف ألا يكون فرعون غرق ، ولا نؤمن بهلاكه ، فدعا ربه ، فأخرجه له ببدنه ، حتى استيقنوا بهلاكه .

ثم مروا بعد ذلك على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا: يا موسى اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة، قال: إنكم قوم تجهلون، إن هؤلاء متبرٌ[3] ما

---

(١) قصيف البحر : اشتداد صوته . (ترتيب القاموس : قصف) .
(٢) من البداية .
(٣) التَّبْرُ : الكَسْرُ والإهْلاكُ. (ترتيب القاموس).

هم فيه وباطل ما كانوا يعملون .

وقد رأيتم من العبرة وسمعتم (ق ٥٢ /ب) ما يكفيكم .

ومضى فأنزلهم موسى منزلاً ثلاثين يومًا لم يرجع إليهم فيها ، فلما أتى ربه - عز وجل - وأراد أن يكلمه في ثلاثين يومًا قد صامهن ليلهن ونهارهن ، وكره أن يكلمه ربه وريح فيه ريح فم الصائم ، فتناول موسى من نبات الأرض شيئًا فمضغه ، فقال له ربه حين أتاه : لم أفطرت ؟ - وهو أعلم بالذي كان - قال : يا رب ، إني كرهت أن أكلمك إلا وفمي طيب الريح .

قال : أوما علمت يا موسى ، أن ريح فم الصائم أطيب من ريح المسك ؟ ارجع فصم عشرًا ثم ائتني ، ففعل موسى ما أمره به ربه عز وجل. فلما رأى قوم موسى أنه لم يرجع إليهم ؛ ساءهم ذلك وكان هارون قد خطبهم ، فقال : إنكم خرجتم من مصر ولقوم فرعون عندكم عوارٍ وودائعٌ ، ولكم فيهم مثل ذلك ، وأنا أرى أن تحتسبوا مالكم عندهم، ولا أحل لكم وديعة استودعتموها ، ولا عارية ، ولسنا برادين إليهم شيئًا من ذلك ، ولا نمسكه لأنفسنا ، فحفر حفيرًا وأمر كل قوم عندهم من متاع أو حلية أن يقذفوه في ذلك الحفير ، ثم أوقد عليه النار فأحرقه ، فقال : لا يكون لنا ولا لهم .

وكان السامري من قوم يعبدون البقرة ، جيران لبني إسرائيل ولم

يكن من بني إسرائيل، فاحتمل مـع موسى وبني إسرائيل حين احتملوا ، فقضى له أن رأى أثرًا فقبض منه قبضة . فمر بهارون فقال له هارون : يا سامري ، ألا تلقي ما في يدك ، وهو قـابض عليه لا يراه أحد . فقال : هذه قبضـة من أثر الرسول الذي جاوز بـكم البحر لا ألقيـها لشيء إلا أن تدعو الله ، إذا ألقيتها أن يكون مـا أريد ، فألقاها ودعا له هارون فقال : أريد أن تكون عـجلاً . فاجتمع ما كـان في الحفيرة من متـاع أو حلية أو نحاس أو حديد فصار عجلاً أجوف، ليس فيه روح وله خوار .

قال ابن عباس : لا والله ، ما كان لـه صوت قط، إنما كانت الريح تدخل في دبره وتخرج من فيه فكان ذلك الصوت من ذلك .

فتفرق بنو إسرائيل فرقًا ، فقـالت فرقة : يا سامري ، ما هذا فأنت أعلم به ؟ قال : هذا ربكم ، ولكن موسى أضل الطريق .

وقالت فرقة : لا نكذب بهذا حتى يرجع إلينا موسى ، فإن كان ربنا لم نكن ضيعناه ، { وعـكفنا عليه } (١) حين رأيناه ، وإن لم يـكن ربنا ؛ فإنا نتبع قول موسى .

وقالت فرقـة : هذا من عمل الشيـطان ، وليس بربنا ولـن نؤمن به ولا نصدق .

وأشرب فرقة فـي قلوبهم الصـدق ، لما قال السامري فـي العجل ، وأعلنوا التصديق به .

---

(١) غير واضح في الأصل ، والمثبت من البداية .

فقال لهم هارون : يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن ليس هذا.

قالوا : فما بال موسى وعدنا ثلاثين يومًا ، ثم أخلفنا ؟ هذه أربعون يومًا قد مضت .

(ق ٥٣/أ) فقال سفهاؤهم : أخطأ ربه فهو يطلبه ويبتغيه .

فلما كلم الله موسى ، وقال له ما قال ؛ أخبره بما لقي قومه من بعده، فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفًا، فقال لهم ما ذكر في القرآن: ﴿ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ﴾ (١) وألقى الألواح من الغضب ، ثم إنه عذر أخاه واستغفر له ، وانصرف إلى السامري ، فقال له : ما حملك على ما صنعت ؟ قال : قبضت قبضة من أثر الرسول وفطنت لها ، وعميت عليكم فَقَذَفْتُهَا ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ - إلى قوله تعالى - نَسْفًا ﴾ (٢) . ولو كان إلهًا لم يخلص إلى ذلك منه .

فاستيقن بنو إسرائيل بالفتنة ، واغتبط الذين كان رأيهم فيه مثل رأي هارون ، فقالوا لجماعتهم : يا موسى سل لنا ربك أن يفتح لنا باب توبة نصنعها فتكفر عنا ما عملنا .فَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا لذلك. لا يألوا الخير خيار بني إسرائيل ، ومن لم يشرك. فانطلق بهم يسأل لهم التوبة ، فرجفت بهم الأرض فاستحيا نبي الله موسي من قومه

---

(١) الأعراف : ١٥٠ .

(٢) طه : ٩٦ ، ٩٧ .

ومن وفده حين فُعل بهـم ما فعل . فقال : ﴿ لَوْشِئْتَ أَهْلَكْـتَهُمْ مِن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ (١) وفيهم من كان اللـه اطلع منه على ما أشرب قلبه من حب العجل وإيمـانه به ، فلذلك رجفت بهم الأرض ، فقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (٢) إلى قوله: ﴿وَالإِنجِيلِ﴾ (٢).

فقال موسى : يا رب ، سـألتك التوبة لقومي فقـلت : إن رحمتي كتبتها لقوم غير قومي ، فليتك أخرتني حتى تخرجني في أمة ذلك الرجل المرحومة . فقال له : إن توبتهم أن يقتل كل رجل منهم من لقي من والد وولد ، فيقتلنه بالسيف ، ولا يبالي من قتل في ذلك الموطن .

وتاب أولئـك الذين كان خفي عـلى موسى وهارون ، واطلـع الله على ذنوبهم ، فاعترفوا بها وفعلوا ما أمروا ، وغفر الله للقاتل والمقتول.

ثم سار بهم موسى - عليه السـلام - متوجهًا نحو الأرض المقدسة، وأخذ الألـواح بعدما سـكت عنـه الغضـب، فأمرهم بـالذي أمر بـه من الوظائف، فثقل ذلك عليهم وأبوا أن يقروا بها .

ونتق (٣) الله عليهم الجبل كأنه ظلـة ، ودنا منهم حتى خافوا أن يقع عليهـم ، فأخذوا الكتاب بـأيمانهم ، وهم مصـغون نحو الجبل والـكتاب بأيديهم ، وهم مـن وراء الجبل ؛ مخافة أن يقع عليهـم ، ثم مضوا حتى أتوا الأرض المقـدسة ، فوجدوا مدينـة فيها قوم جـبارون ، خلقهـم خلق

---

(١) الأعراف : ١٥٥.

(٢) الأعراف : ١٥٦ ، ١٥٧ .

(٣) نَتَقَه : زَعْزَعَه . (ترتيب القاموس).

منكر، وذكر من ثمارهم أمرًا عجيبًا من عظمها ، «قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ» لا طاقة لنا بهم ، ولا ندخلها ما داموا فيها «فإن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (ق ٥٣/ ب) قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا» من الجبارين آمنا بموسى ، وخرجا إليه فقالوا : نحن أعلم بقومنا، إن كنتم إنما تخافون ما رأيتم من أجسامهم وعددهم ، فإنهم لا قلوب لهم ولا منعة عندهم «فَادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ» .

ويقول الناس[1] : إنهم من قوم موسى .

فقال الذين يخافون من بني إسرائيل : ﴿ **يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا** ﴾ [2] الآية .فأغضبوا موسى، فدعا عليهم وسماهم فاسقين ، ولم يدع عليهم قبل ذلك ؛ لما رأى منهم المعصية وإساءتهم حتى كان يومئذ ، فاستجاب الله له ، وسماهم كما سماهم فاسقين فحرمها عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض ، يصبحون كل يوم فيسيرون ليس لهم قرار، ثم ظلل عليهم الغمام في التيه وأنزل عليهم المن والسلوى ، وجعل لهم ثيابًا لا تبلى ولا تتسخ ، وجعل بين ظهرانيهم حجرًا مربعًا ، وأمر موسى فضربه بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا ، في كل ناحية ثلاثة أعين ، وأعلم كل سبط عينهم التي يشربون منها ، فلا يرتحلون من مكان إلا وجدوا ذلك الحجر بينهم بالمحل الذي كان فيه بينهم بالمنزل الأول

---

(١) في البداية : أناس ، وهو الأشبه .
(٢) المائدة : ٢٤ .

بالأم .

رفع ابن عباس هذا الحديث إلى النبي ﷺ وصدق ذلك عندي أن معاوية سمع ابن عباس يحدث هذا الحديث، فأنكر عليه أن يكون الفرعوني الذي أفشى على موسى أمر القتيل الذي قتل . فقال : كيف يفشي عليه ولم يكن علم به ولا ظهر عليه إلا الإسرائيلي الذي حضر ؟ فغضب ابن عباس فأخذ بيد معاوية فانطلق به إلى سعد بن مالك الزهري فقال له: يا أبا إسحاق ، هل تذكر يوم حدثنا رسول الله ﷺ عن قتيل موسى الذي قتل من آل فرعون ، الإسرائيلي الذي أفشى عليه أم الفرعوني؟ قال : إنما أفشى عليه الفرعوني بما سمع من الإسرائيلي الذي شهد ذلك وحضره .

قال ابن كثير : سمعت شيخنا المزي يقول : إن الأغلب أن أكثر هذا الحديث متلقى عن كعب الأحبار ونحوه من الإسرائيليات ، وفيه شيء يسير مصرح برفعه ، وفي كثير منه نظر ، ويبعد أن يكون جميعه مرفوعًا.



قصة قبة الزمان

قالوا : أمر الله موسى بعمل قبة من خشب الشمشاز وجلود الأنعام، وشعور الأغنام ، وأمره بتزيينها بالحرير المُصْبَغ والذهب والفضة، ولها عشر سرادقات ، طول كل واحد ثمانية وعشرون ذراعًا ، وعرضه أربعة أذرع ، ولها أربعة أبواب وأطناب[1] من حرير ، وفيها صفائح، وفي [كل] [2] زاوية بابان ، فكانت لهم كالكعبة يصلون إليها ، وذلك قبل عبادتهم العجل .

قالوا : وكانت هذه القبة معهم في التيه ، وكان موسى يؤمهم، وكان موسى إذا تحاكموا إليه في شيء يجيء إلى القبة ، فيقف عندها فيأتيه الخطاب ، وكان فيها التابوت الذي ذكره الله في القرآن وقد بسط هذا الفصل في كتبهم مطولا جدا .

قالوا : وكان الغرض بالقبة المذكورة أن توضع في موضع الصخرة ببيت المقدس ؛ لتكون صلاتهم إليها ، إذا فتحوا بيت المقدس ، وقد فعل ذلك يوشع ، لما فتح بيت المقدس ، فاستمرت الصلاة إليه إلى زمان نبينا ﷺ .



(١) الطُّنُبُ - بضمتين - : حَبْلٌ طويلٌ يُشَدُّ به سُرادِقُ البيتِ، أو : الوَتَدُ. (ترتيب القاموس).

(٢) من البداية .

قصة قارون

والذي يظهر أنها كانت قبل خروجهم من مصر ، أو بعد استقرارهم في التيه .

قال أحمد : حدثنا أبو عبد الرحمن هو المقرئ، ناسعيد هو ابن أبي أيوب ، نا كعب بن علقمة ، عن عيسى بن هلال ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي ﷺ أنه ذكر الصلاة فقال : « من حافظ عليها؛ كانت له نوراً ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها ؛ لم يكن له نور ولا برهان ، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأُبي بن خلف» .

قال الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، كان قارون ابن عم موسى . وهو قول أكثر أهل العلم ونسبه ابن جريج فقال : قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي .

وأغرب ابن إسحاق فقال : كان عم موسى .

قال قتادة : كان يسمى النور [١] لحسن صوته بالتوراة . وقال شهر ابن حوشب : زاد في ثيابه شبراً طولاً ؛ ترفعًا على قومه ، ولما وعظه النصحاء من قومه ؛ أجابهم أني لا أحتاج إلى ما ذكرتم ، لأن الله أعطاني هذا لعلمه أني أستحقه وأني أهل له ، ولولا أني حبيب إليه ؛ ما أعطاني ذلك .

---

(١) في البداية : المنور .

وقيل : كان يعلم صناعة الكيمياء .

وقيل : إنه لما خرج في تلك الزينة الموصوفة ، مر على موسى وهو يُذَكِّر قومه ، فانـصرفت وجوه الناس معه ، فدعاه مـوسى ، فقال له: ما يحملـك على هذا ؟ فقال : يا موسـى ، إن كنت فضلت علي بـالنبوة ، فقد فضلت عليك بالمال ، ولئن شـئت لتخرجن فتدعون علي ، ولأدعون عليك ، فخرجوا جميعًا فدعا قارون ؛ فلم يجب .

فقال له موسى: أدعو ؟ قال : نعم .

فقال موسى : اللهم ، مر الأرض أن تطيعني . ففعل .

فقال موسى : يا أرض خذيهم ، فأخـذتهم إلى أقدامهم، ثم قال : خذيهم فأخذتهم إلى ركبهم ، ثم قال : خذيهم فاستوت بهم الأرض .

وعن قتادة : يخسف بهم كل يوم قامة إلى يوم القيامة .

وعن ابن عباس : خسف بهم إلى الأرض السابعة .



بقية من أخبار موسى عليه السلام

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن موسى كان رجلاً حييا ستيراً لا يرى جلده من استحيائه ، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل ، فقالوا : ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده ، إما برص وإما أُدْرة [1] وإما آفة ، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا : فخلا يومًا وحده، فوضع ثيابه على الحجر ، ثم اغتسل ، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ؛ ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه ، فأخذ موسى عصاه ، وطلب الحجر فجعل يقول : ثوبي حجر ، ثوبي حجر ، حتى انتهى إلى ملإ من بني إسرائيل فرأوه عريانًا أحسن ما خلق الله ، وأبرأه مما يقولون ، فقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه ، وطفق بالحجر ضربًا بعصاه ، فوالله ، إن بالحجر لَنَدبًا [2] من أثر ضربه ثلاثًا أو أربعًا أو خمسًا .

قال : فذلك قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى ....** ﴾ [3] الآية .

أخرجه البخاري من طريق الحسن ، ومحمد ، وخلاس عن أبي هريرة وهذا لفظه ، وأخرجاه من طريق همام ، ومسلم من طريق عبد الله

(١) الأُدرة بالضم : نفخة في الخصية ، (النهاية في غريب الحديث : أدر) .
(٢) النَدَب : بالتحريك : أثر جرح إذا لم يرتفع عن الجلد ، فشبه به أثر الضرب في الحجر ، (السابق : ندب) .
(٣) الأحزاب : ٦٩ .

ابن شقيق ، كلاهما عن أبي هريرة .

وعن أنس : « أن رسول الله ﷺ مر بموسى وهو قائم يصلي في قبره» أخرجه مسلم .

وعن أنس ، عن مالك بن صعصعة في حديث الإسراء « أنه ﷺ مر بموسى في السماء السادسة . فقال له جبريل : هذا موسى فسلم عليه، قال : فسلمت عليه ، فقال : مرحبًا بالنبي الصالح ، والأخ (ق ٥٤ / ب) الصالح ، فلما تجاوزت بكى قيل له : ما يبكيك ؟ قال : أبكي لأن غلامًا بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي »(١) .

قال أحمد : حدثنا شريح ، نا هشيم ، نا حصين : كنت عند سعيد ابن جبير فقال : أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة ؟ قلت : أنا . ثم قلت : أما إني لم أكن في صلاة ولكن لدغت . قال : وكيف فعلت؟ قلت : استرقيت . . . فذكر الحديث ، وفيه عن ابن عباس يرفعه : «عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط ، والنبي ومعه الرجل والرجلان ، والنبي وليس معه أحد ، إذ رفع لي سواد عظيم ، ثم قيل : انظر إلى هذا الجانب ، فإذا سواد عظيم ، فقيل : هذا موسى وقومه ولكن انظر إلى الأفق . . .» الحديث.

رواه البخاري من حديث حصين .

وقال أحمد : حدثنا هشيم ، نا داود ، عن أبي العالية ، عن ابن

(١) متفق عليه .

عباس : « أن رسول الله ﷺ مر بوادي الأزرق فقال : كأني أنظر إلى موسى وهو هابط من الثنية وله جؤار إلى الله بالتلبية ، حتى أتى على ثنية هرشا ، قال : كأني أنظر إلى يونس بن متى » .

وروى الطبراني من حديث ابن عباس : « أن موسى حج على ثور أحمر » [1] .

وعن مجاهد : كنا عند ابن عباس ، فذكروا الدجال . فقال : لم أسمعه ولكن قال : « فأما موسى ، فرجل آدم جعد على جمل أحمر مخطوم بخلبة[2] ، كأني أنظر إليه ، وقد انحدر من الوادي يلبي » .

أخرجه أحمد ، وفي رواية له : « فآدم جسيم » .

وعن أبي العالية حدثنا ابن عم نبيكم قال نبي الله ﷺ : «رأيت ليلة أسري بي موسى بن عمران رجلاً طوالاً جعدًا ، كأنه من رجال شنوءة » . أخرجه أحمد .

وعن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة قال : « قال رسول الله ﷺ حين أسري به : لقيت موسى . فنعته فقال : رجل مضطرب ، رَجِل الرأس ، كأنه من رجال شنوءة » . أخرجه أحمد .



(١) قال الحافظ ابن كثير في البداية : وهذا غريب جدا .
(٢) الخُلْب : اللِّيف، واحدته : خُلْبَة. (النهاية : خلب).

ذكر وفاة موسى

عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : « أُرسل ملك الموت إلى موسى فلما جاءه صكه ، فرجع إلى ربه ، فقال : أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت ، فقال : ارجع إليه فقل له : يضع يده على متن ثور فله بما غطت يده بكل شعرة سنة . قال : أي رب ، ثم ماذا ؟ قال: ثم الموت . قال : فالآن . قال : فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر ، فلو كنت ثمَّ لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر» .أخرجاه .

وعن أبي يونس ، عن أبي هريرة : « جاء ملك الموت إلى موسى فقال : أجب ربك ، فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها ، فرجع الملك إلى الله فقال : : إنك بعثتني إلى عبد لك لا يريد الموت . قال : وقد فقأ عيني . قال : فرد الله عينه وقال : ارجع إلى عبدي فقل له : ألحياة تريد ؟ فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور ، فما وارت يدك من شعره فإنك تعيش بكل شعرة سنة . قال : ثم مه ؟ قال : ثم الموت .

قال : فالآن من قريب يا رب » .

قال : ابن حبان : إنما ضرب موسى الملك ؛ لأنه لم يعرفه أولاً ؛ لمجيئه على غير صورة يعرفها ، كما لم يعرف إبراهيم ولا لوط الملائكة، فلطمه ففقأ عينه ؛ لأنه دخل داره بغير إذنه .

وتأوله في موضع آخر أنه لما رفع يده ليلطمه قال له : أجب ربك. وهو تأويل مخالف لصريح الحديث .

(ق ٥٥ / ١) { ثم أورد الحديث من طريق همام }[١] عن أبي هريرة رفعه قال : « كان ملك الموت يأتي الناس عيانًا ، فأتى موسى فلطمه ففقأ عينه ، فأتي ربه فقال : يا رب، عبدك موسى فقأ عيني ولولا كرامته عليك لفقأت عينه أو لشققت عليه ، فذكر نحوه قال : ما بعد هذا ؟ قال الموت . قال: الآن . قال : فشمه شمة فقبض روحه . ورد الله على ملك الموت عينه ، وكان يأتي الناس خفية » .

وقال السدي في التفسير عن أبي مالك ، وأبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من الصحابة ، قالوا : ثم إن الله أوحى إلى موسى أني متوفٍ هارون ، فائت به جبل كذا وكذا، فانطلق موسى بهارون نحو ذلك الجبل ، فإذا هم بشجرة عظيمة وبيت مبني ، وسرير عليه فرش فيه ريح طيبة ، فأعجب ذلك هارون فنام على السرير فجاء ملك الموت فقبض ، ورفع ذلك البيت بما فيه ، ورجع موسى إلى قومه وحده . فقالوا : قتل موسى هارون وحسده لحب بني إسرائيل له . وكان هارون ألين لهم من موسى . فلما بلغه ذلك قال لهم: ويحكم، أفتروني أقتل أخي ، فلما أكثروا عليه قام فصلى ركعتين ثم دعا الله فنزل السرير حتى نظروا إليه .

---

(١) غير واضح في الأصل ، والمثبت من البداية .

قال : فلمـا دنت وفاة موسى مشى هـو وفتاه يوشع؛ فأقـبلت ريح سوداء ، فظن يوشع أنها الساعة ، فالتزم موسى ، فانسل موسى من تحت القميص ، فأقبل يوشع بالقميص إلى بني إسرائيل فقالوا : قتلت موسى. فدعا الله فأرسل إلى كل من أنكر على يوشع من أتاه في منامه فقال له : إن يوشع لم يقتل موسى (١) .

وعن وهب بن منبه قال : مر موسى بملإ من الملائكة يحفرون قبرًا ، فلم ير أحسن منه ، ولا أنضر ، ولا أبهـج. فقال : يا ملائكة الله ، لمن تحفرون هذا الـقبر ؟ فقالوا : لعبـد من عباد الله ، كريم علـى الله ، فإن كنت تحب أن تـكون هذا العبد فادخل . فـفعل ، فمات ، فصلـت عليه الملائكة ودفنوه .

وقيل : عاش مائة وعشرين سنة .



(١) كتب في الهامش : وستأتي قصة لموته في أول قصة يوشع اهـ.
وقال الحافـظ ابن كثير بعـدما أورد رواية السدي بـإسناده المعروف : وفي بـعض هذا السياق نكارة وغرابة .
قلت : وهذا مما أخذ عن كتب بني إسرائيل ، وفيها نكارة كما قال الحافظ .

قصة يوشع

هو ابن نون بن أفرائيم بن يوسف نبي الله .

متفق على نبوته عند أهل الكتاب حتى السامرة .

وحكى ابن إسحاق وغيره أن يوشع نبئ في حياة موسى ، فكان موسى يلقى يوشع فيسأله ما أحدث الله له من الوحي فكان يكره . إلى أن قال له مرة : يا كليم الله ، إني كنت لا أسألك حتى تخبرني ابتداءً ، فعند ذلك كره موسى الحياة وأحب الموت .

ولما مات موسى وقام يوشع سار ببني إسرائيل عند أقصى الأربعين سنة من التيه ، فقطع نهر الأردن ، وانتهى إلى أريحا فحاصرها ستة أشهر، ثم أحاطوا بها يومًا ، وكبروا تكبيرة واحدة ، وضربوا الأبواق ، فتفسخ سورها وسقط ، فدخلوها وسبوا وقتلوا .

ويقال : إنه ظهر على أحد وثلاثين ملكًا بالشام .

وعن ابن سيرين ، عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ : «إن الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوشع بن نون ليالي سار إلى بيت المقدس».

أخرجه أحمد بهذا اللفظ .

وقيل : إنه انتهى في محاصرة أريحا يوم جمعة ، فدخل وقت العصر ، وكادت الشمس أن تغرب ويدخل السبت . فقال يوشع للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور ، اللهم ، احبسها علي ، فحبسها عليه

حتى تمكن من فتح البلد ، قالـوا : وأمر القمر فوقف عن الطلوع . وهي زيادة . . . باقي الحديث . . . » [1] .

وعن همام ، عن أبي هريرة قـال رسول الله ﷺ : «غزا نبي من الأنبياء فقال لقـومه : لا يتبعني رجل ملك بضع امـرأة وهو يريد أن يبني بها ، ولا آخر قد بنى بنيانًا ولم يرفـع سقفها ، ولا آخر قد اشترى غنمًا، وهو ينتظر أولادها .

فغزا فـدنا من القريـة حين صلى العصـر أو قريبًا من ذلـك . فقال للشمس : إنك مأمورة ، وأنا مأمور ، اللهم احبسها علي شيئًا . فحبست عليه حـتى فتح الله عـليه (ق ٥٥/ب) فجمـعوا ما جمعـوا . . .» الحديث أخرجه أحمد ومسلم .

وعن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة ، عن النبي نحوه قال : ورواه قتادة ، عـن سعيد بن المسيب ، عن أبي هـريرة نحوه، قالـوا : وقبض يوشع وهو ابن مائة وسبعين وعشرين سـنة ، وكان بقاؤه بعد موسى سبعًا وعشرين سنة .



(١) غير واضح فـي الأصل ، وفي البداية : وأما قصـة القمر فمن عند أهـل الكتاب ولا ينافي الحديث ، بل فيه زيادة تستفاد ، فلا تصدق ولا تكذب . . . إلى آخره .

قصة الخضر

روى الدارقطني من طريق مقاتل ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : الخضر ابن آدم لصلبه ، ونُسِيءَ له في أجله حتى يلقى الدجال .

هذا منقطع .

وقال أبو حاتم : سمعت مشيختنا أبا عبيدة وغيره قالوا : إن أطول بني آدم عمرًا الخضر ، واسمه خضرون بن قابيل بن آدم . وذكر ابن قتيبة عن وهب بن منبه: اسم الخضر : يلياء بن ملكان بن فالع بن عابر بن شالخ ابن أرفخشذ بن سام بن نوح، وقيل : اسمه : المعمر بن مالك بن عبد الله ابن نصر بن الأزد .

وقيل : خضرون بن عميائيل بن اليفز بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم .

وقيل : كان ابن فرعون . قال ابن الجوزي : رواه محمد بن أيوب، عن ابن لهيعة، وقيل : كانت أمه رومية وأبوه فارسيا .

وحكى ابن إسحاق أن آدم لما حضره الموت أوصى بنيه أن يدفنوه بمكان عينه لهم، فحمله نوح في السفينة ، فلما هبط أمر بنيه أن يدفنوه بالمكان المذكور فجبنوا عن ذلك ، وهابوا المسير إلى ذلك الموضع ، فتولى الخضر دفنه، فأجيبت فيه دعوة آدم بالتعمير . وقيل : من ذرية بعض من

آمن بإبراهيم . وقيل : كان على مقدمة ذي القرنين . وقيل : إنه كان في زمن أفريدون .

وروى البخاري من طريق همام ، عن أبي هريرة مرفوعًا : « إنما سمي الخضر ؛ لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز من خلفه خضراء» .

قال عبد الرزاق : الفروة الحشيش الأبيض وما أشبهه .

أخرجه البخاري دون قول عبد الرزاق .

وروى قتادة ، عن عبد الله بن الحارث ، عن ابن عباس نحوه .

وحكى الخطابي إنما قيل له : الخضر لحسنه ، وإشراق وجهه .

قلت : وفي ذلك ما يدل على أن له اسمًا غير الخضر، وأصح الأقوال أنه كان نبيا ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾[1] ولقوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ﴾[2] .

وعن محمد بن زياد ، عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه : « ألا أحدثكم عن الخضر ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال: بينما هو ذات يوم يمشي في سوق بني إسرائيل أبصره رجل مكاتب، فقال: تصدق علي بارك الله فيك . فقال الخضر : آمنت بالله ، ما شاء

(١) الكهف : ٦٥ .
(٢) الكهف : ٨٢ .

الله من أمر يكون، ما عندي من شيء أعطيكه .

فقال المسكين : أسألك بوجه الله لما تصدقت عليَّ ، فإني نظرت السماء في وجهك ، ورجوت البركة عندك . فقال الخضر : آمنت بالله، ما عندي شيء أعطيكه ، إلا أن تأخذني فتبيعني ، لقد سألتني بأمر عظيم فلا أخيبك . فقدمه إلى السوق فباعه بأربعمائة درهم ، فمكث عند المشتري (ق ٥٦ /أ) زمانًا لا يستعمله في شيء . فقال له : إنك إنما ابتعتني التماس خير عندي ، فأوصني بعمل . قال : أكره أن أشق عليك؛ إنك شيخ كبير ضعيف . قال : ليس تشق علي . قال : فانقل هذه الحجارة ، وكان لا ينقلها دون ستة نفر في يوم فخرج الرجل لبعض حاجته ثم انصرف وقد نقل الحجارة في ساعة . فقال : أحسنت وأجملت وأطقت ما لم أرك تطيقه، ثم عرض للرجل سفر فقال : إني أحسبك أمينًا فاخلفني في أهلي. قال : فأوصني بعمل . قال: فاضرب من اللَّبِن لبيتي حتى أقدم. فمضى الرجل لسفره فرجع وقد شيد بناءه. فقال: أسألك بوجه الله ما أمرك ؟ قال : سألتني بوجه الله ، والسؤال بوجه الله أوقعني في العبودية ، أنا الخضر الذي سمعت به ، سألني مسكين . . . فذكر القصة .

قال : وأخبرك أنه من سئل بوجه الله فرد سائله ، وهو يقدر ، وقف يوم القيامة جلده لا لحم له ولا عظم .

فقال الرجل : آمنت بالله ، شققت عليك يا نبي الله ، ولم أعلم . قال : لا بأس، أحسنت وأبقيت. فقال الرجل: احكم يا نبي الله في أهلي ومالي بما أراك الله فقال : أحب أن تخلي سبيلي فأعبد ربي. فخلى سبيله ، فقال : الحمد لله الذي أوقعني في العبودية ثم نجاني منها[1] .

ابن أبي الدنيا ، نا كامل بن طلحة ، نا عباد بن عبد الصمد ، عن أنس قال : لما قبض رسول الله ﷺ أحدق به أصحابه فبكوا حوله ، فدخل رجل فتخطى رقابهم ، فذكر التعزية ، وفيه: فقال أبو بكر وعلي: هذا أخو رسول الله ، هذا الخضر .

وأخرجه البيهقي من طريق محمد بن بشر بن مطر ، عن كامل نحوه. وعباد ضعيف جدا .

وعن عبد الله بن وهب ، عمن حدثه ، عن محمد بن عجلان، عن محمد بن المنكدر: أن عمر بينما هو يصلي على جنازة إذ سمع هاتفًا يقول : لا تسبقنا يرحمك الله . فانتظره ، فذكر الحديث، وفيه أنه دعا فقال: اللهم، إن تعذبه فكثيراً ما عصاك ، وإن تغفر له ففقير إلى رحمتك. فلما دفن قال : طوبى لك إن لم تكن عريفًا ولا كاتبًا ولا شرطيا ، فلما فرغ . قال[2] عمر : خذوا الرجل . فتوارى عنهم، فنظروا فإذا أثر قدمه ذراع، فقال عمر : هذا والله الخضر [3] .

---

(١) قال الحافظ ابن كثير في البداية : وهذا حديث رفعه خطأ ، والأشبه أن يكون موقوفًا، وفي رجاله من لا يعرف ، فالله أعلم .

(٢) في الأصل : فقال .

(٣) قال الحافظ ابن كثير : وهذا الأثر فيه مبهم ، وفيه انقطاع ، ولا يصح مثله .

وعن الثوري ، عن عبد الله بن محرز ، عن يزيد بن الأصم ، عن علي بن أبي طالب قال : دخلت الطواف فإذا رجل متعلق بأستار الكعبة، وهو يقول : يا من لا يشغله سمع عن سمع . . . الحديث . فإذا هو الخضر[(١)] .

ورواه أبو إسماعيل ، عن مالك بن إسماعيل ، عن صالح بن أبي الأسود ، عن محفوظ الحضرمي ، عن محمد بن يحيى قال : بينما علي يطوف . . . فذكر نحوه .[(٢)] .

وأخرجه ابن أبي الدنيا عن يعقوب بن يوسف ، عن مالك بن إسماعيل به[(٣)] .

وقال أبو إسحاق المزكي ، قال ابن خزيمة : نا محمد بن أحمد بن زَبْدا ، نا عمرو بن عاصم ، نا الحسن بن رزين ، عن ابن جريج، عن عطاء ، عن ابن عباس مرفوعًا : « يلتقي الخضر وإلياس كل عام في الموسم فيحلق كل واحد منهما (ق ٥٦/ب) رأس صاحبه ويتفرقان عن هؤلاء الكلمات : بسم الله ، ما شاء الله . . . الحديث .

أخرجه الدارقطني في الأفراد ، وقال : غريب من حديث ابن

(١) قال الحافظ ابن كثير : وهذا ضعيف من جهة عبد الله بن محرز ، فإنه متروك الحديث ، ويزيد بن الأصم لم يدرك عليا ، ومثل هذا لا يصح .
(٢) قال ابن كثير : وهذا أيضًا منقطع ، وفي إسناده من لا يعرف .
(٣) ونقل ابن كثير في البداية عن ابن الجوزي أنه قال في هذا الأثر : وهذا إسناد مجهول منقطع ، وليس فيه ما يدل على أن الرجل الخضر .

جريج، تفرد به هذا الشيخ، يعني الحسن [1] .

وعن عبد الله بن الحسن بن الحسن ، عن أبيه ، عن جده ، عن علي مرفوعًا : « يجتمع كل عرفة بعرفة جبريل وميكائيل وإسرافيل ، والخضر . . الحديث بطوله، أخرجه ابن عساكر ، وفي إسناده كذاب .

ومن طريق هشام بن خالد ، عن الحسن بن يحيى ، عن ابن أبي رواد ، قال : يجتمع إلياس والخضر فيصومان رمضان ببيت المقدس ويحجان في كل سنة ، ويشربان من ماء زمزم شربة تكفيهما إلى مثلها من قابل .

وقال يعقوب بن سفيان في تاريخه: حدثنا محمد بن عبد العزيز الرملي: نا ضمرة ، عن السري بن يحيى ، عن رياح بن عبيدة قال : رأيت رجلاً يماشي عمر بن عبد العزيز معتمدًا على يديه ، فقلت في نفسي : إن هذا الرجل جافٍ . قال : فلما انصرف من الصلاة قلت له : من الرجل الذي كان معتمدًا على يدك آنفًا . قال : هل رأيته يا رياح ؟ قلت: نعم . قال: ما أحسبك إلا رجلاً صالحًا، ذاك أخي الخضر ، بشرني أن سأَلِي؛ فأَعْدِل . [2] .

وقال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عبيد الله ، عن

(١) وقال العقيلي : مجهول - يعني الحسن - وحديثه غير محفوظ ، وقال ابن المنادى: هذا حديث واه بالحسن بن رزين .

(٢) قال ابن الجوزي : الرملي مجروح عند العلماء ، وقد قدح أبو الحسين بن المنادى في ضمرة ، والسري ورياح . نقلاً من البداية لابن كثير .

أبي سعيد : حدثنا رسول الله ﷺ حديثًا طويلاً عن الدجال . . فذكر الحديث في قصة الذي يقتله الدجال ، ويحييه ، ثم لا يسلط عليه.

قال معمر : بلغني أنه يجعل على حلقه صفيحة من نحاس، وبلغني أنه الخضر .

وكذلك قال إبراهيم بن سفيان الراوي عن مسلم : بلغني أن هذا الرجل الخضر .

وقد صنف ابن الجوزي كتاب في إنكار حياة الخضر ، فبين ضعف أسانيد الأحاديث الواردة فيما يدل على بقائه ، واحتج للإنكار بقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ ﴾ [1] . فدخل فيه الخضر ، فمن ادعى أنه مخصوص فعليه البيان .

وبقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ [2] الآية .

قال ابن عباس : « ما بعث الله نبيا إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه . . » الحديث رواه البخاري، فدخل الخضر في ذلك .

ولم يأت من طريق صحيح أنه جاء إلى النبي ﷺ وقاتل معه.

وقد روى أحمد حديث : « والذي نفسي بيده ، لو كان موسى حيا

(١) الأنبياء : ٣٤ .

(٢) آل عمران : ٨١ .

لما وسعه إلا أن يتبعني » . وموسى أفضل من الخضر فلو كان حيا لأتى النبي ﷺ واتبعه .

وبقوله ﷺ يوم بدر : « اللهم ، إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض . . . » فلو كان الخضر موجودًا لم يصح هذا النفي . فإن قيل: يحتمل أنه كان تحت الراية مختفيًا . كانت دعوى تحتاج إلى بيان .

وجزم بأنه مات: البخاري ، وإبراهيم الحربي ، وابن المنادي ، وبعض شيوخ أبي يعلى بن الفراء ، وأبو طاهر العبادي .

واحتج لهم أيضًا بأنه لو كان حيا لم يمت ﷺ حتى يقص الله من أمره وأمر الخضر ، ولكان يأمر الخضر أن يظهر العجائب بحضرته وحضرة أصحابه بل كان ذلك أعظم في قلوب الكفرة ، ولاسيما أهل الكتاب .

(ق ٥٧ /١) هذا مع عموم قوله ﷺ في آخر عمره : « على رأس مائة سنة لا يبقى على وجه الأرض ممن هو عليها اليوم أحد » .

أخرجه الشيخان من طرق ، ولمسلم: أن ذلك كان قبل موته بشهر.

قلت : أصح ما ورد في ذلك قصة رياح بن عبيدة مع عمر بن عبد العزيز (١) . فيجمع بينه وبين هذا الحديث بأن ذلك كان قبل المائة ، وإلى ذلك جنح ابن العربي .

وجزم ابن الصلاح ، ثم النووي ، وقبلهما السهيلي بأنه حي يرزق.

---

(١) قد سبق أن الحافظ ابن الجوزي طعن فيها ، ونقل الحافظ ابن كثير في البداية أنه رواه من طريق آخر عن عمر وفيه اجتماعه بالخضر وضعفه أيضًا .

وعن مكحول عن كعب : « أربعة أنبياء أحياء ، أمان لأهل الأرض، اثنان في الأرض : الخضر وإلياس ، واثنان في السماء : إدريس وعيسى»[1].



(١) قال الحافظ في البداية : لا يصح ، والذي عليه الدليل أن الخضر مات ، وكذلك إلياس عليهما السلام .

قصة إلياس

قيل : هو إلياس بن يس بن فنحاص بن عيزار بن هارون بن عمران، وكان أرسل إلى أهل بعلبك بأن يتركوا عبادة بعل صنمهم، فكذبوه وخالفوه، فاختفى منهم .

وروى هشام بن عمار قال : سمعت من يذكر عن كعب الأحبار أن إلياس اختفى من الملك الكافر الذي أراد قتله عشر سنين في مغارة الدم ، حتى هلك الملك وولي غيره ، فأتاه إلياس فعرض عليه الإسلام ، فأسلم وأسلم قومه إلا عشرة آلاف فقتلوا .

وروى البيهقي من طريق مكحول ، عن أنس قال : « كنا مع رسول الله ﷺ فنزل منزلاً فإذا رجل في الوادي يقول : اللهم ، اجعلني من أمة أحمد ، قال : فأشرفت فإذا رجل طوله أكثر من ثلثمائة ذراع... الحديث .

وفيه أنه إلياس .

وفيه أن النبي ﷺ اجتمع به وأكل معه من مائدة من السماء ، وبها خبز وحوت وكرفس (١) .

قال : فأكلا وأطعماني .

قال : ثم ودعه ورأيته مر في السحاب .

---

(١) الكرفس : بقل (ترتيب القاموس : كرفس) .

وهذا موضوع ، وهو مخالف لما تقدم أنه يأكل في السنة مرة واحدة.

وروى ابن عساكر هذا من طريق أخرى عن مكحول ، عن واثلة وفيه : أن ذلك كان في غزوة تبوك . وفيه : كان في المائدة خبز ورمان وعنب وموز ورطب [١] .

وروى ابن أبي الدنيا عن بشر بن معاذ، عن حماد بن واقد، عن ثابت قال: كنت مع مصعب بن الزبير بسواد الكوفة فدخلت حائطًا أصلي فيه ركعتين فافتتحت: ﴿حم ، تَنزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللَّهِ العَزِيزِ العَلِيمِ﴾[٢] فإذا رجل من خلفي على بغلة شهباء عليه مقطعات يمنيّة فقال لي: إذا قلت: ﴿غَافِرِ الذَّنبِ﴾[٣] فقل: يا غافر الذنب اغفر لي.. الحديث[٤] .

قال : فخرجت فسألت عنه، فقالوا : ما رأينا أحدًا . قال : فكانوا لا يرون إلا أنه إلياس .

وعن ابن عباس وابن مسعود : إلياس هو إدريس ، وحكاه البخاري تعليقًا ، وإليه ذهب الضحاك، وحكاه أيضًا قتادة وابن إسحاق، والصحيح أنه غيره .



---

(١) قال الحافظ ابن كثير : وهذا موضوع أيضًا .
(٢) غافر : ١، ٢ .
(٣) غافر : ٣ .
(٤) في إسناده حماد بن واقد ، وهو ضعيف .

(ق ٥٧/ب) قصة داود ومبادئها

وكان بعد يوشع، كالب بن يوفنا، ثم بعده حزقيل بن بوزي صاحب النفر ﴿ الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ (١) .

ثم كان بعده إلياس ، ثم خلفه اليسع بن عدي بن شوتلم بن أفرائيم ابن يوسف نبي الله ، ويقال : إنه الأسباط .

ثم كان فيهم شمويل بن بالي بن علقة بن حام(٢) وقيل في نسبه غير ذلك .

وكانت أمه قد أسلمته في المسجد عند شخص صالح فيما رواه السدي . قال : بينما هو نائم إذ سمع صوتًا فانتبه مذعورًا فأتى إلى الشيخ مرارًا يظن أنه الذي يدعوه ، فإذا جبريل، فقال له : إن ربك قد بعثك إلى قومك .

قال أكثر المفسرين : كان النبي الذي قال له قومه : ﴿ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (٣) .

وهو شمويل . وقيل : اسمه شمعون . وقيل : هو يوشع وهو بعيد، فقد ذكر ابن جرير أن بين يوشع وشمويل أربعمائة وسبعين (٤) سنة

---

(١) البقرة : ٢٤٣ .
(٢) في البداية : يرخام .
(٣) البقرة : ٢٤٦ .
(٤) في البداية : أربعمائة وستين سنة .

وحكى ابن إسحاق أنه اليسع .

وكان الملك الذي أمر الله شمويل أن يبعثه عليهم طالوت بن قيش من ذرية بنيامين بن يعقوب .

قال عكرمة والسدي : كان سقاءً له أحمرة يستقي عليها . وقال وهب : كان دباغًا .

فكان من شأنه ما قص الله في كتابه .

وقال السدي : كان الجيش ثمانين ألفًا . والظاهر أن ذلك كان قبل مجاوزة النهر .

قال السدي عن شيوخه : وكان داود أصغر ولد أبيه ، وكان يرمي بالمقلاع ، فبينما هو سائر مع الجيش إذ ناداه حجر : خذني فإن بي تقتل جالوت، فأخذه فلما تراءى الصفان برز جالوت ، فبرز له داود ورماه بالمقلاع ففلق رأسه ، وكان طالوت وعد داود أن يزوجه بنته فوفى له ، وعظم قدر داود عند بني إسرائيل .

ويقال : إنه تغيرت نعمته لداود ، وهم بقتله فلم يقدر على ذلك ، وأنه عمد إلى كثير من خيار بني إسرائيل فقتلهم ثم ندم ، فرأى يوشع أو شمويل في المنام فسأله عن توبته ، فأمره أن ينخلع من الملك ويقاتل في سبيل الله حتى يقتل فنزل عن الملك لداود وذهب بأولاده، وهم ثلاثة وعشرون رجلاً فقاتلوا في سبيل الله حتى قتلوا .

وزعموا أن مدة ملكه كانت أربعين سنة ، ثم قام على بني إسرائيل داود بن إيشا بن عويد بن باعر [(١)] بن سلمون بن نحشون بن عويناذب بن إرم بن حصرون بن فارض بن يهوذا بن يعقوب نبي الله .

قال وهب : كان قصيراً أزرق ، قليل الشعر .

وروي عن سعيد بن عبد العزيز أن النهر الذي بمرج الصفر عند قصر أم حكيم هو النهر الذي جازه طالوت بجنوده ، وعنده قتل جالوت .

قال قتادة : كان داود أول من عمل الدروع من زرد ، وإنما كانت قبل ذلك صفائح .

قال ابن شوذب : كان يعمل كل يوم درعًا فيبيعها بستة آلاف .

وفي الصحيح عن أبي هريرة رفعه : « وإن داود كان يأكل من كسب يده » .

(ق ٥٨ / ا) وقال الأوزاعي عن عبد الله بن عامر : أعطي داود من حسن الصوت ما لم يعط أحد ، حتى إن كان الطير والوحش تنعكف حوله حتى تموت عطشًا وجوعًا ، حتى إن الأنهار لتقف ، وقال وهب : كان لا يسمعه أحد إلا حجل [(٢)] .

وروى أبو عوانة في صحيحه من طريق جعفر بن سليمان ، عن مالك بن دينار ، قال : كان داود إذا أخذ في قراءة الزبور تفتقت

---

(١) في البداية : عابر .
(٢) حَجَل : رفع رجلاً ، وتريث في مشيه على رجله . (ترتيب القاموس : حجل) .

العذارى[1] .

وقال عبد الرزاق ، عن ابن جريج : سألت عطاء عن القراءة على الألحان فقال : وما بأس بذلك، سمعت عبد الله بن عمرو يقول : كان داود يأخذ المعزفة فيضرب بها ، فيقرأ عليها فتردد عليه صوته. يريد بذلك أن يبكي وتبكي .

وعن أبي هريرة رفعه : « خفف على داود القراءة فكان يأمر بدابته فتسرج ، فكان يقرأ القرآن من قبل أن تسرج دابته ، وكان لا يأكل إلا من عمل يده » أخرجه البخاري .

وعن عائشة : « سمع النبي ﷺ صوت أبي موسى وهو يقرأ فقال: لقد أوتي هذا من مزامير آل داود » .

أخرجه أحمد من طريق الزهري ، عن عروة ، عنها .

ومن طريق محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة رفعه: « لقد أعطي أبو موسى من مزامير آل داود » .

وعن ابن عباس أن رجلين تداعيا إلى داود في بقرة فأنكر المدعى عليه ، فأوحى الله إليه أن يقتل المدعي . فقال له داود : إن الله أمرني أن أقتلك، فما قصتك ؟

قال : والله ، يا نبي الله ، إن الحق فيما ادعيت ، وإنه غصبني بقرتي ، ولكني كنت اغتلت أباه قبل اليوم . فأمر به داود فقتل . فعظم

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في البداية : وهذا غريب .

أمر داود جدا .

وعن وهب : أعطي داود سلسلة من ذهب لفصل القضاء ، فجعلها بصخرة بيت المقدس فمن كان محقا نالها ، ولم تزل حتى أودع رجل رجلاً لؤلؤة فجحدها ، واتخذ عكازه فجعلها داخله ، فلما حضر عند الصخرة تناول المدعي السلسلة ، فلما أراد المدعى عليه أن يتناولها قال للمدعي : أمسك لي عكازي بيدك فأخذها منه ثم قال : اللهم ، إن كنت تعلم أني دفعت إليه اللؤلؤة فأنلني السلسلة، فنالها . فرفعت السلسلة من بينهم .

ووقع لداود في وسط أيامه قصة الخصمين وهي مشهورة ، فعن مجاهد وغيره أنه مكث ساجدًا أربعين يومًا .

وروي مرفوعًا، وفيه يزيد الرقاشي .

وعن عمر بن ذر ، عن أبيه عن سعيد ، عن ابن عباس - رفعه - سجد في «ص» . وقال : «سجدها داود توبة ، ونسجدها شكرًا» .

أخرجه أحمد .

وعن عكرمة عن ابن عباس : « ص ليست من عزائم السجود وقد رأيت رسول الله يسجد فيها ». أخرجه البخاري .

وعن مجاهد سألت ابن عباس قال : أوما تقرأ : ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ ﴾ (١) فكان داود ممن أمر نبيكم أن يقتدي به ، فسجدها داود

---

(١) الأنعام : ٨٤ .

فسجدها رسول الله ﷺ .

وروى أبو داود من حديث أبي سعيد : « أنه ﷺ قرأ «ص» على المنبر فلما بلغ السجدة نزل فسجد ثم قرأها في يوم آخر فقال: إنما هي توبة نبي، ولكن رأيتكم تشزنتم، ثم نزل فسجد» .

وقال ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر: حدثنا إسماعيل بن بسام ، عن صالح المري ، عن أبي عمران الجوني ، عن أبي الجلد قال : قال داود: يا رب كيف لي أن أشكرك وأنا لا أصل إلى شكرك إلا بنعمتك ؟ قال : فأتاه الوحي أن يا داود ، أليس تعلم أن الذي بك من النعم مني ؟ قال: بلى . قال : فإني أرضى بذلك منك .

(ق ٥٨ /ب) قال ابن المبارك في الزهد : حدثنا الثوري ، عن رجل عن وهب بن منبه ، قال : إن في حكمة آل داود : حق على العاقل ألا يغفل عن أربع ساعات . . . الحديث، رواه ابن أبي الدنيا ، عن أبي خيثمة، عن ابن مهدي ، عن سفيان ، عن أبي الأغر ، عن وهب .

قال الواقدي عن هشام بن سعيد ، عن عمر مولى غفرة : كان لداود مائة امرأة ، وكان لسليمان ألف امرأة ، منهن ثلثمائة سرية .

ونقل ابن جرير عن أهل الكتاب أن مدة عمر داود سبعة وسبعين سنة، وكان مدة ملكه أربعين سنة .

وهذا يرده ما رواه أحمد من حديث ابن عباس ، والترمذي وابن

خزيمة ، وحديث أبـي هريرة في قصة آدم ، وأنه رأى الأنبيـاء فرأى فيهم رجلاً يـزهر قال : أي رب ، مـن هذا ؟ قـال: ابنك داود . قـال : كم عمره؟ قال : ستون عامًـا . قال : أي رب ، زد في عمره ، قال : لا ، إلا أن أزيده من عـمرك . وكان عمر آدم ألـف عام فزاده أربعـين عامًا . فلما انـقضى عمر آدم جاء ملـك الموت ، فقال : بقي من عـمري أربعون سنة. . . الحديث .

وفيه : فأتمها الله لآدم ألفًا ولداود مائة .

وقد روي إسحاق بن بـشر في المبتدأ عن سعيـد ، عن قتادة ، عن الحسن: مات داود يوم الأربعاء فجأة وهو ابن مائة سنة.

وروى أحمد من طريق عمرو بن أبي عمرو ، عن أبي هريرة رفعه : «كان فـي داود غيـرة شديـدة، فكان إذا خـرج أغلـق الأبواب ، فـخرج فاطلعت امرأتـه فإذا رجل قائم في وسط الدار ، فقالـت لمن في البيت : من أين دخل هذا والدار مغلقة ؟ والله لنفضحن بداود ، فجاء داود فقال: من أنـت ؟ قال : أنـا الذي لا أهاب المـلوك ، ولا يمنـع من الحـجَّابِ . فقال: أنت والله مـلك الموت، مرحبًا بأمر الله، فدخـل داود مكانه حتى قبضت نفسه ، فلما طلعت عليه الـشمس قال سليمان للطير : أظلي على داود ؛ فأظلت عليه ، فأظلمت علـيهم الأرض ؛ فقال لها: أظلي جناحًا واقبضي جناحًا ؛ ففعلت .

وقال السدي : عن أبي مالك ، عن ابن عباس : مات داود نبي الله فجأة وكان يوم السبت ، وكانت الطير تظله .

وروى أبو حذيفة في المبتدأ عن زافر ، عن أبي سليمان الفلسطيني، عن وهب: أن الناس حضروا جنازة داود فجلسوا في الشمس في يوم صائف ، وكان في جنازته أربعون ألف راهب عليهم البرانس سوى غيرهم من الناس ، فآذاهم الحر فنادى سليمان الطير فأظلتهم فتراص بعضها إلى بعض من كل وجه فكاد الناس أن يموتوا غما لما استمسك عنهم من الريح، فناداها سليمان أن أظلي من ناحية الشمس ، وتنحي من ناحية الريح ففعلت ، فكان الناس في ظل وهواء ، فكان ذلك أول ما رأوا من ملك سليمان .



قصة سليمان

قال الله تعالى : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَاأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ ﴾ [1] .

قال أبو جعفر الإستوائي عن محمد بن عبد الرحمن عن يعقوب القمي ، عن أبي مالك : مر سليمان بعصفور يدور حول عصفورة فقال لأصحابه : أتدرون ما يقول ؟ قالوا : لا . قال : يخطبها إلى نفسها، يقول : تزوجيني أسكنك أي غرف دمشق شئت .

قال سليمان : كل خاطب كذاب ، دمشق مبنية بالصخر لا يقدر أن يسكنها .

(ق ٥٩ /أ) روى ابن ماجة من طريق ابن المنكدر ، عن جابر رفعه: قالت أم سليمان لسليمان : لا تكثر النوم ؛ فإن كثرة النوم بالليل تدع العبد فقيرًا يوم القيامة .

وقال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري : أن سليمان خرج هو وأصحابه يستسقون فرأى نملة رافعة إحدى قوائمها تستسقي فقال لأصحابه: ارجعوا فقد سقيتم.

ووصله سلامة، عن عقيل ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة رفعه : « خرج نبي من الأنبياء . . . » فذكر نحوه .

---

(١) النمل : ١٦ .

أخرجه ابن عساكر من طريقه .

سعيد بن بشير عن قتادة ، عن النضر بن أنس ، عن بشير بن نهيك، عن أبي هريرة رفعه : « كان أحد أبوي بلقيس جنيا» [(١)] .

واختلف في الذي عنده علم من الكتاب ، فقيل : آصف بن برخيا، قيل : كان ابن خالة سليمان .

وقيل : رجل من مؤمني الجان كان يعرف الاسم الأعظم، وقيل : من علماء بني إسرائيل. وقيل : هو سليمان نفسه. وقيل : إنه جبريل.

والمشهور أن سليمان تزوجها ، وذكر ابن إسحاق عن بعض أهل العلم عن وهب أنه زوجها لملك همذان .

واختلف في الخيل الذي كان عرضها سليمان ، فقيل : كانت عشرة آلاف . وقيل : عشرون ألفًا ، وقيل : كان فيها عشرون فرسًا من ذوات الأجنحة .

وروى أبو داود من طريق محمد بن إبراهيم ، عن أبي سلمة ، عن عائشة قالت : « لما قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أو خيبر هبت الريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة لعب . فقال : ما هذا يا عائشة ؟ قالت : بناتي . ورأى بينهن فرسًا له جناحان من رقاع ، فقال: ما هذا ؟ قالت: فرس . قال : فرس له جناحان ؟! قالت : أما سمعت أن لسليمان خيلاً لها أجنحة . فضحك حتى رأيت نواجذه » .

---

(١) قال الحافظ ابن كثير في البداية : وهذا حديث غريب ، وفي سنده ضعف .

قوله تعالى : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ ﴾ [(١)] .

حكم داود على أصحاب الغنم بقيمة الكرم ، وحكم سليمان بتسليم الغنم لأصحاب الكرم حتى يصلح الكرم . . ورواه غير واحد .

قلت : قال حماد بن سلمة في كتاب أخبار بني إسرائيل في تأليفه رواية ابن شيخنا العتبي ، عن محمد بن أيوب الرازي ، عن مشايخه قال الرازي : حدثنا موسى بن إسماعيل ، نا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن الحسن ، عن الأحنف بن قيس : « أن رسول الله ﷺ قال: إن داود قال : يا رب ، إن بني إسرائيل يسألونك بإبراهيم وإسحاق ويعقوب فاجعلني لهم رابعًا » الحديث بهذه القصة وفي أثنائها قال : فطلق المرأة ، و. . . [(٢)] سليمان وأبعده، فبقي داود في منزله وسليمان في ناحية الناس إذ أتى على غلمان يلعبون فجعلوا يدعون يا لادين ، يا لادين ، فوقف داود في الناس فقال : ما شأن هذا سمي لادين . فقال سليمان وهو في ناحية الناس : أما إنه لو سألني لحدثته عن هذا، ثم لأخبرته بأمره. فقيل له : إن سليمان قال كذا فدعا به داود وقال : ما شأن هذا الغلام سمي لادين ؟ قال : سأنظر في ذلك قال : وبحث عن أبيه كيف كان أمره فقيل : كان في سفر له مع أصحاب له ، وكان كثير المال فأرادوا أن يقتلوه ، فأوصى إني تركت امرأتي حبلى ، فإن ولدت غلامًا فقولوا

---

(١) الأنبياء : ٧٨ .

(٢) كلمة غير واضحة في الأصل .

لها تسميه لا ديـن ، فبعث سليمان إلى أصحابه الـذين قتلوه ، فجاءوا ، ففرق بينهم واحدا واحداً فلم يزل بهـم حتى أقروا جميعًا فرفعهم إلى داود فقتلهم به. . .[1] عليه. . .[1] وكانت امرأة في بني إسرائيل قد تثيبت وكان لها جاريتـان جميلتان فقالت إحـداهما للأخرى: . . . .[1] هذا البلاء. . . وذكر قصة الغنم والحرث .

قوله تعالى: ﴿وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث﴾[2] حكم داود على أصحاب الغنم بقيمة الكرم ، وحكـم سليمان بتسليم الغنم لأصحاب الكرم حتى يصلح الكرم . كذا رواه غير واحد .

ومن حكمة سليـمان قصة المرأتين اللتين تنازعتـا في الولد. أخرجه الصحيحان من طريق الأعرج عن أبي هريرة .

حديث «تفلت الـشيطان» أخرجه الصحيحان من حـديث محمد بن زياد عن أبي هريرة ، ومسلم مـن حديث أبي الدرداء ، وأحمد وأبو داود من طريق عطاء بن يزيد عن أبي سعيد .

وحديث «لأطوفـن الليلة على سـبعين امرأة». أخرجه الـبخاري من طريق مغيـرة عن أبي زيد عن الأعرج عن أبي هريرة قـال : وقال شعيب وابن أبي الزناد: «تسعين» وهو أصح .

وروى أبو يعلى من طـريق هشام عن محمد عن أبي هـريرة بلفظ:

---

(١) غير واضح في الأصل .

(٢) الأنبياء : ٨٧ .

«لأطوفن الليلة على مائة امرأة»... فذكره. أخرجه أحمد .

وخرجاه من طريق ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة : لأطوفن الليلة على مائة امرأة .

وقال أبو حذيفة عن مقاتل عن ابن أبي الزناد عن أبيه عن عبدالرحمن عن أبي هريرة: أن سليمان كان له ألف امرأة؛ أربعمائة حرة وستمائة سرية فقال : لأطوفن من الليلة على ألف امرأة فتحمل كل واحدة منهن بفارس... الحديث [١] .



(١) قال الحافظ ابن كثير في البداية : وهذا إسناد ضعيف لحال إسحاق بن بشر ، فإنه منكر الحديث ، ولاسيما وقد خالف الروايات الصحاح .

(ق ٥٩/ب) ذكر وفاة سليمان

روى إبراهيم بن طهمان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ قال : « كان سليمان إذا صلى رأى شجرة نابتة بين يديه فيقول : ما أنت ؟ فتقول : كذا . فيقول: لأي شيء أنت ؟ فإن كانت لغرس غرست ، وإن كانت لدواء أنبتت ، فبينما هو يصلي إذ رأى شجرة ، فقال : ما اسمك ؟ قالت : الخروب، قال : لأي شيء أنت ؟ قالت : لخراب هذا البيت . فقال سليمان: اللهم عمِّ موتي عن الجن ، حتى تعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب ، فنحتها عصى فتوكأ عليها حولاً ، والجن تعمل، فأكلتها الأرضة، فتبينت الإنس أن الجن لو كان يعلمون الغيب ما لبثوا حولاً في العذاب المهين - وكان ابن عباس يقرؤها كذلك - فشكرت الجن للأرضة، فكانت تأتيها بالماء .

أخرجه ابن جرير وغيره . ورواه سلمة بن كهيل ، عن سعيد ، عن ابن عباس ، موقوفًا .

ورواه السدي بأسانيده مطولاً ، قال فيه : ما كان الله ليخربه وأنا حي ، أنت التي على وجهك يكون هلاكي . فنزعها وغرسها ، ثم قام في المحراب على عصاه ، وكان للمحراب كوى ، فكان الشيطان الذي يريد أن يخلع يقول : ألست جليداً إن دخلت فخرجت من ذلك الجانب؟ فيدخل فيخرج ، فمن ينظر إلى سليمان احترق ، فدخل شيطان من

أولئك فنظر إلى سليمان فلم يسمع صوتًا ، فخرج فأخبر الناس أن سليمان مات ، ففتحوا فأخرجوه ووجدوا عصاته قد أكلتها الأرضة فلم يعلموا كم مات ، فوضعوا الأرضة على العصا فأكلت يومًا وليلة ، ثم حسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة وهي قراءة ابن مسعود .

وقال أبو داود في «كتاب القدر» : حدثنا عثمان نا قبيصة ، نا سفيان، عن الأعمش ، عن خيثمة: قال سليمان لملك الموت : إذا أردت أن تقبض روحي فأعلمني ، قال : ما أنا بأعلم بذلك منك ، إنما هي كتب تلقى إلي فيها تسمية من يموت .

وروى ابن أبي حاتم من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، قال سليمان لملك الموت . . . نحوه. قال : فأتاه فقال : قد أمرت بك ، قد بقيت لك سويعة ، فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحًا من قوارير بغير باب، وقام يصلي فاتكأ على عصاه، فقبض وهو كذلك، وكان الجن ينظرون فيجدونه قائمًا، فيظنونه حيا ، حتى إذا أكلت الأرض العصى ضعفت ، فخر ميتًا ، فلما رأى الجن ذلك انفضوا .

وروى أبو حذيفة عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري وغيره أن سليمان عاش ثلاثًا وخمسين ، وملك أربعين .

وأبو حذيفة عن أبي روق ، عن عكرمة عن ابن عباس : كان ملكه عشرين سنة .



قصة دانيال (ق ٦٠/أ)

قال ابن أبي الدنيا : حدثني أحمد بن عبد الأعلى الشيباني ، حدثني بعض أصحابنا ، عن شعيب بن صفوان إن لم أكن سمعته من شعيب ، عن الأجلح الكندي، عن عبد الله بن أبي الهذيل قال : ضرَّى بختنصر أسدين وألقاهما في جب ، وجاء بدانيال فألقاه عليهما ، فلم يهيجاه ، فمكث ما شاء الله ثم اشتهى الطعام والشراب ، فأوحى الله إلى أرميا - وهو بالشام - أن أعدد طعامًا وشرابًا لدانيال ، وأرسل الله من حمله وما أعد حتى وقف على رأس الجب ، فقال : من هذا ؟ قال : أرميا أرسلني إليك ربك . قال: الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره .

وقال يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق ، عن أبي خالد ، عن أبي العالية ، قال : لما افتتحنا تستر وجدنا رجلاً ميتًا عند رأسه مصحف ، فأخذناه فحملناه إلى عمر فقرأه كعب ، فأنا أول رجل من العرب قرأه بالعربية .

قلت : فما صنعتم بالرجل ؟ قال : حفرنا له ثلاثة عشر قبرًا بالنهار ثم دفناه في واحد منها بالليل وعميناه .

قلت : من كنتم تظنون الرجل ؟ قال : دانيال .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا أبو بلال الأشعري محمد بن الحارث ابن عبد الله بن أبي بردة ، نا القاسم بن عبد الله ، عن أبي الأشعث الأحمري رفعه : « إن دانيال دعا ربه أن تدفنه أمة محمد » . فلما افتتح

أبو موسى تستر وجده في تابوت ، دل عـليه حرقوص ، فكان رسول الله قال: « من دل على دانيال فبشروه بالجنة » فكتب إلى عمر ، فكتب : أن ادفنه وابعث إليَّ حرقوص .

وبه إلى القـاسم عن عنبسة بـن سعيد : وجد أبو موسـى مع دانيال مصحفًا وجـرنه فيها ودك[1] ودراهم وخاتمـه ، فكتب إلـيه: ابعث إلـينا بالمصحف وبشيء من الودك ، واقسـم الدراهم فيمن معك والودك ، وقد نفلناك الخاتم .

وأخرج من وجه آخر: أن المال قدر عشرة آلاف درهم .

ومن وجه آخر: أن أبا موسى أمر أربعة من الأسرى فسكَّرُوا [2] نهراً فحفروا فيه قبـرًا فدفنوه فيه ، ثم أجرى النهر وأمر بـضرب رقابهم ، فلم يعلم به أحد إلا أبو موسى .

ومن طريق ابن أبي الزناد ، عن أبيه : رأيت في يد أبي بردة بن أبي موسى خاتما ، نقش فـصه أسدان بينهما رجل يلحسـانه، فقال لي : هذا خاتم ذلك الرجل الذي زعموا أنه دانيـال، أخذه أبو موسى ، فسأل علماء تلك الـقرية، فأخبـروه أن الملك الذي كان دانيـال في زمانه قيـل له : إنه يولد في ليلة كذا غلام يفسد ملكـك ، فأمر بقتل كل غلام ولدته أمه تلك الليلة، فقتلوا إلا دانيال ، فإنهم رموه في أجمة [3] فيها أسد ولبؤة ، فباتا

---

(١) حَجَرٌ مَنْقُورٌ به دُهْن. (اللسان : جرن / ودك).

(٢) السكر : سد النهر ، وما سد به النهر (ترتيب القاموس : سكر) .

(٣) أجم الأسد : دخل في أجمته . (السابق : أجم) .

يلحسانه إلى الصباح ، فجاءت أمه فأخذته، فبلغ ما بلغ ، فنقش دانيال صورته وصورة الأسدين على هذا الخاتم .

وقال ابن أبي الدنيا في كتاب العقوبات : حدثنا أحمد بن عبد الأعلى ، نا شعيب بن صفوان ، عن الأجلح ، عن عبد الله بن أبي الهذيل قال : قال دانيال ونظر إلى ما يصنع بختنصر فبكى وقال : بما كسبت أيدينا سلطت علينا من لا يعرفك ولا يرحمنا .

ومن طريق حماد ، عن أبي التياح ، عن ابن أبي الهذيل قال بختنصر لدانيال : ما الذي سلطني على قومك ؟ قال : عظم خطيئتك ، وظلم قومي أنفسهم .



(ق ٦٠/ ب) قصة عزير

هو ابن جروة . وقيل : ابن سرحا . وقيل : ابن سوريق بن عربا ابن أيوب بن درينا بن عدي بن تقي بن أسبوع بن فنحاص بن عيزار بن هارون .

قال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن ابن أبي ذئب ، عن سعيد ، عن أبي هريرة ، رفعه : « لا أدري العزير تبع[1] أم لا ، ولا أدري أكان نبيا أم لا » .

وقال البغوي : نا داود بن عمرو ، نا حبان بن علي ، عن محمد ابن كريب ، عن أبيه ، عن ابن عباس مرفوعًا نحوه .

وقال أبو حذيفة إسحاق بن بشر ، عن جويبر ، عن الضحاك، عن ابن عباس : كان عزير ممن سباه بختنصر وهو غلام حدث ، فلما بلغ أربعين سنة أعطاه الحكمة ، وكان يذكر مع الأنبياء حتى محاه الله منهم ؛ بسبب سؤاله عن القدر . وهذا إسناد واهٍ .

وروى أبو حذيفة بأسانيد كثيرة جمعها عن مشايخه قالوا : كان عزير عبدًا صالحًا خرج إلى ضيعة له يتعاهدها ، فلما انصرف انتهى إلى خربة حين اشتد الحر ، فنزل عن حماره ، ومعه سلة فيها تين وسلة فيها عنب، فنزل في ظل تلك الخربة ، وأخرج قصعة معه فاخترط من العنب، ثم أخرج خبزًا يابسًا معه فألقاه في العصير ليبتل ، ثم استلقى على قفاه ،

(١) في الأصل: العين ، والصواب ما في الأصول ، وفي نسخة البداية: بيع تحريف .

وأسند رجليه إلى الحائط فنظر إلى تلك البيوت وهي خاوية ، وقد باد أهلها ، ورأى عظامًا بالية : ﴿ قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [1] فلم يشك وإنما تعجب، فبعث الله ملك الموت فقبض روحه: ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ﴾[1] فكان في أثناء ذلك أمور وأحداث ، فبعث الله بعد المائة إلى عزير ملكًا فخلق قلبه ليعقل به ، وعينيه لينظر بهما ، ثم ركب خلقه وهو ينظر ثم كسى عظامه اللحم والجلد ، ثم نفخ فيه الروح ، كل ذلك وهو يرى ويعقل ، فاستوى جالسًا ، فقال له الملك : ﴿ كَمْ لَبِثْتَ ﴾ قال يومًا؛ لأنه كان نام في صدر وبعث في آخر النهار ، فلما رأى الشمس لم تغب قال : أو بعض يوم ﴿ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ ﴾ ونظر إلى حماره وقد صارت عظامه نخرة ، فناداه الملك فقام ناهقًا [2] يظن القيامة قد قامت ، فركب حماره حتى أتى محلته فأنكره الناس وأنكرهم ، فأتى منزله فإذا هو بعجوز عمياء ، كانت أمة له ، خرج عزير وهي بنت عشرين ، وعاد وهي بنت مائة وعشرين ، فقال لها : يا هذه ، أهذا منزل عزير ؟ قال : فبكت وقالت: ما رأيت أحدًا منذ كذا وكذا يذكر عزيرًا . قال : فإني أنا عزير . قالت : إنا فقدناه منذ مائة سنة . قال : إني عزير. قالت : إن عزيرًا كان مستجاب الدعوة ، فادع الله أن يرد علي بصري . فدعا لها فصحت ، وأخذ بيدها فقال : قومي فقامت ، فقالت: أشهد أنك عزير.

---

(١) البقرة : ٢٥٩ .

(٢) في الأصل: ناهق ، وهو خلاف الجادة . وفي الأصول : ثم نفخ فيه الملك فقام الحمار رافعًا رأسه ، وأذنيه إلى السماء ناهقًا يظن القيامة .

فانطلقت إلى ملإ بني إسرائيل وفيهم من أولاد أولاده جماعة وابنه فيهم شيخ كبير ، فأعلمتهم بمجيء عزير فكذبوها فقالت : أنا فلانة . فعرفوها فأقبلوا معها فنظروا إليه فقال ابنه : كان لأبي شامة سوداء بين كتفيه ، فكشف عزير فعرفها . قال : فقال بنو إسرائيل : إن عزيراً كان يحفظ التوراة ، ولم يبق فينا من يحفظها إلا ما حفظت الرجال مفرقًا فاكتبها لنا .

قالوا : وكان أبوه قد دفن التوراة في زمن بختنصر في مكان لا يعرفه إلا عزير ، فانطلق بهم (ق ٦١ /١) فحفروه فاستخرجوها وقد عفن الورق ودرس الكتاب ، فجلس في ظل شجرة ، فجدد لهم التوراة فمن ثم ادعى فيه اليهود ما ادعوا .

فقال ابن عباس : وقوله : ﴿ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ﴾[1] كان يجلس مع بنيه وهم شيوخ وهو شاب .

وفيه يقول الشاعر ، فيما أنشده أبو حاتم السجستاني :

وَاسْوَدَّ رَأْسٌ شَابَ مِن قَبْلِهِ ابنُهُ
وَمِن قَبْلِهِ ابْنُ ابنِهِ هُوَ أَكْبَرُ

يَرَى ابن ابنِهِ شيْخًا يَدُبُّ على عصًا
وَلِحْيته السوداءَ والرَّأسُ أشْقَرُ

---

(١) البقرة : ٢٥٩ .

وَمَـا لابْـنِهِ حيلُ وَلا فَضْلُ قُـوَّةٍ

يَقُومُ كَـمَا يَمْشِي الصَّبيُّ فَـيَعْثُرُ

يَعُدُّ ابنُهُ في النَّاسِ تِسْعِينَ حَـجَّةً

وَعِشْرِيـنَ لا يَجْرِي وَلا يَتَبَخْتَرُ

وَعُـمْرُ أبـيِهِ أربَـعُونَ أمـرهـا

وَلابنِ ابنِهِ تِسْعُونَ في النَّاسِ غُبَّرُ

فَمَا هُو في المَعْقُول إن كُنتَ دَارِيَا

وَإِن كُنتَ لا تَدْرِي فَبِالجَهْلِ تُعْذَرُ

قال عطاء والحسن : لم يكن عزير نبيا .

وقال غيرهما : كان نبيا .

وقال أبو حذيفة ، عن سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن الحسن : كان أمر عزير وبختنصر في الفترة .

قلت : وهذا يقوي قول من يقول : إن بختنصر جاء إلى بيت المقدس بعد يحيى بن زكريا ، وقتل على دمه سبعين ألفًا كما سيأتي .

وقال مثله وهب بن منبه : كان عزير بين سليمان وعيسى .

وروي عن عطاء بن السائب قال : كان عزير في زمن موسى ، فاستأذن عليه فحجبه بسبب سؤاله في القدر ، وانصرف وهو يقول : مائة

موتة أهـون من ذل ساعة ، وهذا أخـرجه ابن عسـاكر بإسناد ضـعيف ، وأخرج عن أنس نحوه .

وروى أبو حذيفة في «المبتدأ» ، عـن ابن جريج ، عن عبد الوهاب ابن مجاهد ، عن أبـيه أن عزيراً هو الذي نزل تحت شجرة فـلدغته نملة ، فأمر بجهازه فأخرج ، ثم أمر بها فأحرقت .

وأصله في الصحيحين من طريـق أبي سلمة والأعرج عن أبي هريرة دون تسميته .



قصة زكريا ويحيى

زكريا بن برخيا . وقيل : ابن دان ، وقيل : ابن لدن بن مسلم بن صدوق بن عشبان بن داود بن سليمان بن مسلم بن صديقة بن برخية بن بلعاطة بن ناحور بن شلوم بن بهفاشاط بن إمنا بن رحعيم بن سليمان بن داود النبي .

روى أحمد ، ومسلم ، وابن ماجة من طريق أبي رافع ، عن أبي هريرة رفعه : « كان زكريا نجاراً » .

وقال أحمد ، نا عفان ، نا حماد ، نا علي بن زيد ، عن يوسف ابن مهران ، عن ابن عباس رفعه : « ما من أحد من ولد آدم إلا وقد أخطأ أو هم بخطيئة ، ليس يحيى بن زكريا » .

وروى ابن إسحاق ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ، حدثني ابن العاص رفعه : « كل بني آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب ، إلا ما كان من يحيى بن زكريا » .

تابعه أبو أسامة عن يحيى وسمى الصحابي عبد الله بن عمرو ، وتابعهما أبو خالد الأحمر ، عن يحيى موصولاً لكنه وقفه .

ورواه معمر عن قتادة ، عن سعيد مرسلاً مرفوعًا (ق ٦٢ /ب) قال إسرائيل ، عن أبي حصين ، عن خيثمة : كان عيسى ويحيى ابني خالة ، وكان عيسى يلبس الصوف ، ويحيى يلبس الوبر ، ولم يكن لهما دينار ولا درهم ولا عبد ولا أمة ، ولا مأوى يأويان إليه ، فلما أرادا أن يتفرقا ،

قال له يحيى : أوصني . قال: لا تغضب . قال : لا أستطيع . قال : فلا تقتنين مالاً . قال : أما هذه فعسى .

أخرجه ابن عساكر .

وروى من طريق أبي حذيفة ، عن ابن ساج ، عن ثور، عن خالد ابن معدان ، عن معاذ مرفوعًا نحوه .

أبو داود الطيالسي ، عن الحكم بن عبد الرحمن بن أبي نعم ، عن أبيه ،عن أبي سعيد رفعه : « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، إلا ابني الخالة يحيى وعيسى » .

قال معاوية بن سلام ، عن زيد بن سلام ، عن جده ممطور أبي سلام ، عن الحارث بن الحارث الأشعري ، رفعه : « أمر الله يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن ، ويأمر بهن بني إسرائيل أن يعملوا بهن ، فلما كاد أن يبطئ ؛ قال له عيسى : إنك قد أمرت بخمس كلمات، فإما أن تأمر بني إسرائيل ، وإما أن أبلغهن . قال: يا أخي ، إني أخشى إن سبقتني أن أعذب فجمعهم .. » الحديث .

أخرجه أحمد ، والترمذي ، وابن ماجة ، وأبو يعلى ، والحاكم والطبراني من طريق أبي سلام .

وروى ابن وهب ، عن مالك ، عن حميد بن قيس ، عن مجاهد قال : كان طعام يحيى العشب ، وإن كان ليبكي من خشية الله حتى لو كان القار على عينيه لخرقهما .

وقال أبو صالح ، عن الليث ، عـن عقيل ، عن ابن شهاب : كان يحيى بن زكـريا أطيب الناس طعامًـا ، لا يخالط الناس في معـايشهم . وقال ابن المبارك ، عن وهيب بن الورد : فقد زكـريا ابنه ، فخرج يلتمسه في البرية ، فإذا هو قد احتفر قبرًا ، وأقـام فيه يبكي على نفسه ، فقال : يا أبت إنك أخبرتني أن بين الجنة والنار مفازة لا تقطع إلا بدموع البكائين. قال: فبكيا جميعًا .

وروى أبو حذيـفة في المبـتدأ قال : أنا أبو يـعقوب الكـوفي ، عن عمرو بن ميـمون ، عن أبيه ، عن ابن عباس «أن رسول الـله ﷺ ليلة أسري به رأى زكريا في السماء فسلم عليه. فقال له: يا أبا يحيى، خبرني عن قتلك كيف كان ، ولم قتلك بنو إسرائيل ؟ قال: أخبرك أن يحيى كان خير أهل زمانه وكـان أجملهم وأصبحهم وجهًا ، وكـان لا يأتي النساء ، فهويته امرأة ملك بني إسرائيل فراسلته [1] فعصمه الله وامتنع ، وكان لهم عيد يجـتمعون فيه وكان من سـنة الملك إذا وعد لا يخلـف . فخرج إلى العيد ، فـقامت امرأته فشيعـته ، وكان بها معجـبًا ولم تكن تشيعـه فيما مضى فقال لها : سليني فمهما سـألتني أعطيتك ، قالت : أريد دم يحيى ابن زكريا (ق ٦٢ / ١) قال: سليني غيره . قالت : لا أريد غيره. قال : هو لك . قال: فبعثت جلاوزتها[2] إلى يحيى وهو في مـحرابه يصلي ، وأنا إلى جانبه أصلي . قال : فذبح في طـست وحمل رأسه إليها ودمه، فقال

(١) في البداية : فأرسلت إليه .
(٢) الجِلْوَازُ - بالكسر - : الشُّرَطِيُّ. (ترتيب القاموس: جلوز).

له رسول الله ﷺ : فما بلغ صبـرك ؟ قال : ما انفتلت من صلاتي ، فلما حمـل رأسه إليها فوضع بين يديـها ، فلما أمسوا خسف الـله بالملك وأهل بيته وحـشمه ، فلما أصبحـوا قال سفهاؤهم: قد غضـب إله زكريا لزكريا فتعالوا نغضب لملكنا فنقتل زكريا فخرجوا في طلبي فهربت منهم ، فنادتني شجرة : إليَّ ، إليَّ وانصدعت لي ، فدخلت فيها ، وجاء إبليس فأخذ طرف ردائي والـتأمت الشجرة علي ، فقال لـهم : هذا طرف ردائه وقد دخل في الشـجرة بسحره . قالوا : نخرقهـا. قال : لا، انشروها ، قال : فشققت مع الشجرة بالمـنشار ، فقال له النبي ﷺ : « وجدت له مسا أو وجعًا قال : لا »[1] .

وجاء في قصة قتل يحيى بن زكريا طرق أخرى منها رواية سعيد بن عبد العـزيز ، عن قاسم مولى معـاوية ، قال : كان ملك هذه المـدينة قد زوج ابنه بابنة أخيه، وكان حلف بطـلاقها ثلاث مرات، ثم أراد مراجعتها فاستفتى يحيى بن زكريا فقال : لا تحـل حتى تنكح زوجًا غيرك ، فبلغها ذلك فكان سبب قتل يحيى .

وروى إسحاق بن بشر ، عن إدريس بن سنان ، عن وهب أن الذي انصدعت له الشجرة هو شعيا .

وروى ابن جرير من طريق سليمـان بن بلال ، وأبو عبيد من طريق

(١) قال الحافـظ ابن كثيـر رحمه الله فـي البداية : « هذا إسـناد غريب جـدا ، وحديث عجيب ، ورفعه منكر ا هـ .

الليث ، كلاهما عـن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بـن المسيب قال : قدم بختنصر دمشق فإذا هو بدم يحيى بن زكريا يغلي ، فسأل عنه ، فأخبروه، فقتل على دمه سبعين ألفًا فسكن .

وقد روى مروان بن محمد ، عن سعيـد بن عبد العزيز ، عن قاسم مولى معاوية قال : لم يزل دم يحيى يفور حتى قدم بختنصر ، فقتل عليه سبعـين ألفًا . حتـى وقف عليـها أرميا فـقال : أيها الـدم ، أفنيت بـني إسرائيل ، فاسكن بإذن الله فسكن .

وروى الولـيد بن مـسلم ، عن زيـد بن واقد ، قـال : رأيت رأس يحيى بن زكريا حين أرادوا بناء مـسجد دمشق ، أخرج من تحت ركن من أركان القبلة .



قصة عيسى عليه السلام

قال ابن إسحاق : مريم بنت عمران بن باشم بن آمون بن ميشا بن حزقيا بن أحريق بن موثم بن عزاز بن أقصيا بن باذش بن أحريهو بن يازم ابن بهفاشاط . وبقية النسب تقدم في زكريا .

وقيل : عمران بن ماثان بن العازر بن اليود بن أخنز بن صادوق بن عيازر بن الياقيم بن آبيود بن زريائيل بن شالتال بن يوحينا بن برخيا بن آمون بن ميشا بن حزقيا بن أحاز بن يوثام بن عزريا بن مورام بن يوشافاط ابن إيشا بن أبيا بن رحعيم بن سليمان بن داود .

(ق ٦٢ / ب) قال ابن إسحاق : كانت أم مريم لا تحمل ، فرأت طائرًا يزق [١] فرخًا فاشتهت الولد ، فحملت ، فنذرت إن وضعت أن تجعل حملها خادمًا لبيت المقدس ، وكانوا يفعلون ذلك .

وقال الزهري ، عن سعيد ، عن أبي هريرة رفعه : « ما من مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخًا إلا مريم وابنها » . ثم يقول أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم : ﴿ وَإِنِّي أُعِيذُهَا ﴾ [٢] الآية .

أخرجاه ، ورواه مسلم من طريق أبي يونس ، وأحمد من طريق عجلان ، وعبد الرحمن الأعرج ، وعبد الرحمن بن يعقوب ، والطبري من طريق الزبيدي ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة .

---

(١) زق الطائر : رميه بذرقه ، وإطعامه فرخه . (ترتيب القاموس : زق) .
(٢) آل عمران : ٣٦ .

ورواه الأعمش عن أبي صالح ، عن أبي هريرة .

وابن إسحاق ، عن يزيد بن قسيط ، عن. . . [1] ، عن أبي هريرة.

وروى عبد الله بن جعفر عن علي رفعه : «خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد » أخرجاه .

وعن أنس رفعه : « حسبك من نساء العالمين أربع : مريم، وآسية ، وخديجة ، وفاطمة » .

رواه الترمذي من طريق معمر ، عن قتادة، ورواه ابن مردويه من طريق أبي جعفر ، عن ثابت ، عن أنس بلفظ : « خير نساء العالمين أربع: مريم، وآسية ، وخديجة ، وفاطمة » .

وروى أبو يعلى من طريق علباء ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال: خط رسول الله ﷺ في الأرض أربعة خطوط ، فقال: «أتدرون ما هذا ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم .

فقال : « أفضل نساء أهل الجنة : خديجة ، وفاطمة ، ومريم ، وآسية » . وأخرجه النسائي .

وروى ابن أبي داود من طريق محمد بن دينار ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، عن جابر رفعه : « حسبك منهن أربع سيدات نساء العالمين : فاطمة ، وخديجة ، وآسية ، ومريم » .

---

(١) بياض في الأصل .

وقال البغوي: حدثنا وهب بن بقية ، نا خالد ، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة ، عن عائشة أنها قالت لفاطمة. فقالت: «أخبرني أنه ميت من وجعه ذلك فبكيت ، ثم أكببت فأخبرني أني أسرع أهله لحوقًا به ، وأني سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم فضحكت » .

وروى أحمد ، والترمذي من طريق عبد الرحمن بن أبي نعم ، عن أبي سعيد قال رفعه : « فاطمة سيدة نساء العالمين إلا ما كان من مريم» .

وروى الزبير بن بكار في الموفقيات عن محمد بن الحسن ، وهو ابن زبالة ، عن عبد العزيز بن محمد ، عن موسى بن عقبة ، عن كريب، عن ابن عباس ، رفعه : « سيدة نساء أهل الجنة مريم ، ثم فاطمة ، ثم خديجة ، ثم آسية » .

وقد رواه أبو حاتم الرازي عن داود الجعفري ، عن عبد العزيز ، عن إبراهيم بن عقبة ، عن كريب؛ فذكره بواو العطف .

وعن معاوية بن قرة ، عن أبيه رفعه : « كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا مريم ، وآسية ، وخديجة (ق ٦٣ / أ) وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » . أخرجه ابن مردويه، وعن مرة عن أبي موسى نحوه ، ولم يذكر خديجة . أخرجوه .

وعن سعد بن جنادة العوفي رفعه : « إن الله زوجني في الجنة مريم وامرأة فرعون وأخت موسى » أخرجه الطبراني .

وعن أبي أمامة رفعه : « أشعرت أن الله زوجني مريم بنت عمران،

وآسية امرأة فرعون ، وكلثم أخت موسى » .

رواه أبو يعلى ، والعقيلي ، وقال : إنه غير محفوظ .

وعن الزبير بن بكار ، عن محمد بن الحسن ، عن يعلى بن المغيرة، عن ابن أبي رواد قال : « دخل رسول الله ﷺ على خديجة وهي في مرضها الذي توفيت فيه فقال لها : بالكره مني ما أرى منك يا خديجة، وقد يجعل الله في الكره خيراً كثيراً ، أما علمت أن الله قد زوجني معك في الجنة مريم بنت عمران ، وكلثم أخت موسى ، وآسية امرأة فرعون » قالت : وقد فعل الله ذلك بك يا رسول الله ؟ قال: «نعم» قالت : بالرفاء والبنين .

وتابعه العباس بن بكار ، عن أبي بكر الهذلي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس نحوه .

وقال سويد بن سعيد ، نا محمد بن صالح بن عمر ، عن الضحاك، عن مجاهد ، عن ابن عمر قال : «نزل جبريل فمرت خديجة، فقال : يا محمد ، من هذه ؟ قال : خديجة صديقة أمتي . قال : معي إليها رسالة من الرب ، ويبشرها ببيت في الجنة من قصب . قالت : الله السلام ومنه السلام ، والسلام على رسول الله ، ما ذلك البيت ؟ قال : لؤلؤة جوفاء بين بيت مريم وآسية ، وهما من أزواجي » .

وقال أبو زرعة الدمشقي : نا عبد الله بن صالح ، حدثني معاوية ابن صالح ، عن صفوان بن عمرو ، عن خالد بن معدان ، عن كعب

الأحبار أن معاوية سأله عن الصخرة فقال : على نخلة ، والنخلة على نهر من أنهار الجنة ، وتحت النخلة مريم وآسية ، ينظمان سموط أهل الجنة حتى تقوم الساعة .

وبه عن معاوية ، عن مسعود بن عبد الرحمن ، عن ابن عائذ أن معاوية سأل كعبًا [فذكره][1] .

ورواه إسماعيل بن عياش ، عن ثعلبة بن مسلم ، عن مسعود بن عبد الرحمن ، عن خالد بن معدان ، عن عبادة بن الصامت مرفوعًا[2] .

والأول أولى ، وهو من المتشابه .

وقال السدي بأسانيده : إن مريم دخلت على أختها فقالت لها أختها : أشعرت أني حبلى ؟ قالت مريم : أشعرت أيضًا أني حبلى ؟ فاعتنقتها وقالت لها : إني أرى ما في بطني يسجد لما في بطنك، وذكره ابن القاسم عن مالك ، قال : بلغني أن عيسى ويحيى ابنا خالة ، فكان حملهما معًا ، فبلغني أن أم يحيى قالت لمريم : إني أرى ما في بطني يسجد لما في بطنك . قال مالك : أرى ذلك لتفضيل عيسى على يحيى . رواه ابن أبي حاتم . (ق ٦٣ /ب)

---

(١) من البداية .

(٢) وقال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - : وهذا منكر من هذا الوجه بل هو موضوع ، ثم نقل عن الحافظ ابن عساكر أن كونه من كلام كعب الأحبار أشبه. ثم قال: وكلام كعب هذا إنما تلقاه من الإسرائيليات التي منها ما هو مكذوب مفتعل ، وضعه بعض زنادقتهم ، أو جهالهم ، وهذا منه ، والله أعلم ا هـ.

وروي عن مجاهد : قالت مريم : كنت إذا خلوت به حدثني وكلمني، وإذا كنت بين الناس سبَّح في بطني .

وروى عن عكرمة : حملت به ثمانية أشهر .

وعن ابن عباس : ما هو إلا أن حملته فوضعته .

وعن غيره : حملت به تسع ساعات .

وقال ابن إسحاق : لما شاع حملها لم يدخل على أهل بيت ما دخل على آل زكريا ، واتهمها بعضهم بيوسف النجار ، الذي كان يتعبد معها ، وقيل : اتهموا بها زكريا . وقيل اتهموا بها. . . .(١) وتوارت مريم عنهم فاعتزلتهم .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، نا شيبان ، نا مسرور ابن سعيد ، نا الأوزاعي ، عن عروة بن يريم ، عن علي رفعه : «أكرموا عمتكم النخلة فإنها خلقت من الطين الذي خلق منه آدم ، وليس من الشجر شيء يلقح غيرها » .

قال ابن عدي بعد أن أورده في ترجمة مسرور : هو منكر الحديث، لم أسمع بذكره إلا في هذا الحديث ، وضعفه ابن حبان .

وأخرجه أبو يعلى عن شيبان به . وفيه : « أطعموا نساءكم الرطب، فإن لم يكن رطب فتمر ، وليس من الشجرة شجرة أكرم على الله من

---

(١) بياض في الأصل .

شجرة نزلت تحتها مريم بنت عمران » .

قوله : ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ ﴾ [(١)] قيل : شبهوها بـعابد من عبادهم اسمه هارون وكانت تساميه في العبادة .

وقيل : برجل فاجر في زمانهم، نقـل عن سعيد بن جبير، وقيل : شبهوها بهارون جدها لأنها كانت تشبهه .

وقيل : لأنها من نسله . كقول الشاعر :

حسبت عــلته أخـــت. . . [(٢)]

وأغرب محمد بـن كعب فزعم أنها أخت هارون وموســى حقيقة ، وكأنه اغتر بما في التوراة أن مريم أخــت موسى وهارون ضربت بالدف يوم نجاهم الله من فرعون .

وقد روى مسلم ، وأحمد ، والترمذي ، والنسائي ما رفع الإشكال عن المغيرة بن شـعبة قال : بعثني رسول اللــهﷺ إلى نجران . فقالوا : أرأيت ما تـقرءون : ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ ﴾ وقد كان موســى وهارون قبل عيسى بكذا وكذا ؟ قال : فرجعت فذكرت ذلك للنبيﷺ فقال : « ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم » .

وعن قتادة كانوا يكثرون التسمية بهارون حتى قيل : إنه حضر بعض جنائزهم أربعون ألفًا اسمه [(٣)] هارون .

(١) مريم : ٢٨ .
(٢) كلمة غير واضحة .
(٣) كذا في الأصل ، والجادة : اسمهم

والمشهور أن عيسى ولد ببيت لحم . وزعم وهب أنه ولد بمصر . وليس بشيء .

وقد روى النسائي بإسناد لا بأس به عن أنس ، والبيهقي عن شداد ابن أوس مرفوعًا أن عيسى ولد ببيت لحم .

وذكر وهب أنه لما ولد تكسرت الأصنام في الشرق والغرب ، واشتهر أمره بسبب كلامه في المهد .

وقيل : إن مريم ولدته ببيت لحم ، وخافت عليه من القتل فتوجهت به إلى مصر ، حتى بلغ اثنتي عشرة سنة ، فظهر له بها من المعجزات في صغره (ق٦٤/١) أشياء كثيرة من الاطلاع على المغيبات .

وقال أبو حذيفة : حدثنا عثمان بن ساج وغيره ، عن موسى بن وردان ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد ، وعن مكحول عن أبي هريرة قال : أول ما أطلق الله لسان عيسى بعد الكلام الذي تكلم به في المهد ، وهو طفل فمجد الله تمجيدًا لم تسمع الآذان بمثله .

وعن مقاتل ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، أن عيسى بعد أن تكلم في المهد أمسك عن الكلام حتى بلغ ما يبلغ الأطفال من الكلام ، فأنطقه الله وهوطفل بالحكمة والبيان ، وكانت العجائب تظهر منه كثيرًا جدا .

وروى ابن لهيعة ، عن عبد الله بن عمرو قال : كان عيسى يقول وهو غلام للصبيان : تريد أن أخبرك ما خبأت لك أمك ؟ فيقول : نعم

فيخبره ، فيكون كما قال .

وقال أبو زرعة الدمشقي : حدثنا عبد الله بن صالح ، نا معاوية بن صالح ، عمن حدثه قال : أنزلت التوراة على موسى لست خلون من رمضان ، والزبور لعشرة ، والإنجيل لثمان عشرة بعد التوراة بنحو من ألف وخمسمائة سنة ، وأنزل القرآن لأربع وعشرين .

وذكر ابن جرير أنه أنزل عليه وهو ابن ثلاثين ورفع وهو ابن ثلاث وثلاثين .

وقال أبو حذيفة ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن عبد الرحمن بن آدم، عن أبي هريرة قال : أوحى الله إلى عيسى أن جدًّ في أمري يا ابن البتول الطاهرة البكر إنك من غير فحل ، خلقتك آية للعالمين ، إياي فاعبد ، وعلي فتوكل ، خذ الكتاب بقوة . . . الحديث بطوله .

وقال هشام بن عمار ، عن الوليد بن مسلم ، عن عبد الرحمن بن زيد ، عن أبيه قال : قال عيسى : يا رب أنبئني عن الأمة المرحومة . قال: أمة أحمد ، هم علماء حكماء كأنهم أنبياء ، يرضون مني بالقليل من العطاء ، وأرضى منهم باليسير من العمل .

وروى أبو داود في كتاب القدر من طريق معمر ، عن الزهري ، وعن ابن طاوس ، عن أبيه قال : لقي عيسى إبليس فقال : أما علمت أنه لن يصيبك إلا ما كتب لك ؟ قال : نعم . قال : فأوف بذروة هذا الجبل

وتردى منه ، فانظر تعيش أم لا .

قال عيسى : أما علمت أن الله قال : لا يجربني عبدي ، فإني أفعل ما شئت . لفظ طاوس .

وقال الزهري : فقال : إن العبد لا يبتلي ربه ، ولكن الله يبتلي عبده .

ومن طريق عمرو ، عن طاوس نحوه ، وقال : فقال : أليس قال : يا ابن آدم ، لا تسألني هلاك نفسك ، فإني أفعل ما شئت .

قال : وحدثنا أبو توبة ، نا حسين ، عن طلحة ، سمعت خليد بن زيد قال : تعبَّدَ الشيطان مع عيسى عشر سنين فقام يومًا على شفير جبل فقال له : أرأيت إن ألقيت نفسي أيصيبني إلا ما كتب لي ؟ قال: إني لست بالذي أبتلي ربي ، ولكن ربي إذا أراد ابتلاني . (ق ٦٤ / ب) .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا شريح ، نا علي بن ثابت، عن خطاب ابن القاسم ، عن ابن عمر ، قال : كان عيسى يصلي على رأس جبل ، فأتاه إبليس ، فقال : أنت الذي تزعم أن كل شيء بقضاء وقدر ؟ قال : نعم . قال: ألق نفسك من الجبل وقل : قدر علي . فقال : يا لعين ، الله يختبر العباد ، وليس العباد يختبرون الله .

وروى أبو حذيفة بأسانيده عن كعب وغيره قالوا : أول ما أحيا عيسى الموتى أنه مر ذات يوم على امرأة قاعدة عند قبر تبكي ، فقالت :

لم تكن لـي غير ابنة ، وإني عاهـدت ربي ألا أبرح هنا حتـى أموت كما ماتت أو يحييها الله لي فأنظر إليـها . قال : فصلى ركعتين ثم جلس عند القبر فنادى يا فلانة ، قومي بإذن الله .

فتحرك القبر ، ثم نادى الثانية فانصدع ، ثم نادى الثالثة فخرجت . فقال لها عيسى : ما بطأ بك عني ؟ قالت : أما الأولى فبعث ملكًا فركَّب خلقـي ، وأما الثانـية فرد إلي روحـي، وأما الثالـثة فخفـت أنها صيـحة القيامة، فشابـت رأسي خوفًا ، ثم أقبلت على أمها فـقالت : يا أمه ، ما حملك على أن أذوق كرب الموت ثانية ، يا أماه ، اصبري واحتسبي .

وروى السدي ، عن أبي صالح ، وأبي مـالك ، عن ابن عباس في حديث ذكره أن ملكًا من ملوك بني إسرائيل مات وحمل على سريره فجاء عيسى فدعا الله فأحياه .



ذكر المائدة

قال ابن جرير ، وابن أبي حاتم جميعًا : حدثنا الحسن بن قزعة الباهلي ، نا سفيان بن حبيب ، نا سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن خلاس ، عن عمار بن ياسر ، عن النبي ﷺ قال : «نزلت المائدة من السماء خبز ولحم ، وأمروا ألا يدخروا لغد ولا يخونوا ، فخانوا وادخروا، فمسخوا قردة وخنازير » .

قال ابن جرير : وحدثناه بندار ، نا ابن أبي عدي ، عن سعيد موقوفًا . وهذا أصح .

وأورده من طريق سماك ، عن رجل من بني عجل ، عن عمار موقوفًا أيضًا .

وروى ابن جرير من طريق مجاهد والحسن بإسنادين قويين عنهما أنهما قالا : لم تنزل المائدة ، لأنه لما قيل لهم : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ ... ﴾[1] الآية، اختاروا عدم نزولها .

والأثبت أنها نزلت كما روي ذلك من حديث ابن عباس ، وسلمان وغيرهما .

---

(١) المائدة : ١١٥ .

وقوى بعضهم قــول الحسن ومجاهد بأنها لا ذكر لها فــي كتابهم مع أن خبرها مما تتوفر الدواعي على نقله .

قلت : وهذا مستند واهٍ لا تُرَدُّ به الأخبار المشهورة .



ذكر بقية أخبار عيسى

روى ابن أبي الدنيا ، وابن الأعرابي من طريق أبي هلال ، عن بكر المزني قال : وجد الحواريون عيسى على الماء . فقال له رجل منهم : ألا أجيء إليك يا نبي الله ؟ قال : نعم .

فلما وضع رجله في الماء رسب ، فقال له عيسى : أرني يدك يا ضعيف الإيمان ، لو أن لابن آدم من اليقين قدر شعيرة مشى على الماء(ق٦٥/١) .

قال هانئ بن المتوكل: نا حيوة ، عن الوليد بن أبي الوليد ، عن شفي بن ماتع ، عن أبي هريرة قال : أوحى الله إلى عيسى : يا عيسى انتقل من مكان إلى مكان ؛ لئلا تعرف فتؤذى .

وقال ابن المبارك ، عن ابن عيينة ، عن خلف بن حوشب ، قال عيسى للحواريين : كما ترك لكم الملوك الحكمة ، فاتركوا لهم الدنيا .

وقال إسماعيل بن عياش ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر قال : قال عيسى : مرارة الدنيا حلاوة الآخرة ، وحلاوة الآخرة[١] مرارة الآخرة .

وقال ابن وهب ، عن سليمان بن بلال، عن يحيى بن سعيد : كان

---

(١) كذا في الأصل ، والصواب : «وحلاوة الدنيا مرارة الآخرة » انظر البداية .

عيسى يقول : اعبروا الدنيا ولا تعمروها وكان يقول : حب الدنيا رأس كل خطيئة ، والنظر يزرع في القلب الشهوة .

وقال أبو مصعب ، عن مالك ، قال عيسى : لا تكثروا الحديث بغير ذكر الله فتقسو قلوبكم .

وروى النسائي وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، من طريق الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء خرج على أصحابه وفي البيت اثنا عشر رجلاً ، فقال : إن منكم من يكفر بي بعد أن آمن بي اثني عشرة مرة . ثم قال: أيكم يلقى عليه شبهي فيقتل مكاني ، ويكون رفيقي في الجنة ، أو في درجتي ؟ فقام شاب من أحدثهم سنا فقال له : اجلس ، ثم أعاد فقام الشاب فأجلسه ، ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال : أنا ، فقال : أنت هو. فألقى عليه شبهه ، ورفع عيسى من روزنة [1] في البيت إلى السماء، وجاء الطلب من اليهود ، فأخذوا الشبه فقتلوه ثم صلبوه ، وكفر به بعضهم اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن به ، وافترقوا ثلاث فرق ، فلم يزل الإسلام طامسًا حتى بعث الله محمداً .

وروى ابن جرير من طريق وهب بن منبه قال : أتى عيسى ومعه سبعة عشر فأحاطوا بهم . فقال عيسى : من يشتري نفسه اليوم بالجنة ؟ فقال رجل : أنا ، فذكر القصة.

(١) الروزنة : الكوة . (ترتيب القاموس : وزن) .

وقال الضحاك عن ابن عباس : استخلف عيسى شمعون .

وزعم الفـراء أن الذي ألقي عـليه شبهـه رأس الجالوت كسـر الباب ودخل ليأخذ عـيسى فطمس عينـه ، ثم خرج على أصحابه ومـعه سيف مسلول ، فـقال : لم أجده . فرأوه وقد ألقي عـليه شبه عيسـى فقالوا : أنت عيسى . فأخذوه فقتلوه وصلـبوه . وقال ابن جرير : حدثنا المثنى ، نا إسحاق ، نا إسماعـيل بن عبد الكريم ، حدثني عبد الـصمد بن عقيل أنه سمع وهبًا يقول: إن عيسى لما أعلمه الله أنه خارج من الدنيا جزع من الموت وشق عليه ، فدعا الحواريين وصنع لهم طعامًا ، فقال : أحضروني الليلة فإن لي إليكم حاجة (ق ٦٥ /ب) فلما اجتمعوا إليه من الليل عشاهم وقام يحدثهم ، فلما فرغوا من الطعام أخذ يوضئهم ويغسل أيديهم بيده ، ويمسح أيديهم بـثيابه ، فتعاظموا ذلك وتكارهـوه فقال : ألا من رد علي شيئًا مما أصنع فليس مني ولا أنا منه . فأقروه حتى إذا فرغ من ذلك قال: أما ما صنعت بكم الليلة مما خدمتكم على الطعام فليكون لكم بي أسوة ، فإنكـم ترون أني خيركـم ، فلا يتعاظـم بعضكـم على بعض ، ولـيبذل بعضكـم نفسه لبعض كـما بذلت نفسي لكـم ، وأما حاجتي الليـلة التي استعنتـكم عليها فتدعون لـي الله ، وتجتهدون في الدعـاء أن يؤخر أجَلي يعني حـتى أبلغ رسالات ربي - فلمـا نصبوا أنفسهـم للدعاء وأرادوا أن يجتهدوا ؛ أخذهم النوم حتى لا يستطـيعون دعاء فجعل يوقظهم ويقول : سبحان الله ! أما تصبرون لي ليلة واحـدة تعينوني فيها ؟ فقالوا : والله ، ما ندري مـا لنا ، والله لقـد كنا نسهر فـنكثر السهـر ، وما نطيق اللـيلة

سهرًا، وما نريد دعاءً إلا حيل بيننا وبينه . فقال : يذهب الراعي وتفترق الغنم . وجعل يأتي بكلام مثل هذا ينعي به نفسه ، ثم قال : ليكفرن بي أحدكم قبل أن يصيح الديك ثلاث مرات وليبيعني أحدكم بدراهم يسيرة، وليأكلن ثمني فخرجوا وتفرقوا ، وكانت اليهود تطلبه فأخذوا شمعون أحد الحواريين ، فقالوا : هذا من أصحابه فجحد وقال: ما أنا بصاحبه . فتركوه ، ثم أخذه آخرون فجحد ، ثم سمع صوت ديك فبكي وأحزنه ، فلما أصبح أتى أحد الحواريين اليهود فقال : ما تجعلون لي إن دللتكم على المسيح ؟ فجعلوا له ثلاثين درهما فأخذها ودلهم عليه، وكان قد ألقى شبهه على غيره ، فأخذوه واستوثقوه وربطوه بالحبل وجعلوا يقودونه ويقولون : إن كنت تحيي الموتى أفلا تفك نفسك من هذا الحبل!، وجعلوا يبصقون عليه ، ويلقون عليه الشوك حتى أتوا به الخشبة التي أرادوا أن يصلبوه عليها ، فلما رفعه الله إليه ، وصلبوا ما شبه لهم مكث سبعة ، ثم إن أمه والمرأة التي داواها عيسى فأبرأها جاءتا تبكيان تحت المصلوب ، فجاءهما عيسى فقال : علام تبكيان ؟ قالتا : عليك . قال : إني قد رفعني الله إليه ، ولم يصبني إلا الخير ، وإن هذا شبه لهم، فأمري الحواريين يلقوني إلى مكان كذا . فلقوه أحد عشر نفسًا ، وفقدوا الذي باعه فسأل عنه ، فقالوا : إنه ندم فاختنق وقتل نفسه . فقال : لو تاب لتاب الله عليه ، ثم سألهم عن غلام كان معهم يقال له: يحيى ، فقال: هو معكم ، فانطلقوا فإنه سيصبح كل إنسان منكم يتكلم بلغة قومه ،

فلينذرهم وليدعهم (ق ٦٦ / ١) .

وروى ابن عساكر بإسناده إلى يحيى بن حبيب فيما بلغه أن مريم سألت بيت الملك بعد ما صلب المصلوب لسبعة أيام وهي تحسب أنه ابنها أن ينزل جسده ، فأجابهم إلى ذلك ، فدفن هنالك ، فمر بها رجل فقالت مريم : يا أم يحيى ألا تستترين ؟ فقالت : ممن أستتر ؟ فقالت : من هذا الرجل . فقالت : إني لا أرى أحداً . فرجت مريم أن يكون جبريل ، وكان قد بعد عهدها به ، فاستوقفت المرأة وذهبت ، فقال لها جبريل : يا مريم - فعرفته - أين تريدين ؟

قالت : هذا القبر أسلم عليه . قال : ليس هذا المسيح ، وإن الله قد رفع المسيح وطهره ، ولكن الفتى الذي ألقي عليه شبهه فصلب مكانه، وعلامة ذلك أن أهل الفتى قد فقدوه فلا يدرون ما فعل ، فهم يبكون عليه ، فإذا كان يوم كذا وكذا فأت غيضة[١] كذا وكذا فإنك تلقين المسيح، فرجعت إلى أختها فأخبرتها ، فلما كان ذلك اليوم ذهبت فوجدت عيسى في الغيضة [١] . فلما رآها أسرع إليها ، فأكب عليها فقبل رأسها ، وجعل يدعو لها كما كان يفعل .

قال : وسلم عليها وصعد فلم تلقه إلا تلك المرة حتى ماتت .

قال : وبلغني أن مريم عاشت بعد عيسى خمس سنين ، وماتت

(١) الغَيْضَة ـ بالفتح - : الأَجَمَة ، ومُجتَمَعُ الشجر في مَغِيض ماء. (ترتيب القاموس).

ولها ثلاث وخمسون .

وهذا يخالف ما روى الضحاك عن ابن عباس أن عيسى لما رفع إلى السماء جاءت سحابه فدنت منه حتى جلس عليها وجاءته مريم فودعته ، وبكت وهي تنظر إليه حتى رفع ، وألقى إليها عيسى رداءه ، وألقى عمامته إلى شمعون ، وجعلت أمه تودعه بأصبعها .

والمشهور أن عمر عيسى ثلاث وثلاثون . وقيل : أربع .

وقال حماد ، عن علي بن زيد ، عن سعيد بن المسيب ، كان عمره ثمانين [١] .

وروى الحاكم من حديث فاطمة بنت الحسين ، عن عائشة كانت تقول : أخبرتني فاطمة أن رسول الله أخبرها أنه لم يكن نبي إلا عاش الذي بعده نصف عمر الذي قبله ، وإنه أخبرني أن عيسى عاش عشرين ومائة سنة ، فلا أراني إلا ذاهبًا على رأس ستين .

قال ابن عساكر : إن صح هذا فالمراد مدة مقامه في أمته داعيًا ، فقد روى سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن يحيى بن جعدة ، عن فاطمة مرفوعًا : « إن عيسى مكث في بني إسرائيل أربعين سنة» .

وكذا قال الثوري ، عن الأعمش ، عن إبراهيم .

وقال سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة : قال النبي ﷺ : «ليلة

(١) كذا في الأصل ! وفي البداية : ثلاث وثلاثين .

أسري بي لقيت موسى ، فنعته فإذا رجل - حسبته قال : مضطرب - رجل الرأس كأنه من رجال شنوءة . قال : ولقيت عيسى فنعته فقال : ربعة أحمر ، كأنما خرج من ديماس » - يعني الحمام - .

أخرجه البخاري.

وعن همام عن أبي هريرة رفعه : « رأى عيسى رجلاً يسرق ، فقال له : أسرقت ؟ قال : كلا والذي لا إله إلا هو . فقال عيسى : آمنت بالله وكذبت بصري » .

حديث : « الأنبياء أولاد علات » . الزهري عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة عند البخاري ، ومعمر ، عن همام عند أحمد . وقتادة ، عن عبد الرحمن بن آدم عنه عنده أيضًا في حديث طويل فيه كثير من أشراط الساعة ، وسيأتي في الملاحم .

(ق ٦٦/ب) وعن سلمان قال : فترة ما بين عيسى ومحمد ستمائة سنة. أخرجه البخاري .

وعن قتادة قال : ستمائة وستون .

وعن الضحاك : أربعمائة وثلاثون .

وقيل : نحو خمسمائة وأربعون .

وروى أبو يعلى وابن حبان عنه بإسناد فيه الوضين عن عطاء ، وفيه ضعف، عن أبي الدرداء رفعه: « لقد قبض داود نبي الله من بين أصحابه

فما فتنوا ولا بدلوا ، ولقد مكث أصحاب المسيح على سنته وهديه مائتي سنة»[1] .



(١) آخر الكتاب ، والحمد لله رب العالمين.

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة